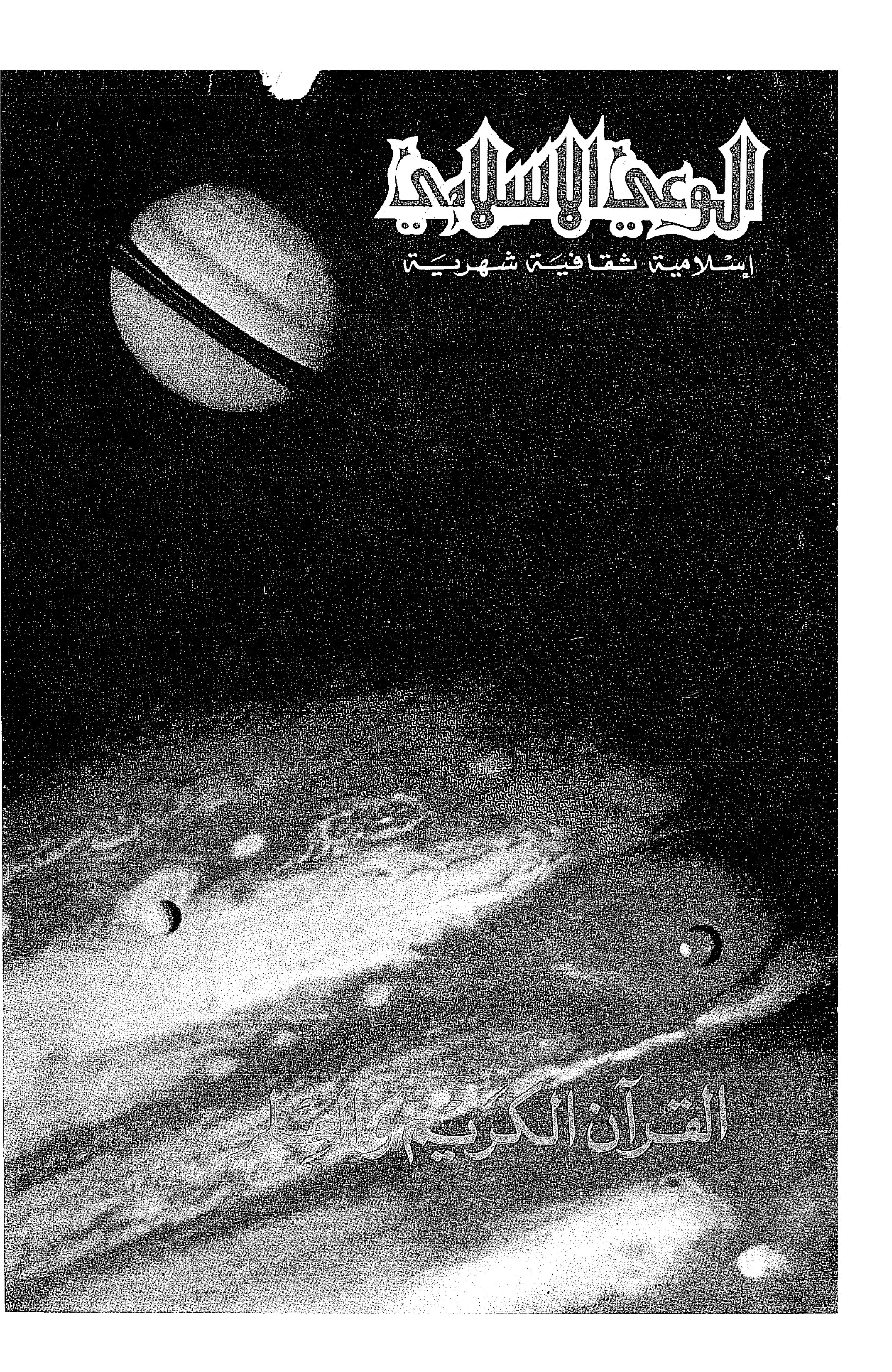


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
القرآن الكريم والعلم



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٢ ● شوال ١٤٠١ هـ ● اغسطس ١٩٨١ م

هــدفهـــا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيــدا عن الخلافــات المذهبيــة والسياسية

تصــدرهـــا

وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميــة بالكويــت في غرة كل شهـر عربي

عنوان المراسلات



الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقـم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقـم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

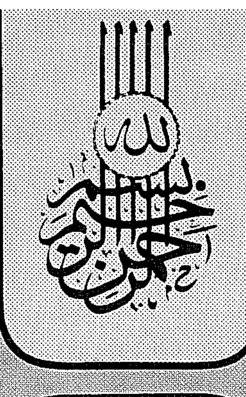
● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمـــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطـر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغـرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

الجهاد رهبانية الإسلام

في بعض الديانات السابقة على الاسلام كان الترهب في الصوامع ، والانقطاع في الأديار حتى الموت ، وهجر الحياة وتكاليفها ، آية اليقين البالغ والصفاء التام !!

اما الاسلام فقد رسم طريقا آخر للعبادة غير هذا الترهب .. طريقا يكبدهم العمل والكفاح ، فلم يقل لمن يحبون الله اعتزلوا الحياة وتأملوا ، بل قال لهم : انغمسوا في الحياة وعالجوا باطلها بالحق ، وقاوموا طواغيتها بالقوة .. وبهذا

البيان رفض الاسلام الترهب الذي يدع الباطل يسير من غير مقاومة ، واصبح الاقبال على الحياة ومعالجة شؤونها لنشر الفضائل ومحو الضلالات جهادا في سبيل الله .

ولا شك أن أهل الفساد والعدوان أبغضوا الاسلام لهذه النزعة البادية في تعاليمه ، لأنهم لا يخشون قوما يتعبدون بالعزلة ، وإنما يخشون قوما يتعبدون بالهجوم على هذه الدنيا لاصلاحها ، وتقييد الطغاة المهتاجين في أرجائها .. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي شاقته العزلة ، حين مضى على شعب فيه عيينة من ماء عذبة ، وحدثته نفسه بأن يجنح الى تلك البقعة ، وأن يقبل على ربه فما يفتر عن ذكره في صباح أو أصيل « لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » .

نعم ، ان الانسان في عمله المتواصل وكفاحه الدائب يحتاج الى لحظات ينفرد فيها بنفسه مثلما يحتاج المسافر الى منازل يحط فيها رحاله ويجم فيها بدنه . ومن أجل هذا سن الاسلام لأتباعه الاعتكاف ، وأذن لهم بالعزلة الى حين . ولكن الاسلام يرفض أن تتحول هذه العزلة الى هجران للمجتمع وقلة مبالاة بالمعركة الدائرة بين الحق والباطل والافساد والاصلاح .

وقد قارن النبي صلى الله عليه وسلم بين منازلة الأعداء وجهادهم بكل وسائل المنازلة والجهاد وبين عبادة الله بالعزلة ، فصور بعد المسافة بين الأمرين أوضح تصوير .. سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ فقال : « لا تستطيعونه » فأعادوا عليه السؤال ثلاثا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه». ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » .

والحياة الى يوم القيامة صراع بين الحق والباطل، والقوة أضمن طريق لاحقاق الحق.. وفي هذا العصر يهتاج أعداء الاسلام كالكلاب المسعورة لانتهاب مصير المسلمين!! والاسلام يفرض على أهله إباء الضيم، وان يجاهدوا المعتدين، وان يعدوا لهم كل ما يستطيعون من قوة معنوية ومادية، وأن يبذلوا النفوس والأموال في سبيل تخليص أرضهم ومقدساتهم، وصيانة وجودهم، والاحتفاظ بعزتهم وكرامتهم بين دول العالم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ان الجهاد في سبيل الله اعظم درجة عند الله من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.

حدث النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله فقال رجل: ما أبالي ان اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله، ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم).

والمجاهدون الصادقون، المتوحدون على الحق. المتآخون على الايمان بالله المتعاونون على البذل والتضحية في سبيل الله، يمدهم الله بعونه وتوفيقه، ويحقق لهم النصر العزيز على أعدائهم. قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين). وقال: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).

رئيس التحرير

محمد الاباصيري



التفكير في الدين

للدكتور/ ابراهيم علي ابو الخشب

كلمة دين تطلق بمعنى الخضوع والانقياد . فيقال دان له اهل الحي بمعنى خضعوا لامـره ونزلـوا على ارادتـه . واستجابـوا لدعوتـه ، وصاروا له اتباعا لا يخرجون على طاعته بحال من الاحوال ، لانهـم يرونه المثل الاعلى للقائد او الرائد . وتطلق الكلمة ـ كذلك ـ على الجزاء على العمل خيرا او شرا ، ومن ذلك في سورة فاتحة الكتاب الاية ٤ (**مالك**

يوم الدين) اي الجزاء في نهاية المطاف ، حيث تنتهى الدنيا ، ويقوم الناس لرب العالمين يوم القيامة ليحاسبهم على ما كان منهم في هذه المرحلة التي اجتازوها من الحياة الدنيا(**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة/٧ ، ٨ والمعنيان الخضوع والجزاء يتداخلان ويكمل احدهما الآخر ، اذ الذي يلقى من الله جل وعلا جزاء عمله في الدار الآخرة . خاضع له لا محالة ــ راغبا او راهبا ــ لأن مصيره الذي وصل اليه ، ليس له حيلة فيه ، ولا الغاء له ، ولا هروب منه ، او هو من صنعه ، يملك شأنه وجودا أو عدما ، وانما هو مصير كان من الحتم ان يصير اليه ، والمراحل التي تخطاها ، والمسافات التي قطعها او الاطوار التي مر بها ، منذ ان كان خاطرا في نفس امه وابيه ، الى ان كان ماء وعلقة ومضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثم طفلا وشابا ، ورجلا وكهلا ، وهكذا الى يوم النشور وتقرير المصير بالجنة او النار ، انما هي تنفيذ لخطة مرسومة في الازل ، أو جدول موضوع لم يكن هو صاحب الكلمة فيه .. وما من فصيلة من الحيوانات أو الطيور أو الاسماك الا كان في فطرتها التي ركبت فيها ، او طبعت عليها ، معنى الانقياد الى من تطمئن كل الاطمئنان الى انه يفضلها بالقوة ، او يمتاز عنها بالدراية ، أو ما يوفره لها من الخير والبر ، أو بذوده عنها من الخطر ويظهر ذلك في التبعية العمياء له ، والتفافها الواضح حوله وربما كان هذا الفرد المتميز بكل هذه المزايا هو كل شيء في نظام حياتها ، ودفع الاذى عنها ، أو جلب الخير لها ، وبعسوب النحل صورة واضحة لهذه الدعوى التي ندعيها ، تنقاد له ، وتلتف حوله ، وتعتمد عليه ، ويكون وجودها رهنا ببقائه على هذا الوضع منها ، فان نزلت به جائحة ، أو اصابه مكروه ، أو وقع عليه عدوان ، كانت هي بعده بددا واقل عددا ..

والبشرية على تطاول عهدها ، وامتداد تاريخها ، واختلاف مراحل حياتها من الاحراش والادغال ، والجبال والانهار ، والخيام في الصحاري ، والبيوت في القرى والمدن كانت تشعر بتلك التبعية الروحية التي تخفى عنها ، ولا تعيش الا في اوهامها المظنونة ، أو خيالها الملح ، وشعورها الجياش ، وعقلها الباطن ، ووعيها المكبوت واحلامها التي تطوف بخواطرها ، وقد انقادت لرئيس القبيلة ، ونزلت على ارادته ، واستجابت له بادىء ذي بدء ، اشباعا لهذا النزوع ، وتحقيقا لذلك المعنى ، ثم مع مرور الزمن ، وتهذيب هذه الفكرة نوعا ما بحثت عن صورة يتمثل فيها ذلك الانقياد ، وتلك الطاعة ، وجعلت تتخيلها في الهواء أو الماء أو النار أو الكواكب أو الرياح أو الجبال أو الشمس أو القمر وهكذا واخذت بعد هذا ترمز لها برموز وتعبدها عبادة مباشرة ، أو تجعلها واسطة الى هذا الذي تعبده كما صرح القرآن الكريم في بعض هذه الاصنام

وهم يقولون عنها (**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**) الزمر/٣ وان كانت عبادة الاصنام أو الاوثان أو النار أو الرياح وما شاكل ذلك كله لا تحدها أمثلة ولا صور ، وانما هي على أمثلة متنوعة ، وصور مختلفة ، ومن طريف ما يقال في ذلك ان الصنمين « إساف ونائلة » يرمزان الى رجل وامرأة فسقا في الحرم الشريف بمكة المكرمة فمسخهما الله الى حجرين على صورتيهما وقد فوجىء الناس بهما معلقين هنالك فاخذوا يتابعونهما بالزراية لهما . ومع تطاول الزمن ، وتناسي الناس لهذه الحادثة تحولت الزراية بهما ، والبصق عليهما ، واللعنة لهما ، الى قداسة واحترام ثم عبادة بعد ذلك ، وفي قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه التي سجلها القرآن وقد كان ابوه يحترف صنع التماثيل وبيعها لمن يعبدها من دون الله (**واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا . اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا . يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمان عصيا . يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان وليا . قال أراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . واعتز لكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى الا أكون بدعاء ربي شقيا**) مريم/٤١ ــ ٤٨ ما يدل على مدى تعلق البشرية وارتباطها بتلك الصور والتماثيل التي صنعوها بايديهم وكان لابراهيم عليه السلام موقف آخر كان يعلن فيه لقومه ان الخرافة التي تتمكن من العقول ، أو تستولي على النفوس ، ليس لها من علاج الا التمرد عليها ، والتحطيم لمعالمها وآثارها حتى لا تعود الاوهام الى الارتباط بها ، والحنين اليها ، أو التقرب منها ، والعبادة لها ، وذلك في قصة العدوان عليها المذكورة في سورة الصافات (**وان من شيعته لابراهيم . اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون . أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال اني سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون . ما لكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين . فاقبلوا اليه يزفون . قال اتعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم . فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين . وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين**) الصافات/٨٣ ــ ٩٩ ولقد ذكر هذا الموقف بعينه على صورة اخرى في سورة الانبياء (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين . اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون . قالوا**

وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) الانبياء ٥١ ـ ٧٠ وهذا كان الحوار الذي اجراه الله على لسان نبيه ابراهيم من الدقة والحكمة والسداد والرشد ، والبراعة والحذق ، والكياسة والمنطق ، واللباقة والرأي ، بحيث لم يترك لهم منفذا يدخلون منه ، ولا ثغرة يسلكونها ولا حجة يعتمدون عليها ، أو يتمسكون بها ، **(فاسألوهم ان كانوا ينطقون)** وكأنما كانوا في غفلة عن هذا كله ، ولم يدر بخلدهم انها جماد لا تحس ، أو حجر لا يدرك ، وصخر لا ينطق ، الى هذه اللحظة التي جابههم بانهم هكذا في سكرتهم يعمهون **(قالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون)** وكان من الواجب ان يصدر عنهم هذا الاعتراف من قبل في هواتف افئدتهم . وقرارة انفسهم . فلا يكون منهم ذلك التخبط كله . لكن الله سبحانه وتعالى اراد ان تكون هذه الهزيمة المنكرة ارغاما لهم على ان يعلنوا هذا الخطأ الذي لم يجدوا مناصا من الاعتراف به ليكون ادعى الى اظهارهم بمظهر الحمقى الذين تجافوا الصواب ، وتنكبوا سبيل الحق الذي هو معلوم بالضرورة ، وليكون كذلك عنوانا على إفحامهم **(قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون)** والحمق كل الحمق ان يكون الميدان للمنطق الذي لا يصح انكاره ، ولا يمكن الاختلاف فيه ، لأنه مسلم به في بدائة العقول ، ثم يتحول ذلك الى صراع دموي او انتقام ينبيء عن الحقد والطيش والغضب والكراهية ، واستعمال اساليب الهمجية والفوضى والخروج عن مناهج العقلاء ، **(قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم)** وكأنما ظنوا ان ذلك صنيع يرتفع بهم الى مستوى النصر ، وجهلوا انه نصر شر من

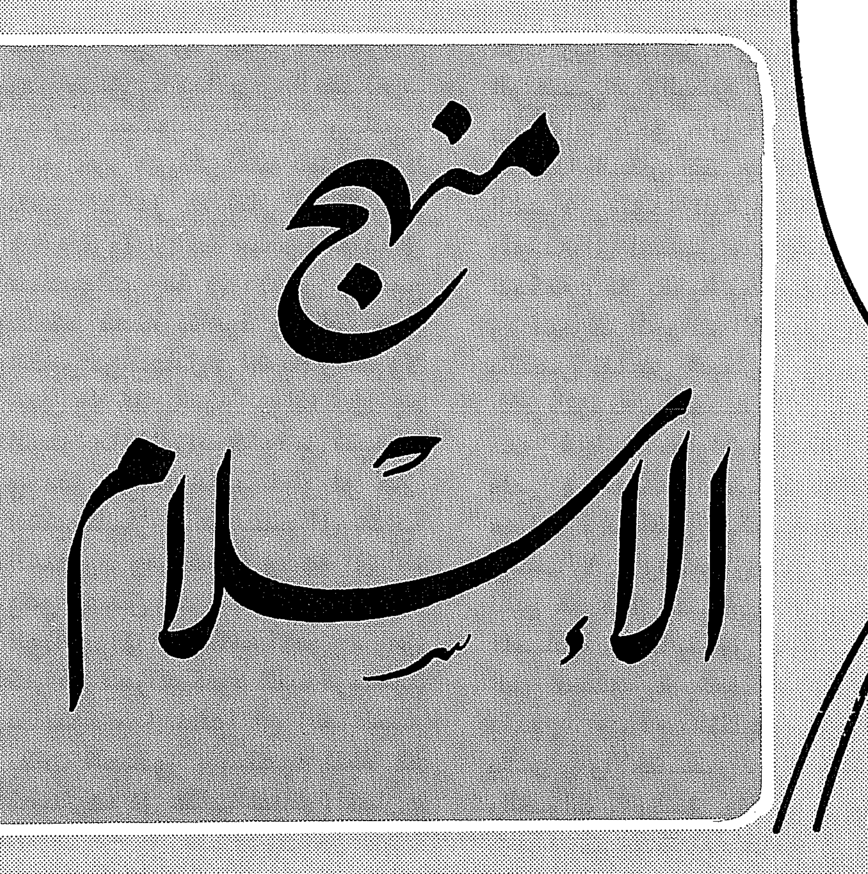
الهزيمة ذاتها لأنه عنوان على ان صاحبه قد تجرد من الانسانية التي هي اسمى ما يملكه الانسان .. ولم يكن ابراهيم عليه السلام وحده هذا الذي صارع قومه بالبرهان . وحاجهم بالدليل وسفه احلامهم بانحرافهم عن الجادة ، وعدولهم عن السنن السوى فيما يجب ان يكون دينا قيما ، وعقيدة صحيحة ، وهديا واضحا ، يجعل قلوبهم ممتلئة بالايمان الراسخ بتلك القوة الخفية التي تدبر امور البشر ، وتصرف شؤون الكون ، وتقضي على الناس بالخير او الشر ، والحياة او الموت ، والسعادة والشقاء ، وتمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ، وانما كانت هذه قصة مكرورة معادة ، لم يخل منها تاريخ رسول من الرسل الذين ارسلتهم العناية الالهية لاحقاق الحق وابطال الباطل ، ولذا يقول سبحانه وتعالى (**ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**) النحل/٣٦ وذلك ان دلنا على شيء فانما يدلنا على ان البحث عن الدين ، والتفكير فيه والنزوع اليه ، من الامور التي كانت على مدى التاريخ الشغل الشاغل الذي اهتمت به الانسانية . واخذ من صراعها العقلي الشيء الكثير بصرف النظر عن كونه كان يسير على وفق الجادة الصحيحة ، والنهج السليم ، اوكان خطأ وخبطا ، وقد علمنا انه كان في بعض الحين يلازمه المنطق ، ويقترن به الحق ، ويصحبه الصواب ، ويحاول محاولة جادة ان يصيب كبد الحقيقة ، وثبت ان كثيرين من اهل الجزيرة العربية كانوا يتلمسون الصواب ، ويطلبون الحق ، ويبحثون عنه ، فلا يخطئهم السداد والرشد ، والتوفيق والهداية ، كما ينقلون عن « قس بن ساعدة الايادي » من الخطباء ، « وامية بن ابي الصلت » من الشعراء ..

وتعرض بعض المفكرين من الكتاب لتعريف الدين فقال « فريد وجدي » : « الدين شعور بالارتباط الطبيعي بين الانسان وروح الكون » وقال : « اذا قلنا ان الانسان لا يمكنه ان يعيش بلا دين لا نكون مغالين ، وانما نكون مماشين لطبيعة الاشياء » وينقل الشيخ امين الخولي عن الجرجاني في كتابه التعريفات : « الدين وضع الهي يدعو اصحاب العقول الى قبول ما هو عند الرسول » وعن صاحب كتاب كشاف اصطلاحات الفنون : « الدين » وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح . وعن الراغب الاصفهاني : « الدين ما شرع الله لعباده على لسان الانبياء ليتوصلوا به الى جوار الله » وعن بعض الغربيين : « انه ديوان الفضيلة والطراز العالي للحياة » ويقول بعض المشتغلين بعلم النفس ان فكرة التدين نشأت في اول امرها عند الانسان البدائي من الخوف من مظاهر الطبيعة كالرياح والامطار

والرعد والبرق والزلازل والبراكين اذ اهتدى الى ان يحتمي من مخاطرها بقوة خفية لا يعرف مصدرها على التحديد ، وكان اسلوب الاحتماء هذا غير محدد بكيفية بعينها ، كما ان هذه القوة لا يستطيع احد ان يحددها اكثر من كونها معنى روحيا تمتلىء به الخواطر ، وتتوهمه النفس ، وتتخيله العقول ، وتعمر به الافئدة ، ثم لا يمكن لاحد ان يحدد ابعاده ، أو يخطط صورته ، أو يصف ملامحه ، ومن هنا كثرت النعوت له ، والحديث عنه ، والتصورات المختلفة لذاته ، فهو تارة جماد ، وأخرى نبات ، وثالثة مادة أو روح ، وليل أو نهار ، وظلمة أو نور ... واغلب الظن ان كلمة اله ورب وخالق وموجد للاشياء وعلة العلل – كما يقول الفلاسفة – : لم توجد في قواميس الكون الا فيما بعد حينما شبت الانسانية عن الطوق ، وحديث القرآن الكريم عن خالق السماوات والارض في زعم العرب او اعتقادهم ينبىء عن انه هو الله **(ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله)** لقمان/٢٥ ما في ذلك من شك ولا ريب ، لكن هذه الالوهية التي تجري على السنتهم ويعبرون عنها بكلمة الله أو اله أو رب السماوات والارض ما هي حدودها المنطقية في اوهام الفلاسفة أو افكار العلماء لم يصلوا فيها الى نقطة تلتقي عندها تصوراتهم ، ومرة كانت رموزا واشارات ومرة كان لها اعوان وجنود **(وما يعلم جنود ربك الا هو)** المدثر/٣١ ومرة كان لها شركاء **(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم)** الانعام/١٠٠ وربما كان هؤلاء الشركاء كثرة غير محدودة ولا معدودة ، لذلك كان الرد القرآني قاطعا للألسنة ، وقاضيا على هذه البلبلة **(قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد)** سورة الاخلاص وقد اخترع المسلمون علما برأسه خاصا بتنزيه الله عن الصاحبة والولد والشريك والمشابهة للحوادث ، ولما كان اهم ما تضمنه هو برهان وحدانيته في الذات والصفات والافعال سموه « علم التوحيد » ويقول كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)** الانبياء/٢٢ وكأنها على قصرها البرهان القاطع ، والدليل الواضح ، والحجة الدامغة ، على انه سبحانه قيوم السماوات والارض ، لا ينازعه ذلك دعى ، ولا يزاحمه جبار ، ولا يشاركه مسلط ، ولا يغالبه قهار **(له الملك وله الحمد)** التغابن/١ ومع ان القرآن الكريم اشبع هذه الناحية بيانا ، ووفاها برهانا ، الا ان للعلماء في ذلك قاعدة هي ان الدليل العقلي مقدم على الدليل النقلي ، ويعنون بذلك ان المؤمن بالله اذا اراد ان يقنع غير المؤمن بالآية الكريمة **(بديع السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة)** الانعام/١٠١ او قوله : **(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)**

الانعام/ ٥٩ او قوله : **(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها)** هود/٦ او قوله : **(وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم)** الانعام/١٣ أو غير ذلك ، وذلك من الآيات التي تدل على انه وحده القائم على كل نفس بما كسبت ، كان كما يقول الحريري في مقاماته ينفخ في غير ضرم ، لأن ذلك الذي يوجه اليه هذا النص لا يؤمن بانه خطاب السماء ، نزل على سيد الانبياء ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم ظل يدعو العرب ثلاثا وعشرين سنة ما بين مكة والمدينة ، وكان معظم جهده وهو بمكة قاصرا على وحدانيته سبحانه ، وتنزيهه عن كل نقص ، ووصفه بالكمال كله ، لأن الانسان اذا ما تيقن ذلك وآمن به . استراح قلبه ، وهدأ خاطره ، وطابت نفسه واطمأن عقله . وعلم أنه آوى الى ركن شديد ، يعتز به ، ويفزع اليه ، ويلوذ بكنفه ، ويحتمي بسلطانه ، ويطلب منه ، ويغترف من فيضه ، ولا يذل الا له ، ولا يخاف الا منه ، ولا يقف الا بين يديه ، ولا يكون الانسان كل الانسان الا هذا الذي تكون عبوديته قائمة على هذه الدعائم من اجلاله لربه ، وايمانه به ، وثقته فيه ، ورجائه منه ، واعتماده عليه ، واتجاهه اليه ، ولا تجد رجلا تأنس به ، وتستريح له ، وتأمل فيه ، وتقبل عليه ، وتأمنه على دينك وعرضك ومالك الا وهو من هذا الطراز الذي امتلأ قلبه بالله ، وعمرت نفسه بالدين ، وازداد ايمانه بربه ، وكان يعبده على هذا الاعتبار الذي يرجع اليه كمال القدرة والارادة والعلم والحلم والرحمة والسلطان والملك والتصرف والقهر والغلبة ... ومع كون نظرية الالوهية هذه من البداهة والوضوح بهذه المثابة ، فان جماعة ممن طمس الله على قلوبهم بغضبه ، واظلم بصائرهم بسخطه ، كانوا ينكرون هذه الحقيقة ثم لا يكتفون بانكارها وانما يريدون ان يحملوا الناس على مذهبهم العقيم ، ورأيهم الفاسد ، واعتقادهم الضال ، وفهمهم الخاطىء ، ودينهم الكاذب ، وذوقهم المختل ، والكون في نظرهم حدث بطريق المصادفة أو الضرورة ، والفرق بين الأمرين ان المصادفة محض وجود لم يكن مقدرا ولا مظنونا ، وان اصل هذه الكائنات خلية ما ، قذف بها الغيب من غير تقدير ولا ارادة ، وبمرور الزمن ، أو مضي السنين والاعوام ، صارت الى هذه المخلوقات التي لا عداد لها ، من الانسان والحيوان والطيور والوحوش والجبال والانهار والهوام والحشرات .. واما الضرورة فهي الحاجة التي تحتم ان يكون الوجود على شكل خاص ، أو هيئة بعينها ، كطول عنق الزرافة الذي لا بد منه لتتناول به غذاءها من الاشجار العالية ، وزعانف السمكة التي تساعدها على السبح في الماء ، وهكذا ولا يعترفون بتلك القوة التي تدبر هذا العالم ، وتسوس ذلك الكون ، وتتقن هذا الصنع ، وتتحكم في القضاء والقدر ، وتقدر الحياة والموت ، وتعلم

خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وهو منطق ــ كما يرى العقلاء ــ يتهاوى بعضه على بعضه ، ويناقض اوله آخره ، وينكر لفظه معناه ، ولا ينطلي الا على الاطفال أو المجانين **(الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير . ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور . ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور . نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ)** لقمان/ ٢٠ ــ ٢٤ وفي هذه الآيات من سورة لقمان وامثالها من القرآن كله . ما يصفعهم على اقفيتهم ، ويجابههم بما يتخاذلون له ، وترتعد منه فرائصهم ، وبخاصة اذا لاحظنا انهم لا يعتمدون على منطق ، ولا يستندون الى دليل ، ولا يقف الى جانبهم عقل ، ونحن نعلم ان الدعاوي من غير دليل يؤيدها ، او حجة تدعمها ، او برهان يؤازرها ، افتراءعلى الله وعلى الناس ، لا يتمسك بها الا الحمقى ، ولا يصدقها الا اولئك الذين اصابهم الله بالغفلة ، ورماهم بالعته ، او ابتلاهم بالجنون ، وسلبهم نعمة العقل والادراك ، والانسان الذي كرمه ربه بالتمييز ، ومنحه الفكر الواعي ، والبصر الكاشف ، والصواب الحق ، والخير المحض ، هو هذا الذي يفتح عينيه على الضياء ، ويوجه قلبه الى الهداية ، وذوقه الى المنطق ، وعقله الى الحكمة ، فلا يتخبط تخبط الضال ، ولا ينحرف انحراف الاعمى ، ولا يتقاعس تقاعس الجبان ، وقانونه الذي يلتزم به ، ويخضع له ، ويتعامل معه **(فاطر السماوات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)** يوسف/ ١٠١ واعتقد ان هذا الانسان ليس هو هذا الذي جاء بمحض المصادفة ــ كما يقولون ــ ولكنه هذا الذي فضله ربه بالعقل ، وكرمه بالدين ، وشرفه بالتكليف ، وميزه بالرأي والاختبار ، والحكمة والصواب ، والحق والمنطق **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء/ ٧٠ وابوه آدم هذا الذي علمه الله الأسماء كلها ولم تكن تعرفها الملائكة ، وقد أمرهم سبحانه أن يسجدوا له لأنه سيمنحه الخلافة في الأرض .. وهكذا كان الانسان عند الله في مكان الرعاية والتقدير ، والاجلال والاحترام ، على قدر تفكيره فيه ، وايمانه به ، وعبادته له ، ورجوعه اليه ، وخوفه منه ، لأن ذلك كله استجابة للفطرة ، وسير على السنن السوى ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .



الاسلام بنظمه وتشريعاته ، ونصائحه وتوجيهاته ، يشتمل على تشريعات حية نامية متطورة ، تكفل للفرد وللمجتمع الحياة الكريمة الآمنة ، ولهذا نرى الاسلام يعني أكبر العناية بالمجتمع المسلم ، وبوجوب تطهيره من الرذائل الدخيلة التي وفدت علينا مع الاستعمار والتي ورثناها من عهود الانحطاط ، من المادية والانانية والميوعة والتحلل ، والاستغراق في متع الحياة الدنيا ، والاستبداد والنفاق ، والملق وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال الى غير ذلك من الاخلاق التي ينهى عنها الاسلام ، كما نجد الاسلام من ناحية اخرى يعني بتثبيت القيم الاخلاقية الاصيلة التي توارثتها هذه الامة جيلا بعد جيل ، مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذي بعثه الله ليقيم مكارم الاخلاق ، كالسخاء والايثار والعفاف والحياء والغيرة . والصبر على المكاره ، والثبات في الشدائد والوفاء والرحمة بخلق الله ، واصلاح ذات البين والشجاعة ، والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الارحام ، والاحسان الى الجار ، واكرام

في بناء المجتمع الفاضل

للاستاذ / حسنين نعيم

الضيف ، واغاثة الملهوف والصدق في القول والامانة في العمل ، والعدل في الحكم والشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، واعطاء كل ذي حق حقه ، وخفض الجناح ، وعزة النفس والقصد والاعتدال . في كل شيء الى غير ذلك من الفضائل التي يجب ان تسود وتبقى لذا ليس عجيبا ان نرى الدكتور « هوجوماركاسن » الفيلسوف الالماني يقول : « ان الاسلام احدث الاديان السماوية ثم هو في الوقت نفسه ارقاها واعظمها تمشيا مع التقدم » وقد امتاز الاسلام بهذا الامر في تعاليمه الجليلة المستمدة من القرآن حتى صار اعظم الاديان اخذا بأحكام العقل وأشدها تقديرا للترقي . وانه لا يرغم معتنقيه على الايمان به ارغاما بل تسليما والتسليم مشتق من اسمه الاسلام » .

ولذلك كانت الغاية التي ينشدها الاسلام من الحياة هي أن يعيش الناس عيشة فاضلة كريمة ، تلائم كرامتهم وتناسب منزلتهم بين الخلائق ، ومن هنا كرم الله بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق ، وجعلهم خلفاء في هذه الارض ، وسخر لهم كل ما فيها ليعمروها بالخير والصلاح ، وجعل لهم أجلا لا ريب فيه تنتهي اليه

مدتهم في الحياة الدنيا ، بعدها ينتقلون الى حياة أخرى أكرم وأسمى . قال جل وعلا : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ كما قال جل شأنه : (**وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه**) الجاثية/ ١٣ والى جانب هذا كله حذرهم سوء المصير ، إذا هم انحرفوا عن الجادة وحادوا عن الطريق السوي ومالوا مع الاهواء والشهوات .

فالاسلام لا يريدها حياة كيفما كانت ، انما يريدها حياة سامية سامقة ، كريمة تليق ببني الانسان ، وترتفع بهم عن الاسفاف ، والهبوط الى مستوى الحيوان الأعجم الذي تحكمه شهواته وغرائزه ، فيندفع معها بلا ارادة ولا فكر ولا نظر في العواقب ، يريدها حياة وحدة وارتباط ، وتآلف يدين الناس فيها دينا واحدا ، ويعبدون ربا واحدا ويسكنون وطنا واحدا ، هو هذه الأرض التي سخرها لهم ليعيشوا عليها إخوة متراحمين ، مثلهم في توادهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى لذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « كنا اذل قوم فاعزنا الله بالاسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما اعزنا الله اذلنا الله » والاسلام يريدها ايضا حياة فاضلة كريمة ، قوامها التآخي ومظهرها التراحم ، وغايتها السلام ، كل هذا ليقيم الاسلام المجتمع على اسس من الطهر والنقاء والصفاء ، والاخوة والمحبة والمودة ، وحتى يعيش الجميع في ظل الاسلام آمنين على ارواحهم وأعراضهم وأموالهم ، لذا يقول صلوات الله وسلامه عليه « كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه » رواه ابو داود وابن ماجه أيضا ليقيم الاسلام المجتمع النظيف العفيف الذي لا تشيع فيه الفاحشة ، ولا ينتشر فيه التبرج يقول تبارك وتعالى : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**) النور/ ٣٠ و ٣١ كما يقيم الاسلام المجتمع على الشورى والنصح والتعاون والمساواة والعدالة ، لذا يقول الله تبارك وتعالى : (**وامرهم شورى بينهم**) الشورى/ ٣٨ ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « الدين النصيحة » وبقية الحديث كما جاء في صحيح مسلم قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال « لله وكتابه ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم » ومن هنا رأينا الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، حين يودع احد ولاته الى اقليمه حاكما يلقي عليه قبل سفره هذا السؤال الكبير قائلا :

« ماذا تفعل اذا جاءك الناس بسارق او ناهب ؟ فيجيبه الوالي قائلا : اقطع يده . فيقول عمر واذن فان جاءني منهم جائع او عاطل

فسوف يقطع عمر يدك ، ان الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفهم فاذا اعطيناهم هذه النعمة من الله ، اقمنا عليهم حدود الله كفاء شكرها .

ولا شك ان المجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماتهم وأموالهم بحكم التشريع ، والذي يقف فيه الجميع على قدم المساواة الحقيقية أمام الله رب العالمين واحكم الحاكمين ، والذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون يعيش الجميع في ظله آمنين مطمئنين على حياتهم وارزاقهم وجميع شؤونهم يروي المؤرخون ان يحيى بن سعيد قال : بعثني عمر بن عبد العزيز عاملا على صدقات افريقية ، فاقتضيتها وطلبت الفقراء نعطيها اياهم . فلم نجد بها فقيرا ، فقد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، مع ان مدة خلافته كانت ثلاثين شهرا .

على هذه الاسس القويمة يبنى المجتمع الاسلامي وتتكون الأمة الاسلامية : كما يريدها الله ، ومن هنا رأينا المنصفين من الاجانب يشيدون بالاسلام ، ويمجدون تعاليمه فهذا هو جون الفيلسوف الالماني الذي يؤثر عنه انه نظر في الاسلام فأعجبه يقول « اذا كان هذا هو الاسلام فنحن اذا فيه » كما رأينا « كارليل » الفيلسوف الانجليزي يقول « اي دليل تبغي على صدق محمد فيما يدعيه من النبوة اكبر من ان يأتي للناس بدين يهديهم به ، ويدفعهم في طريق الحياة الفاضلة ، وان يبقوا محافظين عليه متحمسين له اكثر من اثنى عشر قرنا ، الا فليعلم الناس ان مثل الباطل كمثل ورق البنك الزائف ، يمر من يد ويدين ، ثم يضبط ويعرف انه زائف ، ولكن الاسلام هدى عقول كل هذه الاجيال ، واهله اشد اعتدادا وتمسكا به من اي امة بدينها في الارض » .

وهذه شهادة صدق للاسلام وصدق الشاعر حين قال :

شهد الانام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الاعداء

ومن هنا فان الاسلام هو الذي يمكن بواسطته اقامة مجتمع فاضل ، وذلك بارشاده الانسان الى الوسائل التي ترفع من شأنه وتعلي من قدره ، وتجعله سعيدا في الدنيا والاخرة ، فقد اقتضت حكمة الله جل شأنه ان يكون في هذا الدين خير هذه الدنيا وأمنها وسعادة الفرد والجماعة فيها يقول جل وعلا : (**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى**) طه/ ١٢٣ ـ ١٢٧ كما يقول سبحانه : (**انه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى**)طه/ ٧٤ ـ ٧٦ .

فالاسلام فيه الخير كل الخير ، والفلاح كل الفلاح لمجتمعنا في هذه الدنيا اليس هو صانع تاريخ العرب وأمجادهم وثقافتهم ومثلهم وحضارتهم ؟ ثم اليس هو الذي خلّد لغتهم ورفع ذكرهم في العالمين عامة وفي الشعوب الاسلامية خاصة ؟ بل وجعل من العرب أمة رائدة حيث وضع في أيديهم القيادة ، وجمعهم من شتات العصبية ، وحررهم من جهالة الأمية وضلال الوثنية وقذارة الجاهلية ، وأخرجهم من الظلمات الى النور ، وصدق الله إذ يقول : (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) الجمعة / ٢

وبالاسلام صار العرب إخوة متحابين متعاونين ، يتسابقون الى الخير ويتبارون في عمل البر ، بل لقد كان التواصي بالخير والدعوة الى التزام البر طابعا وشعارا وخلقا وسلوكا ، حتى لقد كان الرجلان اذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة المباركة الوجيزة : (**والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) سورة العصر .

وكان رب الأسرة وعائلها لا يكاد يخرج من بيته حتى يوصيه أهله بالخير ، ويذكرونه بالبر والرشد ، لا سيما وهو في طريقه الى السعي على رزقه ، واكتساب نفقة أهله ، قائلين له اتق الله ولا تكسب حراما ، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على حر جهنم .

ولقد كان الإيثار خلقا وسلوكا ، فقد أخرج الطبراني في الكبير عن مالك الدار وهو مالك بن عياض مولى عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ، فقال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

فذهب الغلام اليه فقال يقول لك آمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال أبو عبيدة وصله الله ورحمه ثم قال : تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، حتى نفدت ورجع الغلام الى عمر فأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقال اذهب بهذا الى معاذ بن جبل

فذهب بها اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك . فقال معاذ رحمه الله ووصله . تعالي يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا ، اذهبي الى بيت فلان بكذا ، فقالت امرأة معاذ ونحن والله مساكين ، فأعطنا . فلم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها ، ورجع الغلام الى عمر فأخبره . فسر بذلك فقال إنهم إخوة بعضهم من بعض .

ولقد كان العدل سائدا بين الأولين بفضل الاسلام الذي أرشدهم اليه وكان شاملا للناس جميعا فلم يفرقوا في ذلك بين المسلم وغيره من أهل الأديان الأخرى .

يروي أبو داود في سننه أن الرسول

صلوات الله وسلامه عليه قال « من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة » .

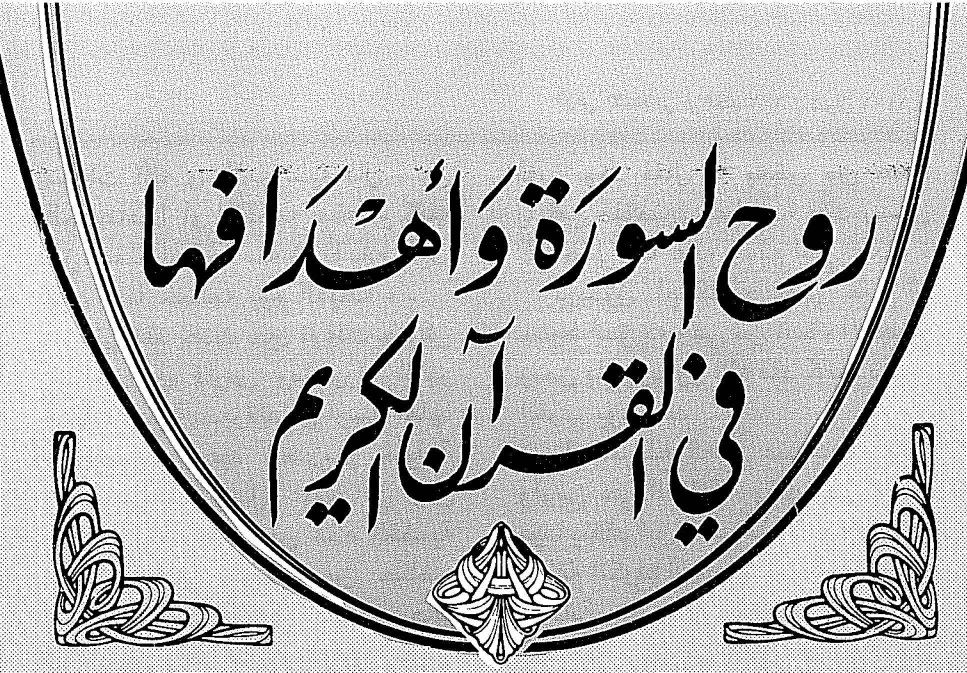
حتى لقد حدث حين توغلت جيوش المسلمين في فارس وما وراء النهر ودخلت مدينة سمرقند أن أرسل أهلها الى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين فأرسل عمر الى والى خراسان يأمره بعرض هذه القضية على القاضي « جميع بن حاضر البلخي » فقضى القاضي بأعجب حكم في التاريخ . لقد قضى بإخراج الجيش الاسلامي من سمرقند لأنه دخل المدينة غدرا وهو حكم لم تعرفه الدنيا الا للقضاء الاسلامي وعدالة لا تعرفها عدالة الأرض .

هذا وقد ذكر الذهبي في كتابه « تاريخ الاسلام » أن عبد الله بن عمر رجع من غزوة من الغزوات وقد ابتاع الغنيمة بأربعين ألف درهم فلما قدم على أبيه أنكر عليه ما فعل لأنه لعل أمير الجيش قد باع له بأرخص مما يبيع لغيره ، لأنه ابن أمير المؤمنين ، ولم يجد شيئا قول ابنه له انه اتجر كما يتجر غيره ، ثم قال له اني قاسم مسئول واني معطيك أكثر مما ربح تاجر من قريش . لك ربح الدرهم درهم ودعا التجار فاشتروا ما كان معه بأربعمائة ألف فأعطاه ثمانين منها ، ودفع بالباقي الى بيت المال ليقسمه بين الناس . ويروي البخاري في صحيحه أن عمر رضي الله عنه قسم ثيابا بين بعض نساء أهل المدينة فبقى منها ثوب جيد فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك .

يريدون أم كلثوم فقال عمر أم سليط أحق به وهي من نساء الأنصار وممن بايع رسول الله فقد كانت تحمل القرب يوم أحد .

بل لقد بلغ العدل عند عمر الغاية وأربى على النهاية ، وذلك حين خرج يوما يتفقد ابل الصدقة فقد وجد بينها طائفة أنكرها لجودتها وسمنها وحسن العناية بها فقال لعامله على إبل الصدقة ، إبل من هذه ؟ فقال العامل إنها إبل عبد الله بن عمر فقال ومن عبد الله بن عمر ؟ فقال العامل : ابن أمير المؤمنين فقال عمر : علي به . فأحضروه فقال عمر لابنه بكم اشتريت هذه الابل فقال عبد الله اشتريتها بكذا يا أمير المؤمنين فقال عمر نعم يقولون هذه إبل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها ، لك ما اشتريت ثم هي لبيت مال المسلمين .

ومن ثم رأينا المسلمين الأولين قد سادوا وفتحوا البلاد شرقا وغربا حيث ساروا على منهج الاسلام الذي هذب سلوكهم وصفى نفوسهم ونقى ضمائرهم وعدل سلوكهم لذا ليس عجيبا أن نرى أحد الفلاسفة يقول مشيدا بالاسلام « إن لتعاليم الدين من السيطرة على المسلمين في كل تصرفاتهم ما يجعل لها مكانا بارزا في أي تخطيط لاتجاهات العالم الاسلامي ، فالاسلام ليس مجرد مجموعة من القوانين الدينية ولكنه حضارة كاملة .



للدكتور : عبد الله محمود شحاته

١ ـ خطأ المستشرقين :

وجه بعض المستشرقين نقدا الى تأليف القرآن ، وقال : انه جمع غير مؤتلف أشبه بقولهم : « خمر لبن عسل » .

ولم يستطع أن يتبين ما في القرآن من روابط خفية ، فالوحدة الكبرى التى تجمع بين آيات القرآن هي الحديث عن الأسلام وما يتعلق به ، ولكن هذا الحديث كان معجزا متشابها يحس الأنسان فيه بصدق العاطفة وجمال التعبير وجودة الأداء . قال تعالى : (**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد**) الزمر/٢٢

وفي ترابط آيات القرآن سر تحس به النفوس وتخشع له القلوب ، وقد تعجز الكلمات عن التعبير عن التأثير القرآني وسطوته على القلوب .

٢ ـ رأي الدكتور دراز :

يرى الدكتور دراز أن القرآن يضرب به المثل في جودة السبك واحكام السرد حين ينتقل من فن الى فن .

ويرى : « أن هذه النقطة قد غفل عنها جميع المستشرقين ، فضلا عن بعض علماء المسلمين ، فعندما لاحظ بعضهم بنظرته السطحية عدم توافر التجانس والربط الطبيعي بين المواد التى تناولتها السور ، لم ير في القرآن الا أشتاتا من الأفكار المتنوعة ، عولجت بطريقة غير منظمة ، بينما رأى البعض الآخر أن علة هذا التشتيت المزعوم ترجع الى الحاجة لتخفيف الملل الناتج من رتابة

الأسلوب . وهناك فريق آخر يرى في الوحدة الأدبية لكل سورة ــ وهو مالا يستحيل نقله في أية ترجمة ــ نوعا من التعويض لهذا النقص الجوهري في وحدة المعنى .

وفريق آخر يضم غالبية المستشرقين ، « رأى أن هذا العيب يرجع الى الصحابة الذين جمعوا القرآن وقاموا بهذا الخلط عندما جمعوا أجزاءه ورتبوها على شكل سور » .

ويعقب الدكتور محمد عبد الله دراز :

« بأن هذه التفسيرات لا تبدو صالحة للأخذ بها ، اذ من المتفق عليه أن السور كانت بالشكل الذي نقرأها به اليوم ، وبتركيبها الحالي منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم » .

« ولقد اتضح أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا للسورة يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة .. ولا جدال في أن طريقة القرآن هذه ليس لها مثيل على الأطلاق في أي كتاب في الأدب أو في أي مجال آخر ، يمكن أن يكون قد تم تأليفه على هذا النحو . واذا كانت السور القرآنية من نتاج ظروف النزول ، تكون وحدتها المنطقية والأدبية معجزة المعجزات » .

٣ ــ نزول القرآن منجما :

لقد نزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة ، ثلاث عشرة سنة في مكة ، وعشر سنوات في المدينة . واستمر نزول بعض السور عشر سنين مثل سورة البقرة ، ومع ذلك احتفظت بالتناسق والترابط بين آياتها ، وبالترتيب والتجانس بين موضوعاتها .

« ومع أن السورة من القرآن كانت تنزل منجمة مقسطة وفي أوضاع تأليفية عجلى ومشتتة ، وبين أجزائها عناصر معنوية مختلفة ، ومع هذا سبكتها وأحكمت صنعتها يد الله السميع البصير ، فانظر الآن هل استطاعت هذه الأسباب على تضافرها ، أن تنال من استقامة النظم في السور المؤلفة على هذا النهج ؟. « أما العرب الذين تحداهم القرآن بسورة منه فلقد علمت لو أنهم وجدوا في نظم سورة منه مطمعا لطامع ، بله مغمزا لغامز لكان لهم معه شأن غير شأنهم وهم هم » .

٤ ــ كتاب النبأ العظيم :

كتاب النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ، من أقيم الكتب التى تحدثت عن القرآن ، فقد تحدث الكتاب عن الوحدة المعنوية للسورة ، وما في القرآن من اعجاز متعدد الألوان ، فمنه الأعجاز اللغوي والأعجاز العلمي ، والأعجاز التشريعي . وبين أن أسلوب القرآن هو ملتقى نهايات الفضيلة البيانية على تباعد ما بين أطرافها ، ووضع الدليل أمام القارىء قائلا :

« أقبل بنفسك على تدبر هذا النظم الكريم لتعرف بأي يد وضع بنيانه ، وعلى أي يمين صنع نظامه حتى كان كما وصفه الله (**قرآنا عربيا غير ذي عوج**) الزمر/٢٨ . اعمد الى سورة

من تلك السور التى تتناول أكثر من معنى واحد ، وما أكثرها في القرآن الكريم فهي جمهرته ، وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة ، ثم ارجع البصر كرتين : كيف بدئت ؟ وكيف ختمت ؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت ؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ، ووطأت أولاها لأخراها ، وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها ، أو مبانيها ، ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى . ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة واحدة حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها نزلت نجوما »

٥ ـ طبيعة وحدة السورة :

في السورة وحدة فكرية ، تعني أن هناك روابط بين أجزائها ، ويخطيء من يظن أن هذه الوحدة تعني أن السورة موضوع مستقل ، أو فصل في باب ، أو مبحث في كتاب .

فهناك فارق كبير بين طريقة القرآن ، وطريقة التأليف عند الناس . القرآن كتاب هداية يسلك الى النفوس طريقها ، ويتخولها بالموعظة بين الحين والآخر ، ولكنه جعل لكل سورة موضوعا غالبا عليها وسمات بارزة فيها .

٦ ـ رأي الاستاذ محمد المدني :

يقول أستاذي المرحوم الشيخ محمد المدني في مقدمة كتابه « المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء » .

ان في كل سورة من سور القرآن الكريم روحا يسرى في آياتها ، ويسيطر على مبادئها وأحكامها وتوجيهاتها وأسلوبها .

« ومن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بوضع الآيات التى تنزل عليه منجمة في مواضعها من السور ، وأن ذلك كان عن وحي يتلقاه عليه الصلاة والسلام من جبريل ، عن الله رب العالمين ، فهل كان ذلك الا لمعنى ؟.. وهل يأمر الله تعالى بوضع هذه الآيات هنا ، وهذه الآيات هناك الا لحكمة ؟. وقد عنى المفسرون بكثير من الجوانب المتصلة بدراسة القرآن الكريم ، وقل فيهم من عنى بهذا الجانب الذي هو دراسة الروح العام لكل سورة ، والغرض الذي تهدف اليه .

ومن الواضح أن سور القرآن مع كون كل واحدة منها ذات طابع خاص وروح يرى في نواحيها ، لا يمكن أن تعد فصولا أو أبوابا مقسمة منسقة على نمط التأليف التى يؤلفها الناس ، ومن أراد أن يفهمها على ذلك أو أن يفسرها على ذلك ، فانه يكون متكلفا مشتطا محاولا أن يخرج بالقرآن عن أسلوبه الخاص ، والذي هو التنقل والمراوحة والتحول ، وبث العظة في تضاعيف القول والوقوف عند العبرة لتجليتها ، والتوجه الى مغزاها ، وانتهاز الفرصة أينما واتت لدعم العقيدة السليمة والمباديء القويمة .

ان هناك فرقا بين من يحاول أن يفعل ذلك ومن يحاول أن يجعل القاريء يلمح الروح الساري ،

والبيئة المعنوية الخاصة التى تجول فيها السورة دون أن يخرج التنزيل الحكيم عن سنته وأسلوبه الذي انفرد به ، وكان من أهم نواحي الأعجاز فيه .

وهذه الطريقة في الدراسة القرآنية أجدى على الناس من تتبع الآيات آية بعد آية بحسب ورودها في السورة ، ومن تتبع جمل كل آية وكلمات كل آية ، وأحيانا حروف كل آية أيضا ، ليدرس كل ذلك على نحو من التفصيل والاجمال ، أو على نحو من التطويل والأيجاز ، فان ذلك لا يعطي المنظر العام ، ولا يساعد على تصور عظمة الصورة مجتمعة الملامح منضمة التقاسيم ، كاملة الوضع .

٧ ـ خاتمة :

ان النظرة الكاملة للسورة تبرز شخصيتها وتجعل القاريء يتعرف على فكرتها العامة ، ويتتبع موضوعاتها داخل الأطار العام المميز لها عن غيرها .

وشتان بين صورة متكاملة متجانسة ، وبين أجزاء مفككة مقطعة لهذه الصورة .

شتان بين من يصف قصرا شامخا ببيان نوع أحجاره ولبناته وأخشابه وحديده ومقابض أبوابه ، وبين من ينظر الى جملته كبيت كامل أو كصرح عظيم .

يرى الامام أبو حامد الغزالي أنه شتان بين من يقدم عبدا هدية لأنسان وبين من يقطع أوصاله ليقدمها هدية ، مع أن العبد في الواقع هو مجموع هذه الأجزاء .

ويقول الغزالي : « الصلاة المشتملة على الركوع والسجود وسائر الأركان بدون حضور القلب ، أشبه بأجزاء العبد حين تقدم هدية ، أما الصلاة المشتملة على الخشوع وحضور القلب فهي أشبه بالعبد الكامل حين يقدم هدية فيها الروح والحياة والجمال » .

لقد تكفل الله بحفظ كتابه ، وهذا الحفظ لا يعني حفظ النصوص وحدها ، ولكنه يعني أيضا حفظ المعنى والروح الهادية في القرآن الكريم ، وما أحوجنا أن نتعرف على روح القرآن الهادية ، وأن نستلهم منه العظة والعبرة ، وأن نستهدي بأهداف سوره ومقاصدها وآداب آياته وأحكامها .

ان هناك يقظة فكرية في البلاد الأسلامية ، وتوجد رغبة ملحة في أن يعود المسلمون الى القرآن ، وأن يتعرفوا على هديه .

وفي رأيي أن تيسير الأهداف العامة للسورة ، وتوضيح أفكارها وسماتها ، يساعد القاريء على ادراك الروح العامة للآيات ، والأحساس بالوشائج والصلات التى تربط بين أجزاء كل سورة ، وهذا يسهل الحفظ لمن أراد الحفظ ، ويسهل الأحاطة بالمعنى الأجمالي للآيات لمن أراد القراءة والتلاوة ، ويقرب القرآن وييسر فهمه ، حتى يتعظ به المؤمنون ، ويهتدي به المسلمون ، وصدق الله العظيم : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** القمر/١٧ .



للدكتور / عبد الفتاح محمد محمد سلامه

تراهم ركعا سجدا :

المجتمع الاسلامي ــ الذي صنعه القرآن تحت راية التوحيد ــ مجتمع نابض بالحياة ، موار بالحركة ، زاخر بالنشاط في شتى الميادين والمناحي ، لا تقعد به همته العالية أن يتطاوس ويحلق ، حتى يتعانق مع أسرار الكون ، ونواميس الوجود ، متفاعلا معها ، مهيمنا عليها ، لأن الله هكذا خلقه ، وعلى هذا العطاء ذرأه .. فهو بحكم طبيعته المستمدة من القيم المغروسة فيه ، لا يعرف السلبية او الانزواء ، كما انه يرفض ــ بكل حزم وقوة ــ ان يتراجع او ينهزم في معارك التعمير والبناء .. ويعجبني في هذا المقام كلمة جرت على لسان ، فيلسوف الاسلام وشاعره الأمجد « محمد اقبال » ــ سقى الله جدثه وابل الرحمة ــ : قال فيها :

« المؤمن الضعيف هو الذي يعتذر بالقضاء والقدر ، اما المؤمن القوي فهو قدر الله الذي يتحدى به الأشياء .. » ..

والكتاب المقدس ـ القرآن ـ واضح كل الوضوح ، في تقريره لهذه الحقيقة الساطعة ، حيث يعلن :

(ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ..) القصص /٧٧

ولقد كانت الديانة المسيحية في جوهرها ، دعوة صريحة الى تعميق المفاهيم الروحية ، ونشر مبادىء الحب والتسامح ، بين جماعة بني اسرائيل المتنمرة ، والتي كانت تطفح بكل معاني اللؤم والغدر والخسة والخيانة .. حتى روي عن المسيح ـ عليه السلام ـ قوله :

« من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر .. »
« المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسره » ..

ولكن هذه التوجيهات الانسانية النبيلة ، والتي صدرت من روح الله وكلمته ، لم تجد صدى في بيئة معتمة ، أوغلت في العداوة ، وارتضعت من لبان الجريمة ، وكانت تتعطش الى سفك الدماء ، وتتوق الى ازهاق الأرواح ، بعدما كندت طبيعة من فيها من اليهود ، وسرت المادية في اوصالهم ، فتحجرت منهم القلوب ، وتصلدت النفوس ، وخربت الضمائر ، فاستحال هؤلاء الشرائم ، وأولئك الأوزاع الى حيوانات شرسة ضارية ، وثعالب ماكرة ختالة ، لا بضاعة لها الا النهب والتكالب ، ولا مصلحة لها الا الاستغلال الجشع ، وارواء جانب الأثرة الطاغية التي تمكنت منها ايما تمكن ، فصبغت سلوكها بصبغة مادية مسعورة .. لا تبض بقطرة واحدة من ادب او حياء :

ومن ثم ، فان مبادىء المسيحية ما لبثت ان انكمشت وتلاشت ، بل انها تبخرت تماما على ساحة المجتمع اليهودي الصاخب المعربد ، واخفق اقطاب المسيحية ، ومن خلفوا عيسى في دعوته ، إخفاقا كاملا ، وفشلوا فشلا ذريعا ، في توجيه دفة السفينة ، والقبض على زمامها .

وضاق الدعاة ذرعا بمجتمعهم الرافض ، وافلس رصيدهم من القيم والشعارات والمثل في معالجته وتغيير معالم الشر المبثوثة في كيانه ، فحدث ما لا بد ان يحدث : فرار وعزلة ، وتقوقع ورهبنة ، وسخط وتذمر ، وكبت ، ومحاربة للحياة ، وسخط عليها .. وعداء سافر للوجود الانساني كل هذا تحول اليه دعاة الانجيل ، واخذ التمزق النفسي يطحنهم ويسحقهم ، فلجأوا الى المغارات وكهوف الجبال ، واعتكفوا في الأديرة والصوامع ، منقطعين مترهبنين عازفين عن الحياة وشؤونها ، بعد ان هزموا في ميدانها ، وتركوا ساحتها الرحيبة للشيطان يلعب فيها ويعبث بمقدسات الله .. ومن هنا فانهم فشلوا في تأدية رسالتهم ، لأنهم

الزموا انفسهم بهذا النظام ، وفرضوا عليها بدعة الرهبنة التي ما انزل الله بها من سلطان :

ويصور الذكر الحكيم هذا التحول الرهيب في حياة المسيحية فيقول الله تعالى :

(ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ..) الحديد /٢٦ ، ٢٧ ..

بات ظاهرا لذي عينين : ان رسالة الانجيل ، كما يمثلها دعاتها ، غير صالحة لمواكبة المسيرة البشرية ، فهي قد دعمت الجانب الروحي بقدر استطاعتها أما والمجتمعات الانسانية في حركة مائجة ، وأوضاع مهتزة ، فقد اصبحت تتطلب بعثا جديدا ، وتستدعي قيادة رشيدة ، تعبر بها المفاوز ، وعلى دعاة الانجيل القاصرين ان يسلموا اللواء ، لمن هو اقدر منهم على حمل اللواء :

يا باري القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس باريها

فكان ان سجل التاريخ بين احداثه الجسام : ظهور المجتمع الاسلامي بقيادة ابرز الشخصيات العالمية منذ ان برأ الله النسمة والى ان ينفض سرادق هذه الحياة .. الا وهو سيدنا ومولانا رسول الله محمد بن عبد الله .. وأثبتت الأيام ان هذا المجتمع المذكور ، هو اقدر المجتمعات على مواكبة مسيرة الانسانية ، وقيادة قافلة الحضارة ، وتعبئة الزمن بطاقات مبدعة لصناعة الرجال ، وتكوين الأجيال ، وتربية الابطال .. فدستوره نزل ليصلح الحياة وما بعدها ، ويخلق من اتباعه اناسا ينغمسون في اعماق الدنيا بانين مشيدين ، يقومون معوجها ، ويرفعون فيها للفضائل والمكرمات مكانا عليا ..

ونحن وان كنا قد جمعتنا لقاءات سابقة مع مجتمع التوحيد الأول ، على صفحات هذه المجلة الغراء ، فان اللقاء الذي يضمنا الآن يشع بالعبادة ، ويموج بالذكر ، وتتمثل فيه المحاريب ، وقد استقبلت أفواجا وزمرا من القائمين والعاكفين والركع السجود .. أليسوا هم الذين قال الله فيهم :

(تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من

أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ..) ؟ .. الفتح / ٢٩ ..

بلى !!! إنهم هم أتباع محمد عليه الصلوات والتسليمات ، وهذه النعوت مكملة لهم ، وتبرز شخصياتهم في دنيا الناس ، مثلما تبرز الثريا في عالم الكواكب ..

فهم غزاة فاتحون ، حاكمون مؤسسون ، صناع حضارة ، ومشيدو مدنية ، رواد علم ، وحماة ثقافة ، أرباب فكر اصيل وعقل مستنير ... والتاريخ بذلك خير شاهد ...

ومع كونهم يقفون في محراب الحياة ، خلايا نشطة واعية ، لها في ميادين التعمير والبناء والرقي المادي والأدبي صولات وجولات .. فانهم في الوقت ذاته يمثلون في محراب العبادة لا يغفلون عنه ، ويزودون انفسهم بزاد منه ، وذلك ليثبتوا لكل ذي لب : أن الحياة لا تصلح إلا اذا كان الدين هو القائم عليها ، والموجه لها ، والحارس الامين لقضاياها ، وكانت هي ترجمة صادقة لنظمه ومبادئه .. ورحم الله « إقبال » حين هتف :

إذا الايمـــان ضاع فلا أمان ولا دنيـــا لمن لم يحـــي دينا
ومـــن رضي الحيـــاة بغـير دين فقـــد جعـل الفنـــاء لهـــا قرينا

ونحن ــ بكل فخر واعزاز ــ لا نقصد بالدين الا الاسلام ، شريعة الله الخاتمة الخالدة :

(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ..) آل عمران / ٨٥ فهي شريعة الدنيا والآخرة ، فلا رهبانية ولا عزلة ولا انقطاع ، ولا فرار إلى الكهوف ، ولا تعذيب للأجسام ، ولا تنكر للحياة ، ولا تجهم في وجهها .. الم يقل رسولها العظيم ..

« لا رهبانية في الاسلام » .. الطبراني في الأوسط .. « رهبانية أمتي الجهاد .. » .. ابو داود .. « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه وإنما خيركم من أخذ من هذه وهذه .. » .. الترمذي .. ؟؟؟

واذا كان الأمر كما قررنا ، فان ربنا ــ تبارك وجل في علاه ــ قد وصف أتباع النبي الامي ، وهم البذور الأولى في مجتمع التوحيد الأشم ، فقال :
(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..) .. الفتح / ٢٩

فهم قوم يعيشون حياتهم بكل ما فيها من نشاط دافق ، وسعي موفور ، لا يعرفون الخور او الضعف ، وانما يعطون الحياة خير ما فيها ، مما يسعدها ويرقيها .. اما النص الذي معنا الآن :

(**تراهم ركعا سجدا** ....) .... فانه يشير الى دعامة متينة وخطيرة من دعائم « مجتمع التوحيد الحضاري » في ظلال القرآن .. ألا وهي : الصلاة ...

وليس هناك من وسيلة فذة لكسب رضا الله ، وتعميق الصلة به ايمانا واعتقادا ، أزكى ولا أقدس من تلك الساعات التي يقف فيها المؤمن بين يدي ربه خاشعا ، يقشعر منه الجلد ، ويذوب فيه القلب ، ويلج الى عالم الصفاء والطهر والنقاء ، فينادي مولاه ويناجيه ، وهنا يدرك العبد أن سيده العظيم أقرب اليه من حبل الوريد .

جاء في الحديث القدسي : « وما تقرب الى عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه .. » .. رواه مسلم ..

ومن هنا ندرك سر التعبير في وصف جماعة المؤمنين بأنك :

« تراهم ركعا سجدا » .. فينعتهم القرآن بهذين النعتين الجليلين ، ويضفي عليهم هاتين الهالتين المضيئتين .. « الركوع والسجود » .. واذا كان الركوع يمثل الخضوع والاذعان لله رب العالمين ، فان السجود يتحول الى رمز كبير يحوي قمة العبودية ، ويشير الى ذروة الوصول للاله الكبير المتعال ..

« اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .. » .. الترمذي

ونحن نلمح على هذا التعبير (**تراهم ركعا سجدا ..**) مسحات مشعة وايحاءات مشرقة من الجمال البياني الأخاذ .. الذي يصورهم في هذه الصورة القانتة العابدة ، ويبرزهم في ذاك الاطار المهيب ، الذي يعلوه الوقار ، ويجلله البهاء ، وما بالك بقوم اذا توجهت اليهم بنظراتك ، او وقعت عليهم عيناك ، فانك لن ترى منهم الا متلبسا بركوع او سجود ، ولن تبصرهم الا على حالة من العبادة المنيبة المتبتلة ، فكأن ديدنهم وشعارهم ، بل وشغلهم الشاغل هو : أن يراهم ربهم في محل طاعته ، ويفتقدهم حيث نهاهم ، وهم بذلك يكونون قد وصلوا الى

اعلى مراتب العبادة والتجرد لله الواحد الديان ، حيث مقام الاحسان ، الذي يتحدث عنه سيد ولد عدنان :

« الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك ... » ... رواه الشيخان ...

وهذه الصفوة المؤمنة انطبعت حياتها بطابع الطاعة لله ، والامتثال له ، والتوجه اليه ، فهي قد اتحدت مع الكون ، وانصهرت في بوتقته ، وتجانست مع نواميسه ، حيث يصبح الجميع وحدة متسقة ، تهتف بلسان الحال ، وتقر بلسان المقال ، معترفة بالجمال والكمال ، لربك ذي الجلال :

(الم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ..) .. الحج / ١٨ ..

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ...) .. الاسراء / ٤٤ ..

ولأجل أن يبرز القرآن هذا المعنى واضحا جليا ، يأتي بالصيغتين الكريمتين وهما : (**ركعا سجدا**) . بما تشتمل عليه كل منهما من مبالغة وكثرة وزيادة ، نتيجة التشديد الكائن في مادة الكلمة ، ولا يخفى عليك جمال الايقاع والرنين الموسيقي العذب الذي ينبعث من تأليف ذينكما اللفظين الرقيقين بطريقة تأخذ بمجامع القلوب ، وتلك ناحية يدركها أرباب البلاغة ، ويتذوقها أصحاب الأحاسيس الأدبية الرفيعة ، التي يستثيرها القول الجميل ، ويحرك كوامنها التعبير الجليل ، ويقدح زناد عاطفتها التركيب الرصين ..

والصلاة في لغة القرآن تعني عبادة القلب واللسان والجوارح ، وهي مقوم اصيل من مقومات المجتمع الحضاري في ظل الاسلام ، لأنها تخلع عليه ظلالا وارفة من الأمن والرضا ، وتجعله يشعر بالسكينة تنزل عليه ، وتوفر له اسباب السعادة ، بل وتغسل عنه الأوضار والأكدار ، وتصب سلوكه وأفعاله في قوالب من الاتقان والابداع ، فعلى قبس من نورها يمضي المؤمن في عمله هادىء النفس ، واثق الخطى ، عامر الفؤاد بيقين في الله لا يهتز ولا يتزعزع ، لا ترجف به الأرض ، ولا يشطح به الخيال ، ولا تلعب به الاماني ، ولا يغره بالله الغرور .. وإنما يكون متصلا بحبل ربه المتين ، يأخذ عنه ، ويستقي من ورده ، ويغترف من نبعه ، فيعرف الحقائق ، وتتجلى له الأشياء ..

والقرآن الكريم يقرر هذه القضية ، ويسوقها في تأكيد جازم ، وذلك حيث يقول رب العزة :

(ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون ..) .. المعارج /١٩ ــ ٢٣ .

وجاء في الحديث الصحيح عن سيدنا رسول الله : « أنه كان إذا حزبه أمر ، فزع إلى الصلاة .. وقال بهذا أمرني ربي .. » .. مسلم ..

(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ..) .. طه /١٣٢ ..

بل ان الرسول العابد ــ وهو قائد مجتمع التوحيد ــ لتصل به درجة العشق للصلاة والهيام بها ، إلى حد الانبهار ، والشوق الجارف ، والحنين الدافق ، الذي لا يستطيع مغالبته .. فاذا بك تسمعه وهو يخاطب مؤذنه الأثير عنده ، بلغة وديعة وصوت مأنوس يقطر سلاسة وعذوبة ، وهو يقول بلسان المحب الوامق :

« أرحنا بالصلاة يا بلال ... » .. رواه البخاري

إي والله !!! أرحنا بها لا أرحنا منها ... !!!

وإنك لتعجب أشد العجب عندما تجد النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم ، يخلع على الصلاة هذه الصورة الباهرة ، ويبرزها في ذلك الاطار المضيء ، ويسوق لها ذاك المثل الفريد ، فيجعلها بلسما شافيا يطب الجروح ، ويبرىء السقام ، ويزيل عن الانسان أثقاله وهمومه ..

« أرأيتم لو أن نهرا بباب احدكم يغتسل فيه خمس مرات كل يوم ، هل كان يبقى من درنه شيء ؟؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا .. » .. رواه البخاري ..

فالصلاة روح الاسلام وشعاره ، ولباس الايمان ودثاره ، وهي قيمة خلقية حضارية ، غرسها القرآن المجيد في أعماق مجتمع التوحيد العظيم ، فعرج بها الى السموات العالية ، وتسنم بها ذرا الفضائل والمثاليات ، وغدا افراده رهبان الليل

وفرسان النهار ، فعندما يجن الظلام على احدهم ، وتغور نجومه ، ويرخي سدوله ، اذا بك تلفيه : يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرى غيري ، ألى تعرضت ؟ أم إلي تشوقت ؟ هيهات هيهات .. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ...

واذا كان الله قد أيد رسوله الكريم بالاسراء والمعراج ، وفيهما رأى محمد من آيات ربه الكبرى : **(ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين او أدنى)** . النجم /٨ ، ٩ وفيهما ايضا فرضت الصلاة في ساعة من ساعات القرب والاصطفاء والاجتباء ..

فانه لا ينبغي ان يغيب عن أذهاننا : ان هذه الصلاة بعينها قد جعلها ربنا إسراء بحياتنا ، ومعراجا لأرواحنا ، حيث نتخفف من وطأة الحياة ، ونتخلص من ماديتها ، ونزيح عن انفسنا قيودها واغلالها ، في فترات نخلو فيها الى خالقنا ، نحادثه ويحادثنا ، وندعوه ويستجيب لنا ، ونشكو اليه فيزيل شكاتنا ، وبذلك تعود لأرواحنا شفافيتها ورفافيتها ، ويؤوب لنفوسنا صفاؤها ونقاؤها ..

(وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ..) .. البقرة / ١٨٦ ..

ويقول فيه سيدنا رسول الله ، يخاطب الناس جميعا :

« الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين .. » .. البيهقي ..

الناس سواسية

عندما يصعد الانسان النظر ، ويقلب الفكر ، ويسلس القياد لتطلعاته ، فانه سيرمق عن قرب عالما ممزق الاوصال ، مقطع الروابط ، مبتوت الوشائج ، تأكله الاحقاد ، وتضطرم فيه نيران العداوة ، وتسري بين اوصاله روح البغضاء والكراهية . سوف يبصر حشود البشرية مطحونة مسحوقة متحاربة متصارعة ، تكاد لافلاسها من القيم تهوى من حالق ، وترتطم بالصخور . لقد اصبح الحال كما وصفه القرآن :
(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم/٤١ .
ومما يؤسف له ان حياتنا هذه ، تحكمها الآن تيارات رعناء ، متناقضة

الاهواء ، متباينة المشارب ، مختلفة المنازع ، وهي كلها تحكي ردة الفكر ، وشتات العاطفة ، وتصور الجاهلية الداكنة والانسانية تموج فيها ، وقد غشاها ما غشاها ، وغمرها ما غمرها من اشواب الباطل ، تعكس عليها ظلالا فاحمة من القتام الاسود الرهيب ، جعلتها تسبح في دائرة فضائية خواء ، وتتحرك في واد بلقع تلفه الوحشة ، وتكتنفه المتاهات . وما أرى الانسانية وهي تتخبط في مسيرتها ، الا وقد نسيت ارشاد ربها ، وتوجيه خالقها وبارئها ، حين صب في سمعها :

(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الانعام/١٥٣ ومنذ أن برزت الى الوجود ، في مطالع هذا القرن ، فكرة تفوق الجنس الآري ، او سيادة العقل الاوروبي ، وتسلطت على العالم هذه النزعة الهوجاء : بدأ الاستعمار الغربي المتغطرس : حملاته المحمومة المسعورة ، التي اكتوت بها الامم ، وزلزلت كيان الشعوب ، واخذ مد الطغيان يقوض دعائم الامن ، ويدك معاقل الاستقرار ، ويقبض بيد من حديد على كل ما يقع في حوزته من مال ، ويبتز من الاسلاب والخيرات ما ناهيك بكثرته وضخامته . وليت الامر وقف عند هذا الحد ، اذا لهان الخطب ، وخفت البلية ، ولكن طفح الكيل ، وجاوز السيل الزبى ، عندما استذل المستعمرون غيرهم من بني البشر وحولوهم الى ما يشبه العبيد والخدم ، ونظروا اليهم نظرة تنقص ومعابة ، وكأنهم مخلوقات حشرية او كائنات طفيلية ، يجب التخلص منها ، ويلزم استئصال شأفتها .

وذلك كله حدث ويحدث بدعوى ان العقل الاوروبي هو سيد العقول ، وان صاحبه ميزه الله باستعداد ، وحباه باختصاص ، حرم منه كل الناس ، فمن حقه ان يسود ويسيطر ، ويستغل ويستعمر ، ويستذل ويستعبد ، ويستولي على مقدرات الامم ، ويتحكم في مصائر الشعوب . وكنتيجة عكسية لهذا الاتجاه الأفن ، ظهرت التفرقة العنصرية ، وطفت آثارها الفادحة فوق السطح ، وظهرت عواقبها الوخيمة في بقاع شتى نكبت بالاستعمار ، ورزئت بهمومه واثقاله ، والمثل على ذلك : جنوب افريقيا حيث الاستعمار البرتغالي يكتم انفاس المواطنين السود ، ويجثم فوق صدورهم ، ويعاملهم باسلوب همجي بربري ، كله قمع وعنف ووحشية وقسوة تتنافى مع ابسط قواعد الانسانية . حتى الدول التي تدعى لنفسها تقدما ومدنية ، وبلغت في القوة المادية درجة خيالية . كأمريكا مثلا نكبت هي الاخرى بهذا اللون من الوان المعاملة فهناك الزنوج السود القاطنون في الولايات المتحدة ، يعانون اشد المعاناة ، ويقاسون انكى انواع المظالم التي يتعرض لها انسان . وكم قامت ثورات جائحة ، راح ضحيتها رجال ونساء واطفال ، ولكنها أخمدت ، وسحبت عليها ذيول النسيان

لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حيـاة لمن تنادي

وهكذا تحول الانسان الابيض المتمدين الى حيوان فاتك ، ووحش شرس ، يسفك الدماء ، ويزهق الارواح ، وكأن البشرية قد رجعت الى العهود البدائية ، يوم أن كانت تحكمها شرائع الغاب ، وتسوس حياتها قوانين الارهاب . بل صار الحال هو الذي عناه الشاعر حين هتف :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصـــوت إنســـان فكدت اطير

وفي عام ١٩٤٥ قامت المنظمة الدولية (الامم المتحدة) وهي هيئة انيطت بها امور خطيرة : تتمثل في رعاية العالم والسهر على راحته ، والضرب على يد الظالم ، وانصاف المظلوم المقهور ، وتقديم كافة المساعدة المادية والادبية للشعوب المستضعفة ، لتظفر بحريتها ، وتعتز بآدميتها ، ولكن هذه الهيئة الدولية ما تمكنت من القيام بدورها ، لتصارع ارباب النفوذ ، وتطاحن القوى العالمية ، وظل الناس في اقطار شتى يتحملون الوانا جمة من الويلات والشرور ، من جراء تسلط قوى البغي والطغيان .

ومن عجب انه في العام الذي ولد فيه : الميثاق العالمي لحقوق الانسان في ديسمبر ١٩٤٨ والذي اصدرته الامم المتحدة ، وقامت له الدنيا وقعدت في ذلكم العام الحزين بالنسبة لنا نحن العرب والمسلمين وقعت اعظم الجرائم الانسانية بشاعة وخسة ، حيث نهب شعب باكمله ، وطرد من دياره ، واخرج من ارضه ، وابتزت خيراته ، وخرج اكثر من مليون مسلم وعربي هائمين على وجوههم ، تحتويهم الخيام ، ويؤويهم العراء ، وتضمهم بطون الصحراء . وقعت جريمة فلسطين التي تندى لها جبين الانسانية حزنا وخجلا تحت سمع وبصر المنظمة العالمية وقامت دولة صهيون على حساب امة كانت تقول : لا اله إلا الله فماذا فعلت المنظمات والهيئات ؟ وماذا قدم ميثاق حقوق الانسان لشعب مغلوب على امره ؟ . لا شيء . بل وصل الامر منتهى القحة ، عندما بادر رئيس امريكا في ذلك الوقت : « ترومان » . واعترف بدولة العصابات اليهودية بعد قيامها باربع عشرة دقيقة ولله في خلقه شؤون .

ويحضرني في هذا المقام حديث لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستح فاصنع ما شئت » رواه البخاري ومسلم .

وناهيك بالنزعة العنصرية القاتمة التي أوغلت في دماء اليهود ، وصبغت فكرهم ، ولونت اتجاههم ، فجعلتهم يهرفون بمالا يعرفون ، وتنادوا بتفوق السلالات اليهودية ، وانها وحدها اهل لتكريم الله واصطفائه ، وان كلمة الرب قد القيت اليها من ضمير الغيب ، فلها السيادة والتعالي ، والقيادة والهيمنة . ومن ثم ، اذاعوا على سمع العالم انهم : « شعب الله المختار » . وان وعده —

سبحانه ـ بالتمكين والغلبة ، خاص بهم ، مقصور عليهم ، دون غيرهم من الناس . والقرآن الماجد يتغلغل الى اعماق هذه النفوس المظلمة ، المريضة بعقدة السيطرة والاستحواذ ، والتي يلعب فيها مركب النقص دوره الشائن المحقور ، ويستبطن اسرارها الغامضة المثيرة ، ثم يزيح عنها الاستار ، ويكشف الاقنعة ، لتبدو في جلاء على حقيقتها الرهيبة : وبذلك : « يفصح الصبح لذى عينين » يقول الكتاب الكريم محللا العقلية اليهودية المتهافتة :

(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) . المائدة/١٨ .

ويتحدث عن نزعة الغرور المادي ، التي اوصلتهم الى درجة الكفر الفاجر :

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) المائدة/ ٦٤ .

(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) آل عمران/ ١٨١ .

تلك امانيهم ، وهذه مزاعمهم ، ولا مراء في انها نزعات شريرة ، معربدة شقية مغامرة ، ينتكس بها الحق ، ويعم تحت دخانها الظلم ، ويخفت في ظلالها المخيفة صوت العدالة ، وتقوم بها للباطل دولة ، وتكون له صولة ، فتستباح الحرمات ، وتنتهك الحريات ، وتهدر آدمية الانسان ، ويفقد من جراء ذلك كل معنى كريم ، وتغيب عنه كل القيم الرفيعة ، وفي هذا الزحام تنقلب الامور ، وتنعكس الموازين ، وتفسد المعايير ، واذا ما سارت البشرية الى هذه الهاوية ، وتدلت الى هذا الدرك ، فقد باينها الرشد ، ونبابها الشيطان عن الهداية ، وهي ـ بذلك ـ الى الدمار تسعى حثيثا . وما لهذا خلق الانسان . وما لذاك العبث كانت حكمة الاستخلاف .

واذا اردت ان تعرف دستورا جامعا ، يرعى العلاقات الانسانية ، ويمجد اواصرها ، ويبوىء البشرية مكانتها القمينة بها ، فلا تنظر الى الشرق ، ولا ترن الى الغرب ، ولكن ارهف سمعك ، واصغ بحسك ، واستثر انتباهك لصوت كتاب الله ، يعلو داويا ، وينساب رقيقا حانيا ، يمسح الضغائن ، ويزيل الاحقاد ، انه يخاطب الناس ، كل الناس ، ويناديهم هذا النداء العطوف ، ليلقي في حبات قلوبهم هذا الاعلان ، بل ذاك الميثاق العالمي الخطير ، وهو ميثاق الهي ، ومنهج رباني ، حفيت اقدام البشرية ودميت ، وهي تسعى لاهثة اليه ، بينما هو كائن في صيدلية القرآن ، الذي انزل على محمد عليه الصلاة والسلام . انه يقول في حزم وحسم :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات/ ١٣ . أرأيت الى هذا العطر الفواح ؟ أرأيت الى هذا العالم الطهور الذي يحلق في آفاق غير

متناهية من الجمال والجلال والكمال ؟؟ انه عالم القرآن في تفرده ، وهمسه في خلوده وشموخه انه النور يشرق ، والضياء يتألق ، والهداية تسري ، والحياة تواكب مسيرة الحضارة الصاعدة الظافرة . وما اجمل ان يصافح سمعنا قول ربنا ، متحدثا عن تلكم المعاني المتوجة بالبهاء :

(الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) النور/ ٣٥ .

(وكذلك أو حينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم) الشورى/ ٥٢ .

ان الدساتير البشرية المنحوتة من الافكار القاصرة ، والثقافات المحدودة ، يجب ان تعرف قدرها ، ولا تتجاوز طوقها ، وكذلك المواثيق الدولية التي صاغتها اقلام ذهب بها الهوى كل مذهب ، فراحت تسوق مبادىء متباينة ، وتسوس الشعوب والامم بنظريات تخلو من الروح والمضمون .

اقول : ان هذا الحشد الهائل من الافكار والثقافات ، يجب ان يقف خاشعا امام دستور القرآن الامجد ، وهو يشرع للناس ، ويبني لهم الحياة الطيبة ، وهي حياة ترتكز على جوهر اصيل ، ومعنى نبيل ، يتماثل في قيمة حضارية ، سكبها القرآن انشودة معطرة ، في سمع الانسانية الضالة الحائرة ، فاذا بها تغدو عالما غنيا بالمبادىء والمثاليات واعني بهذه القيمة الحضارية : « المساواة » وذلك حين ينادي ربنا البشرية العزيزة التي نفخ فيها من روحه ، وهي مبثوثة في فصائلها الكثيرة :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) وهو نداء عزيز غال ، يهز أوتار القلوب ، ويثير كوامن الشوق في النفوس ، وفيه يخلع الله على الانسانية خلعة البهاء والوقار ، ويدثرها بحلية التكريم والتعظيم ، لأنه توجه اليها بهذا الخطاب الذي يفيض رقة وعذوبة ، وهو هنا ـ سبحانه ـ ينادي الناس ، كل الناس ، على اختلاف الوانهم والسنتهم ، ومللهم وجنسياتهم ، بدون تفريق او تمايز ، فالكل خلقه ، والجميع نفخة من روح قدرته ، بل ان التباين في الالوان والالسنة ، امارة من امارات العظمة المبدعة التي سجلها الكتاب الخالد لله رب العالمين :

(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) الروم/ ٢٢ .

فلم يعد منذ الآن ، وبعد هذا البيان ، من يتغنى بنزعة العرق ، أو يمتدح بظاهرة اللون ، او يتعالى بشارة اللغة ، أو يعزف على قيثارة الغرور نغمة نشازا لنعرة جاهلية كذوب . فكل هذه السمات والملامح ، من خلق الله وحده ، ومن ابداعاته الباهرة ـ تبارك وجل في علاه ـ وليس لأحد فيها فضل ، وليس له

اكتساب ـ فالناس بكل ما يموجون فيه من آيات التغاير ، قد ركب فيهم ، وبرزوا الى الحياة وهم يحملون بصماته .

وأنت ترى أن هذا الأسلوب الندائي ، قد توشى بالمساواة العامة الشاملة ، وأن الناس بها قد أعطوا شحنات كبيرة من الانتباه ، ومنحوا طاقات من الاثارة ، شدتهم الى خالقهم ، وجذبتهم اليه ، فاشرأبوا وتطاولوا ، ورنوا وتطلعوا ، وكلهم متهيىء ليسمع خطاب الملك العلام ، للبشر في كل زمان ومكان :

(انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

وبتقرير هذه الحقيقة الخطيرة ، طاشت أقوال الفلاسفة ، وذهبت آراؤهم قبض الريح ، وظهرت أفكارهم بزيفها وهزالها وسطحيتها ، حيث زعموا قديما : أن الخلق في أصل تكوينهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام : البيض وقد خلقهم الرب من فمه ، والحمر وقد أوجدهم الله من بطنه ، والسود وقد أنبتهم الخالق من قدمه ، ولذلك فهم أشرار ، وملاعين ، ويلزم تسخيرهم خدما وعبيدا .

وفي الوقت الذي تسود فيه هذه الآراء الواردة عن فلاسفة اليونان ، نرى القرآن العزيز يصدع بهذا البيان ، ويسوق هذه القضية التي هزت الانسانية في أعمق أعماقها ، وجعلتها تسجل بحروف من نور ذاك الحدث الفريد من نوعه ، والذي صبه محمد بن عبد الله ، وهو يشيد مجتمع التوحيد على تقوى من الله ورضوان . الناس أصلهم واحد ، مربوبون لرب واحد ، فلم يخلق صنف منهم من ذهب ، والآخر من خشب ، ولم يفطر الله نوعا من عباده من ماس ، والثاني من حجارة ، أبدا جلت حكمة الله عن هذا العبث ، وتعالت عن ذاك الهراء . فآدم أب البشرية ، تحدث القرآن عن الأصل الذي انحدر منه فقال : **(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)** المؤمنون /١٢ .

هذه السلالة الطينية الترابية ، أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئا مذكورا ، ثم بث الله فيها الروح ، فصارت نفسا زاكية مشرقة هي : آدم ، ثم خلق الله من تلك النفس زوجا لها لتؤنسها وتذهب وحشتها ، ولتتم بعد ذلك عملية الانجاب ، ويكثر النوع ، ويعمر الكون .

ويحلق بنا القرآن في هذه الآفاق ، ويقرع أسماعنا بالحقيقة المجلجلة :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) النساء/١ .

ذلكم مبدأ الاسلام ، وتلكم هي القاعدة الصلبة التي أسس عليها مجتمع التوحيد بنيانه الشاهق ، عالي الهامات ، رفيع الذرا ، سامق الأعمدة وسار عليها سيرته التي أذهلت التاريخ ، فلم تكن كلمة « المساواة » في قاموس القرآن مجرد شعار أجوف ، وانما كانت تطبيقا حيا أمينا ، وأصبحت دستورا فذا ، يحتكم اليه أتباع محمد عليه الصلاة والسلام . ويلوذون به ، فيجدون عنده المرفأ الأمين ، والبلسم الشافي ، الذي يطب الجروح ويداوي السقام . ورحم الله أمير

الشعراء : « أحمد شوقي » عندما وصف شريعة القرآن شريعة العدالة فقال :

الله فوق الخلق فيها وحده	والناس تحت لوائها أكفاء
والبر عندك ذمة وفريضة	لا منة ممنونة وجباء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى	فالكل في حق الحياة سواء

وإذا كان الناس جميعا متساوين في مبدأ الخلقة ، كما نطق بذلك القرآن ، فان من سمات مجتمع التوحيد بقيادة محمد بن عبد الله ، أنه لا يلقى بالا الى الأمور الشكلية العارضة ، التي قد تغشى الانسان وقد تفارقه من مال وجاه وصولجان ولون . فهذه كلها في ميزان الاسلام خواء ، لا تغير من جوهر الشخصية ، ولا تغني عنها فتيلا ، اذا طاش سهمها ، وخاب سعيها في مجال القيم والأخلاق والمثاليات والعقائد .

وهذه تجربة مثيرة جلاها القرآن ، ووضعها في اطار انساني مهيب ، ونحن نستشف من خلالها : كيف نفذا الكتاب الخالد بمبدأ المساواة الى قلوب الناس وعقولهم ، وحطم به كبرياء الجبابرة ، وأذل به جبروتهم ، وخضد به شوكتهم ، ومرغ به في الأوحال طغيانهم :

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الأنبياء/١٨ . هل تبصر عصابة الشرك هذه ؟ انها تقدم على رسول الله متأففة متضجرة ، تنتفخ أوداجها ، وتشمخ بأنوفها ، متعالية متعاظمة ، يسوقها غرور عنيد ، ويزين لها شيطان عتيد ، وهي تلح على النبي الجليل : إذا أراد أن يدعوهم بدعاية الاسلام ، ألا يسوي بينهم وبين العبيد والفقراء في مجلس واحد ، فهم قوم أغنياء يتربعون على عرش الزعامة في قريش ، فكيف وهم علية الناس وذؤاباتهم يضمهم مكان فيه : صهيب وبلال وسلمان وعمار ، وغيرهم من المستضعفين الذين يلبسون رث الثياب ، وليس لديهم ما يعتزون به من عرض الحياة ، ولا ما يشمخون به من زينتها وتيجانها ؟ ؟

وكاد الرسول العظيم ـ وقد كان حريصا على نشر الدعوة بكل سبيل ـ أن يقتنع بوجهة نظرهم ، ويسايرهم فيما يرتأون الا أن الوحي نزل ليسدد خطاه على الطريق ، ويحسم القضية المثيرة من جذورها ، لتمد الانسانية جمعاء بالدروس النافعة ، وتغذيها بالمنهج الواضح ، وتسعفها بالعبرة ، وتزودها بالموعظة .

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف/٢٨و٢٩ .

هنا يقف الزمن ، ويخشع الدهر ، وتنصت الحياة ، ويكتب التاريخ في سجلاته شهادة الحق لخير المجتمعات ، وخير الأمم ، وأكرم بها من شهادة

أملاها : من لا يحابي ولا يداري ولا يداجي ، ولا يخاف أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد . أتدري من هو ؟ انه الله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/ ١١٠ .

بل أن سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم ، بدرت منه بادرة لعبد الله بن أم مكتوم ، فامتعض وجهه ، وتقطب جبينه ، وعبس وأعرض عنه ، وقد جاءه ذات يوم ، يبغي عنده هداية وتذكيرا ، وتزكية وتطهيرا ، وكان الرسول مشغولا بدعوة أكابر القوم الى الاسلام ، فكره من هذا الرجل – وكان أعمى – أن يأتي اليه ، ويقطع عليه حديثه ، ومع كل هذا فقد نزل القرآن يعاتبه وينهي اليه أنه لا يرضى منه ذلك الأسلوب الجاف في معاملة هذا الانسان المحروم المتعطش الى الرى ، الظامىء الى المعرفة : استمع الى تلك الصورة الانسانية الفريدة ، يسكبها الكتاب المعجز نغما حلوا ، في همس رقيق ، ولفظ أنيق ، وتعبير رشيق :

(عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة) عبس/ ١ – ١١ .

ولقد كان سيدنا رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، بعدها ، اذا أقبل عليه ابن أم مكتوم ، يحتفي به ، ويكرم وفادته ، ويهش له ويبش ، بل ويفرش له عباءته .

أرأيت دستورا بشريا يداني هذا الدستور ؟ ان كل ما سنه أصحاب القرائح من حقوق انسانية ، لو صيغ مبلورا مجموعا ومحبوكا ، فانه لن يتعدى بعض مضامين اشتملت عليها الآية الكريمة التي نحلق في أجوائها المعبقة بالشذى ، المضمخة بالعطور وأعني :

(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى)

ولم ينفرد القرآن بالدعوة الى هذا المبدأ الخالد ، مبدأ المساواة ، فهناك السنة الواردة عن معلم الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام ، والتي تعتبر الناس جميعا سواسية كأسنان المشط ، ومن ثم أصبح تلامذة النبي الكريم اخوة أندادا متحابين ، قد تلاشت بينهم الفواصل ، وتمزقت الحجب ، لأنهم عرفوا أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة ، وأنهم يعبدون ربا واحدا .

يقول أمير الأنبياء في حجة الوداع :

« أيها الناس !! ان أباكم واحد ، وإن ربكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، آلا هل بلغت ؟؟ اللهم فاشهد » رواه الشيخان .

ويخشى الرسول الحبيب ، أن تصيب أهله عقدة التعالي على الناس ، فيغترون بعنصريتهم ، وكونهم فرعا من دوحة الرسالة الباسقة ، ويتكلون على هذه

النزعة ، ويذرون العمل الذي يقربهم الى الله . فتراه يسدي اليهم هذه النصيحة الغالية ، ويسوق اليهم ذلك التوجيه الرشيد ، في صورة نهي مغلف بغلالة رقيقة من العطف والاشفاق :

« لا يأت الناس بالأعمال ، وتأتوني بالأحساب والأنساب ، فلقد علمتم أنه ليس لأحد فضل على أحد الا بالتقوى » الترمذي :

« الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا ، والنار لمن عصاني ولو كان هاشميا قرشيا » ابن ماجة وغيره .

إن مجتمعا يتلاحم فيه الأفراد هذا التلاحم الفذ العجيب ، وتختفي من أجوائه الطائفية والعصبية والحزبية والعنصرية ، لتشغل مكانها كل معاني الحب والصفاء والنقاء ، لتصبح هي الديدن والشعار الذي يظلل أبناء الاسلام بلوائه الخفاق . بل أن أمة يتساوى فيها بالمناكب والأقدام : بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي مع محمد النبي ، لهي أمة قمينة بالزعامة ، جديرة بالريادة ، وهي أهل لأن توجه مسيرة الحياة ، وترعى وثبتها ، وتبارك زحفها :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة/١٤٣ .

تلك سنة العدل ، وهذه شريعة المساواة التي أقام الاسلام العظيم ميزانها ، وجعلها ناموسا عاما يحكم البشرية ، ويسوس أمرها فالناس في مقياس القرآن السديد ، أسرة إنسانية واحدة ، لكل فرد فيها كافة الحقوق التي لأخيه ، بطريقة تحفظ توازن المجتمع ، ولا تترك ثغرة واحدة لظلم مستبد ، أو انتهازية رخيصة ، أو استعلاء كاذب . وبذلك يتسنى لمجتمع التوحيد ، أن يمارس أفراده حقوقهم ، ويعبرون عن آرائهم وخوالجهم في حرية كاملة ، لا في ديمقراطية مزيفة ، تبيح للناس الكلام ، وهي في الواقع تكبلهم بقبضات الحديد .

لقد كان أتباع النبي يطبقون مبدأ الشورى في أسمى صورها ، وأنضر حللها ، حتى مع زعيمهم وقائدهم العظيم محمد ، والرسول الجليل تنبهر نفسه ، حين يرى بين تلاميذه هذه الطاقات الخصبة ، وتلك الشجاعة الصادعة ، وحين يبصر أن مدرسة الوحي ، قد أنجبت رجالا أعزة لا يعرفون الخور ، ولا يقبلون التبعية الذليلة ، بل عندهم ملكة النقد الصائب ، والنظر العميق ، وتلك كلها قيم غرسها القرآن فيهم وهو يضع اللبنات الأولى لمجتمع « لا اله الا الله » :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) آل عمران/١٥٩ .

وتورد لنا السيرة العاطرة حادثة مثيرة ، يتكشف لنا من ثناياها كيف كان الصحابة يصقلون أنفسهم على محك الديمقراطية الربانية ، وليست الفارغة الكاذبة كتلك التي اخترعها ويخترعها سماسرة الأمم ، وتجار الشعوب من أولئكم

المزايدين المنافقين .

فلقد نزل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالناس منزلا في غزوة بدر الكبرى ، فقام الحباب بن المنذر وقال لرسول الله في جرأة وصراحة لا تعرف الضعف : يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل الذي نزلته أهو منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول النبيل : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال الحباب : ان هذا ليس بمنزل ولكن أرى أن ننزل أدنى ماء من القوم فنحفر حوضا ونملأه بالماء ونقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فانبهر الرسول بالرأي وتقبله في رضا وارتياح .

هكذا الفرد في معيار الاسلام ، انسان له حريته ، وعضو له كرامته ، ومخلوق عزيز لا تهون عليه آدميته ، مهما كان وضعه الاجتماعي ، وكيفما كانت ظروفه الانسانية . ألم يقل الرسول في سلمان الفارسي : « سلمان منا آل البيت » ؟ رواه ابن ماجة .

ألم يقل عمر بن الخطاب الخليفة الملهم في بلال بن رباح العبد الحبشي : أبو بكر سيدنا وأعتق بلالا سيدنا ؟ ؟

ألم تعارض امرأة عجوز عمر الفاروق وتصحح له حكما يتعلق بمهور النساء ، وكان يريد أن يحمل الناس عليه ، فما زاد على أن قال : كل الناس أفقه منك يا عمر حتى العجائز ؟ ؟

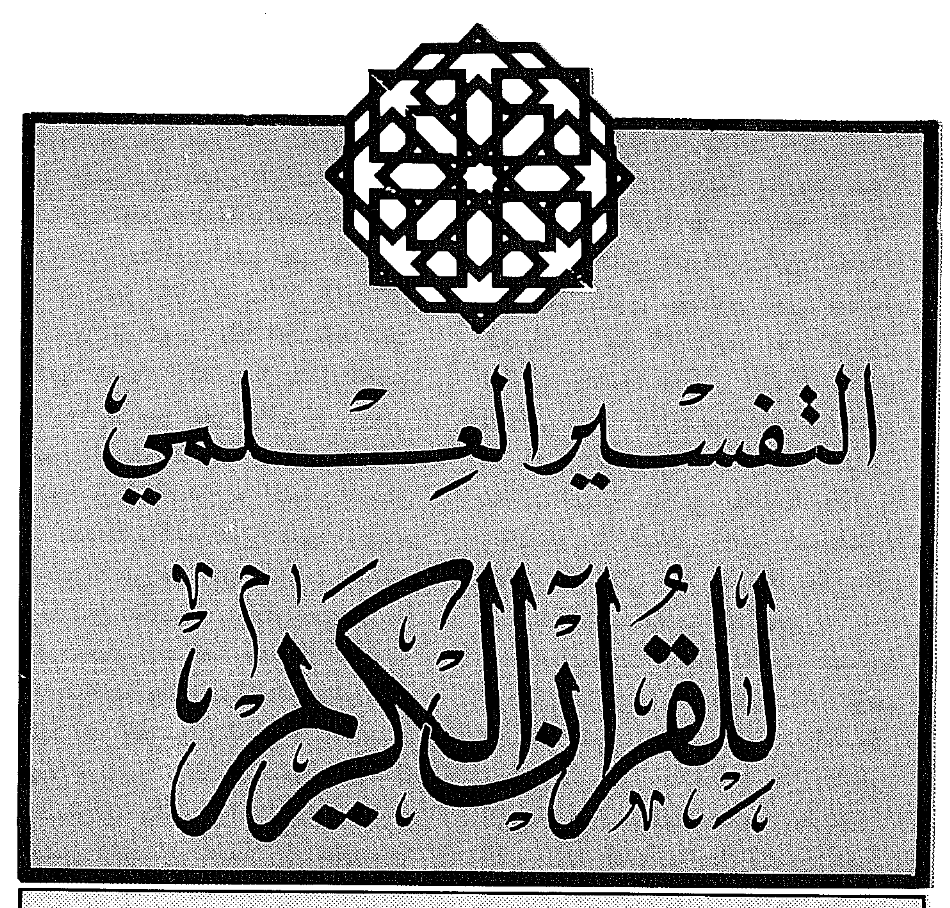
ألا لله در مجتمع هذا شأنه ، وتلك سيرته ، وهاتيك مناقبه ، فأرح نفسك ولا تشقها بالبحث ، فوالله لن تعثر عليه لا في الشرق ولا في الغرب ولا بين قواميس الفلسفة ، ولا حتى في عالم الخيال والمثاليات فاذا رمت عثورا عليه فانك واجده حتما في دساتير القرآن ، وفي مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام .

وأكرم يا أخي بمجتمع يأخذ فيه العبد المهيض الجناح حقه من السيد الشريف ، في مساواة فذة تخشع لها الانسانية ، وتنحني لها هامة التاريخ : حدث هذا عندما تعالى أبو ذر الغفاري على بلال العبد الحبشي وعيره بأمه وقال له : يا ابن السوداء . ويشكوه بلال الى الرسول الأعظم : ويغضب الرسول ويقول لأبي ذر :

« أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » البخاري .

وما أن سمع أبو ذر هذا التأنيب من سيد الرسل حتى نام ووضع خده على التراب وقال : والله لا أنهض حتى يطأ بلال خدي بقدمه .

تلك هي المساواة الحقة ، والعدالة النادرة التي قام عليها مجتمع التوحيد دون غيره من المجتمعات ، في ظلال القرآن الكريم



التفسير العلمي للقرآن الكريم

للدكتور/ محمد جمال الدين الفندي

كثر الحديث حول هذا الموضوع ، خصوصا من جانب المعارضين الذين تكاد تنحصر حجتهم في ما يذهبون اليه من أن العلم يتغير ، وهم بذلك انما يقصدون النظريات العلمية بطبيعة الحال ، ومن غير الملائم اذا ، بل ومن الخطر بمكان — حسب رأيهم هذا — ان نعلق على آيات الذكر الحكيم أو نفسرها بشيء يتغير ويتبدل الى النقيض في بعض الأحيان !

والحق أن من بين المفسرين العلميين الحديثين من أساءوا الى هذا الواجب الديني ، وأقصد به تفسير القضايا العلمية التى أثارها القرآن الكريم في ظل الثابت من حقائق العلم وفي ظل تلك الافاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم ، ذلك اما لكونهم تخطوا حدود الثابت من حقائق العلم مما غاب عن ادراكهم أو خرج عن نطاق تخصصاتهم ، واما لأنهم حملوا الآيات الكريمة ما لا تحتمله من معاني او تأويل !!

وكثيرا ما سألني الباحثون عن رأيي في هذا الأمر فكنت أصرح بأن المبدأ (يعني التفسير العلمي للقرآن الكريم) في حد ذاته سليم بل وواجب

علمي وديني في نفس الوقت ، ولكن علينا أن نتوخى الدقة والسلامة فيما نسوق من حقائق العلم التى لا تتغير وأن لا نحمل الآيات ما لا طاقة لها به . وعلى الرغم من تلك الأخطاء التى ارتكبها بعض الكتاب في هذا العصر الا أنه يكفيهم فخراً أنهم كسروا الجمود أو حطموه !!

نعم أيها القاريء المسلم ، فان أهم أسباب تخلفنا هو الجمود ، ويوم أن عجزنا عن مسايرة الركب ونضب فكرنا كان التخلف . انظر معي الى ما فعله أجدادنا عندما فهموا الرسالة على حقيقتها وانفتحوا بأفكارهم على حضارات الفرس والروم والاغريق والهند و ... ، لقد هضموا كل تلك الحضارات وأضافوا اليها الشيء الكثير داخل اطار (المنهج الاسلامي) أو الفلسفة الاسلامية . ويومئذ كانوا هم قادة الأرض علميا وفكريا واقتصاديا وسياسيا و ... لقد ابتدعوا كثيرا من العلوم مثل الجبر ، وحساب المثلثات ، والفلك الكروي ، وحساب اللوغاريتمات ، ونبغوا في علم الفلك بالذات لخدمة الشريعة ، وما زالت بصمات أصابع العلماء المسلمين باقية في قبة السماء ممثلة بمئات الأسماء العربية للنجوم مثل :

أشرنار أصلها آخر النهر
بتلجوز أصلها الجوزاء
تاوروس أصلها الثور
دنب أصلها الذنب

حتى ان المأمون في بغداد قاس نصف قطر الأرض بطريقتين مختلفتين ، الأولى هي طريقة « ثابت ابن قرة » الذي عمد الى قياس المسافة بين كل خطين متتاليين من خطوط العرض ، وكان يقيس خط عرض المكان بواسطة قياس ارتفاع النجم القطبي فيه . أما الطريقة الثانية فهي طريقة « البيروني » ــ وهي لا تزال تحمل اسمه حتى يومنا هذا ــ وتتلخص في قياس زاوية انحطاط الأفق من على جبل مرتفع يطل على مساحة منبسطة من الأرض .

وانتقلت تلك القياسات الى أسبانيا (الأندلس) ومنها عرف المستكشفون فيما بعد من أمثال (كولمبس) و (ماجلان) أن الأرض كروية وأن محيطها لا يتعدى طوله ٢٥ ألف ميل ، فأقدموا على الدوران حول الارض في مراكبهم ، ولكن الفضل العلمي والقياس انما يرجع كما نرى الى العلماء المسلمين !! وأعجب من هذا كله أن جاءني رجل في يوم من الأيام بعد أن صلى بنا الامام يسأل : هل الأرض مكورة حقا !!؟ فكيف نسى المسلمون هذا التراث العلمي ، وكيف تخلفوا ؟ وهل كانت رسالة المسجد قاصرة على مجرد الصلاة ؟ أو ليس العلم رسالة الاسلام ؟! ألم تكن أولى آيات الذكر الحكيم على الاطلاق أمرا بالقراءة للعلم والمعرفة عندما نزل جبريل عليه السلام يردد قول المولى عز وجل :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم

الانسان ما لم يعلـم) العلــق : ١ــ٥ .

لقد توصل « الخليلي » في دمشق الى الفلك الكروي وصنف (زيجا) أو جداول فلكية من أربعة مجلدات لا نعرف كيف انتقلت الى بولندا ليصنف مثلها « كبرنيق » بعـد مضي ١٥٠ عاما أو أكثر ويقرر في ظلهـا أن الشمس هي التى تحتل مركز ــ أو بؤرة ــ المجموعة الشمسية ، وليست الأرض هي مركز الكون كما كان يظن النـاس حسب تعاليـم الاغريــق وفلسفاتهم . ويومئذ قامـت الدنيـا وقعدت . وما زال العلماء يحتفلون بذكرى « كبرنيق » ونحن لا نعرف شيئا عن « الخليلي » صاحب الفضل الحقيقي المهضوم !!

وهل يعقل ، ونحن نعلم أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، هل يعقل أن نجمد معاني ما فيه من آيات كونية عند حد ما قاله الأقدمون ؟ وهــل يستطيع منصف ان يدعي أنه (أو غيره) قد وصل الى نهاية المطاف في هذا المجال ؟

الحق أن القرآن كلام الله والكون من عمل الله ، وكان من الطبيعي اذا أن يستمد القرآن كثيرا من آياتــه وحكمه من الكون . وعلى هذا النحو تحدث عن السماء والهـواء والمـاء والأحياء و ... وأثار بذلك قضايـا علمية عامة :

(ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل اللــه من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيـات اللـه نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعـد اللــه وآياتــه يؤمنـــون) الجاثية ــ ٣ ــ ٦

والعلم هو الذي يبصرنا بآيـات الخالق في هذا الكون ، وأقصد بها الحقائق الثابتة التى لا تتبدل . ومن هنا كان التقاء العلم بالدين . ومن هنا جاءت تلك القضايا العلمية التى أثارها القرآن الكريم معجزة في عصر العلم .

والنظام الذي يسير عليه الكون ثابت وشامل . ولولا هذا الثبوت وذلك الشمول ما نشأ العلم الذي هو في جملته تلمس الحقائق في عالم الحس باستخدام الحواس أو الآلات التى ترقى بأيــة ظاهــرة الى مستــوى الحس . ومعلمنا في هذا كلــه هو الكون ــ كتاب الله المنظور ــ فنحن نستمد منه الحقائق ثم نردها اليه لنتبين مدى صحتها ، فان خالفت ما في الكون اعتبرت وهما وخيالا .

(قــل هل عندكـم من علــم فتخرجوه لنا) الانعام/١٤٨

ونحن طالما كنا نفسر الآيات في ظل الثابت من حقائق العلم فلا خوف ولا حرج . ولزيادة الايضاح أضرب مثلا أو اكثر لذلك .

١ ــ انظر الى قوله تعالى :

(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر/٢٢

قال بعض الأقدمين ان (لواقح)

هنا انما تشير الى تلقيح الرياح للنباتات أو بعض النبات . وهذه حقيقة علمية كانت ولا زالت وسوف تظل سليمة ، الا أنني في هذا العصر لمست حقيقة أخرى فحواها أن الرياح تلقح السحاب أيضا .. نعم ان الرياح بعد أن تثير السحاب ، أي تكونه وتدفعه .

(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) الروم/٤٨ قد تدأب على امداده وتغذيته ببخار الماء الذي تحمله وتجلبه معها من البحار والمحيطات وكذلك تغذيه بجسيمات صغيرة تسمى علميا باسم (نوى التكاثف) . ووظيفة هذه (النوى) هي تجميع جزئيات بخار الماء في مناطق اثارة السحب لتكون قطرات صغيرة من الماء أو من بلورات الثلج .

والفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر هو أن الأولى لها مدد مستمر من بخار الماء ونوى التكاثف بواسطة الرياح أو الهواء الصاعد ، أما الثانية فليس لها أي مدد .

وينجم عن استمرار الرياح في « تلقيح » السحاب الذي تثيره ببخار الماء ونوى التكاثف نزول المطر . ومن هنا تكون الفاء في قوله تعالى **(فأنزلنا)** هي فاء السببية ، أي نجم عن هذا التلقيح نزول المطر . أما قوله **(وما أنتم له بخازنين)** فهي اشارة أخرى الى معجزة أخاذة الى الدورة المائية بين السماء والأرض ، حيث نقول : ان ماء المطر يعود مرة أخرى الى المحيطات والبحار عن طريق الأنهار أو المياه الجوفية ، وتعود الشمس فتبخر بعض ماء المحيط والبحر لتعود الدورة من جديد وهلم جرا !

وعلى هذا النحو نجد أنه في ظل الآفاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم تثير هذه الآية الكريمة ثلاث قضايا علمية هامة هي من آيات الاعجاز العلمي في هذا العصر .

أما القضية الاولى فهي أن الرياح تلقح السحاب (ببخار الماء ونوى التكاثف) ، وأما القضية العلمية **الثانية** فهي أنه ينجم عن هذا التلقيح نزول المطر . وتقر القضية **الثالثة** حقيقة الدورة المائية بين السماء والأرض .

وأنا عندما أكتب هذا ــ أو أذكره في محاضراتي ــ لا أدعي أن ما قاله الأولون خطأ لأن حقائق العلم لا تتغير ، كما أنني لا أدعي بأن قولي هذا هو نهاية المطاف ، فقد تظهر حقائق أخرى غابت عنا ، ولكن لا يعني ذلك أن ما قلناه خطأ على الاطلاق . ومعنى ذلك أنه لا يليق بتاتا أن نقف مكتوفي الأيدي ، أو ان ندعي بأن العلم يتغير وبذلك لا نساير الركب ، أي ركب الحضارة الذي تخلفنا عنه حتى يدعى أعداء الدين كذبا وبهتانا أن الدين هو السبب !!

والأمثلة التى يمكن أن أسوقها للبرهنة على صحة وسلامة أنه لا خوف اطلاقا من التفسير العلمي للقرآن الكريم ما دمنا نستخدم حقائق علمية ثابتة هي في الواقع أمثلة عديدة . ونحن يجب علينا أن نتذكر

دائما أن معاني الكتاب العزيز لن تنضب ، وأنه سيظل معجزا الى يوم الدين ، وأن علينا أن نتدبره ونفسره في ظل الثابت من حقائق العلم .

خذ مثلا قول الله عز وجل :

(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) الذاريات/٤٧ ، أو قوله : **(وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)** الانبياء/٣٢ ، او قوله : **(والسقف المرفوع)** الطور/٥

ماذا قال الاقدمون في مثل هذه الآيات الكونية ؟ وماذا تبين لنا في عصر العلم من حقائق مستمدة من الكون الذي صنعه الخالق ونتمشى مع قضايا العلم التى أثارها الكتاب العزيز بصورة تسحر العقول وتجعل الجاحد يؤمن بأنه كلام الله الخالق العليم ..؟؟ هذا هو بيت القصيد ، وهذا ما سنكتب عنه في سلسلة أبحاثنا في هذا المجال لعلنا بذلك نؤدي الأمانة ، ونقدم ما علينا من زكاة العلم نحو اخواننا المسلمين في كل قطر ان شاء الله تعالى .

اما الآية الكريمة : **(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)** فقد فسرها الأقدمون تفسيرا صحيحا سليما منطقيا . ومجمل قولهم : أن هذا الكون رغم اتساعه ورغم ما ضم وحوى من أجرام ، فان لدى الخالق العلي القدير المزيد والمزيد .

واتضح لنا في عصر العلم معنى آخر يمكن أن يضاف الى المعنى الأول من غير خوف أو وجل ، ذلك لأن الذي حدث بالفعل منذ أن نزل القرآن الكريم وسار ركب العلم قدما أن اتسعت آفاق الكون أمام العلماء — ومن ثم أمام الناس — في خطوات متتالية اتساعا يفوق حدود الوصف والخيال . فقد كان الناس في باديء الأمر يظنون أن الأرض هي مركز الكون ، وأن السماء تنتهي عند القبة الزرقاء ، وأن النجوم معلقة غير بعيد في تلك القبة .

ثم عرف الناس فيما بعد : المجموعة الشمسية التى لا يزيد قطرها على ٥ ساعات ضوئية — والساعة الضوئية هي المسافة التى يقطعها الضوء في ساعة كاملة بسرعته البالغة « ٣٠٠ ألف كيلو مترا في الثانية » — ثم امتدت أبعاد السماء الى مجرتنا التى سماها المسلمون الطريق اللبني أو طريق البنانة وقطر هذه المجرة أوالجزيرة الكونية هو « ١٠٠ ألف سنة ضوئية » . ثم باستخدام المناظير الفلكية اكتشف الانسان المجرات الأخرى وعرف أن أقرب المجرات الى مجرتنا هي مجرة المرأة المسلسلة التى تبعد عنا بنحو « ٧٠٠ ألف سنة ضوئية » ، أما القبة الزرقاء فهي مجرد ظاهرة ضوئية تحدث في جو الأرض .

ثم اتسعت السماء أمامنا حتى وصلت في ظل « الفلك الراديوي » الى حدود « ٢٠ ألف مليون سنة ضوئية » !! نعم لقد كشفت لنا « المناظير الراديوية » اجراما تسمى (اشباه النجوم) على أبعاد سحيقة لا نجد لأبعادها او لمواقعها تعبيرا

أروع من قول الله عز وجل :

(فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم) الواقعة/ ٧٥ ، ٧٦

وربما تركزت أهم أسباب الاعتراض على التفسير العلمي للقرآن الكريم (كما ذكرنا) فيما يذهب اليه البعض من أن العلم يتغير وقد ذكرنا أن الذي يتغير ليس هو عموم العلم بل النظريات العلمية ، ذلك لأنها انما تستنبط باستخدام قوي العقل في ظل الثابت من حقائق العلم . وكلما تراكمت معلوماتنا السليمة عن الكون ، تلك المعلومات المستمدة بالرصد والقياس والتتبع ، كلما كانت هناك فرصة أكبر لاستنباط النظريات ، أو لتعديلها أو تحويرها . ولزيادة الايضاح نقول مثلا ان الضوء عندما درسه العلماء منذ عهد « الحسن بن الهيثم » تراكمت الحقائق المتعلقة به فعرف العلماء على التوالي أن الضوء « ينعكس » أو « يرتد » من الأجسام التى يسقط عليها ، ثم عرفوا أنه « ينكسر » ، ثم توصلوا الى أنه « يتشتت » أو « يتناثر » ، وأنه « يحيد » ، وكذلك « يستقطب » .. وهكذا ظهرت في ظل هذه الحقائق عدة نظريات علمية تتعلق بطبيعة الضوء أو كنهه أو حقيقته المطلقة ، منها نظرية « الجسيمات الصغيرة جدا » « لينوتن » ، ثم « النظرية الموجية » « لهيجن » ، ثم « نظرية الكم » « لبلانك » ثم ... الخ ... ولم تثبت حقيقة الضوء على حال حتى الآن .

قس على ذلك الكهرباء ونحوها من الطاقات وما نظرية التطور التى يتشدق بها بعض المكابرين الا مجرد افتراض من هذا القبيل وقد ظهرت نظريات تخطئها وتقلبها رأسا على عقب ، الا أن هذا لا يعني أن الحقائق العلمية التى بنى عليها علم الحيوان هي بدورها خطأ ، لأن الحقائق انما تتكامل فقط كلما جمع العلماء معلومات متزايدة من الكون وما يحوي من أحياء وما يعج فيه من طاقات نحن لا نعرف مصدرها ولكننا نصفها بقوانين رياضية ونقول ان الطاقة لا تغني ولا تجيء من العدم وانما قد تتحول الى أنواع متباينة على غرار تحول طاقة الوضع الى كهرباء وتحول الطاقة الكهربائية الى حرارة أو ضوء وهلم جرا .

ويهمنا في هذا المقام أن نبين بجلاء ووضوح أنه بدلا من أن يهاجم العلم من غير قيد أو تحديد بأنه يتغير ، وبدلا من ان تزيد الهوة بين العلم والدين أقول بدلا من هذا وذاك يجدر بنا – معشر المؤمنين – أن ننادي بثلاثة مبادىء أساسية أو ثلاث حقائق واقعية هي :

أولا : أن قيام العلم انما هو نتيجة لثبوت النظام الكوني وشموله . فلولا ثبوت الناموس الطبيعي وشموله ما كان هناك علم .

وثانيا : أن هذا الثبوت وذلك الشمول هما أكبر دليل عقلي وعلمي على استبعاد عنصر الصدفة واثبات وجود الخالق ، ذلك لأن الصدفة لا يمكن أن تثبت نظاما ولا يمكن أن

تجعله شاملا .

واذا كان الأمر كذلك فليس من المنطق ولا من المنتظر أن يعمد الخالق جل شأنه ــ وعصر العلم على الأبواب ــ الى تغيير ناموسه من أجل تجلية ذاته أو اثبات وجوده .. ولهذا كانت أكبر المعجزات وآخرها : معجزة تساير الناموس الطبيعي وتتمشى مع نظام الكون ، وأقصد بها القرآن الكريم الذي يخاطب العقل ويوجه الحديث الى أهل العلم والمعرفة . أما المعجزات التى خالفت الناموس فقد انتهت بانتهاء زمانها ومكانها . ونحن اليوم نؤمن بتلك المعجزات عن طريق القرآن الكريم الذي نسلم بما فيه ككل ونؤمن بما حوى من تفاصيل مثل عصا موسى ، وهدهد سليمان ، وناقة صالح ، و ... التى لولا القرآن الكريم ما صدق بها أحد بحجة أنه لم يرها أو يشاهدها أو يلمسها ، أو بحجة عدم وجود صلة قاطعة بينها وبين وجود الخالق !!

وعلى هذا النحو كان من الطبيعي عندما أقبل المشركون على محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يطلبون عملا من الخوارق وبرهانا يخالف النواميس الطبيعية ، كان من الطبيعي أن يستنكر القرآن الكريم هذا المطلب ، لأنه مطلب واه ينتهي بانتهاء زمانه ومكانه بينما أمامهم معجزة خالدة لا يقف اعجازها عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات تخاطب عقولهم وتغذي أفكارهم :

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا .) الاسراء/ ٩٠ ــ ٩٣

وهكذا يتخذ القرآن الكريم الأسلوب العلمي فيستنكر عمل الخوارق . وهكذا يفرق نزول القرآن بين عهدين من عهود العقل البشري .

ثالثا : أن العلم رسالة الاسلام ، ودليلنا على ذلك تلك الآيات العديدة التى تحض على دراسة أسرار الكون ونواحيه ، مثل قوله تعالى في سورة البقرة :

(ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) الآية ١٦٤ وقوله في سورة الاعراف :

(أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) الآية/ ١٨٥

بل أن هناك من آيات الذكر الحكيم ما يمكن أن تتخذ أساسا لارساء قواعد بعض العلوم : انظر

مثلا الى قوله تعالى :

(قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت/ ٢٠

فمهما قيل في تفسير هذه الآية الكريمة ما من شك أنها تقرر حقيقة علمية ثابتة فحواها أن تاريخ الأرض وما عليها مكتوب بطريقة ما في قشرتها التى نعيش عليها ، وما علينا الا أن نتنقل بين أرجائها فاحصين دارسين مدققين ـ وهذا هو معنى فانظروا ـ لنقف على ذلك التاريخ . أما اللغة التى كتب بها فتعرف الآن باسم لغة « الأحافير » أو « الحفريات » .

ومنذ أكثر من ١٥٠ سنة أعلن عالم « اسكتلندي » اسمه « هاتون » وكتب يقول : « ان تاريخ الأرض وما عليها مكتوب بين طيات قشرتها ، وما علينا الا أن نتنقل بين أرجاء الأرض ونجمع الأحافير ونتعرف عليها وندرسها ونربط بينها لنعرف ذلك التاريخ » !! آنئذ قامت الدنيا وقعدت ، وقال الناس ان علما جديدا قد ولد وظهر في الوجود هو علم « الأحافير » ومن ثم « علم طبقات الأرض » أو « الجيولوجيا » ، وحصل هاتون على لقب « لورد » تقديرا له واحتفاء بمولد هذا العلم على يديه !

ولكن ألست انت معي أيها القاريء الكريم في أن الآية الشريفة قررت نفس القضية العلمية بطريقة معجزة أخاذة قبل عصر النهضة العلمية بنحو ألف سنة !! الا أن فريقا من المسلمين كانوا ـ سامحهم الله ـ ينادون بأن البحث في سنن الله تعالى والكشف عن آياته ممنوع !! وهذا أيضا من أسباب التخلف الذي أصاب صميم الادراك وحقيقة الفهم لرسالة الاسلام .

واكثر من هذا أن قصر فريق من المسلمين العلم على العلوم الدينية ، وأعني بها الفقه ، ونحوه واعتبروا سائر العلوم الأخرى كماليات لا لزوم لها ، بل وشككوا الناس في قيمتها ناسين او متناسين أنهم انما يأكلون ويشربون وينتقلون ويتطيبون ويطيرون في السماء وينقلون أمتعتهم في البر والبحر ويتسامرون و .... بوسائل كلها من صنع العلم وعمل العلماء .

وبطبيعة الحال لا ينكر هذا الفضل للعلم الذي منحنا اياه الخالق العليم وفضلنا به على سائر مخلوقاته الا كل مكابر جاحد غير مدرك لرسالة الاسلام التى جعلت المسلمين في سنوات معدودات قادة هذه الأرض فكريا واجتماعيا وعلميا .. الخ ..

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الانبياء/ ١٠٥

واذا أردنا أن نواجه الحقيقة كاملة ، نقول : اننا تخلفنا لبعدنا عن الدين . وما من شك للأسف الشديد أن هذا التباعد لم يكن قاصرا على اتجاه معين وانما شمل كل الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والعلمية .. وما من شك أن القرآن الكريم كتاب هداية قبل كل شيء ، فيه صلاح الدارين ، وقد أمرنا بالعلم وان نعد لأعداء الدين ما استطعنا من قوة ، والعلم مصدر

القوة في هذا العصر ، ليس فقط من حيث استغلال الطاقات واعداد الأسلحة ، ولكن أيضا من حيث الفكر ، لأننا نعيش في عصر يؤمن فيه سواد الناس بالعلم وعلينا أن نخاطب غير المؤمن بلغة العلم ، والاسلام كفيل بذلك ، وهو الدين الوحيد الذي يقف شامخا أمام تيارات الكفر والالحاد بعد أن فصل الأوروبيون العلم عن الدين وانطلقوا بعلمهم يشككون الناس في عقائدهم !!

لهذا كله حرصت على أن ينصب حديثي وبحثي على صلة العلم بالدين ، وعلى سد تلك الهوة السحيقة التى ظهرت بين العلم والدين في بلاد الغرب وراح فريق منا ينقل عنهم كل ذلك . وان الدراسة الواعية لتراثنا الاسلامي انما تظهر بجلاء كيف نشأ العلم في أحضان الدين عن المسلمين .

ومنذ سنوات جاءني رجل يقول : كيف يكون القرآن الكريم معجزة خالدة ونحن نكاد نقصر اعجازه على حد البيان والفصاحة والبلاغة ، مما لا يثير اهتمام سواد الناس في هذا العصر ، وأقصد به عصر العلم ؟

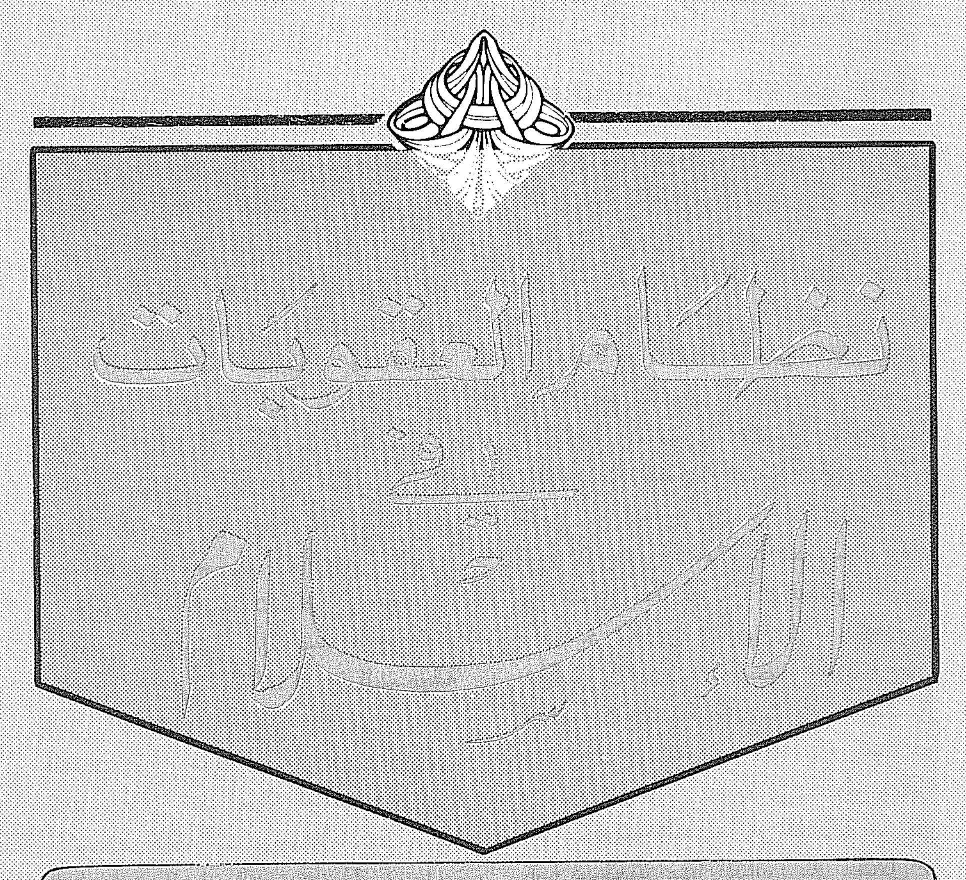
ثم لماذا نحيط التفسير العلمي لبعض الآيات الكونية بكل هذه المخاوف ونحدده داخل اطار ما قاله الأولون ؟؟

قلت : ان التفسير العلمي السليم للقرآن الكريم ـ قديمه وحديثه ـ انما يتم في ضوء السائد من العلوم والمعرفة في عصر المفسر . ولم يقل عاقل ولا عالم منصف بأنه قد وصل الى نهاية المطاف في تفسير القرآن الكريم ، خصوصا تلك الآيات التى أثارت قضايا علمية عامة وأشارت الى آفاق الكون الواسعة وما دمنا نفسر في ظل الثابت من حقائق العلم فلا خوف اطلاقا ولا ضرار .

وبدلا من المناداة بأن العلم يتغير فتزيد الهوة بين العلم والدين يجب علينا أن ندقق اللفظ ونستبعد النظريات العلمية وحدها فهي التى تتغير أو تتحور في ظل ما يصل اليه العلماء من حقائق العلم الجديدة .

ويجب أن نلاحظ أن التفسير العلمي السليم للقرآن الكريم انما يقودنا دائما الى استبعاد عنصر الصدفة من ناحية والى عدم الوقوف بالحقائق العلمية عند وصف الأشياء كما هو متبع الآن ، بل علينا أن نخطو خطوة الى مناقشة الحكمة أو الفائدة من كل آية يستمتع بها الناس بلا مقابل !

وليس معنى ذلك الخروج عن المنهج العلمي في دراساتنا ، ولكن معناه الاستمرار خطوة أخرى نخطو بها من العلم الى الايمان ، عندما نتدبر الحكم المنطوية تحت كل آية من آيات الكون . والحق أن الذي فصل العلم عن الدين هم أهل أوروبا في العصور الوسطى ، وذلك تحت ضغط فئات الكهنوت « أو الكنيسة » التى لم تجد سبيلا للربط بين الدين وما يتوصل اليه العلماء من كشوف فلكية على يد امثال « غاليليو » « وكبرنيق » الخ .. والأمثلة التى يمكن أن نسوقها لزيادة الشرح ولايضاح ما نرمي اليه وننادي به أمثلة عديدة .



وهل يتنافى مع حضارة القرن العشرين

للدكتور / أحمد شوقي الفنجري

تدوي في أرجاء العالم الاسلامي كله هذه الأيام صيحة قوية تطالب بالعودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية في كافة قوانين ومعاملات الدولة وذلك بعد أن أوقفها الاستعمار الأوروبي في بلادنا منذ أكثر من قرن كامل واستحدث مكانها البغاء والخمور والمخدرات وكافة أنواع الرشوة والفساد .

بعض الأمثلة ودلالتها :

● نادى عمر بن الخطاب أحد ولاته قبل سفره الى اقليمه الذي سيحكمه وأخذ يمتحنه :

ـ ماذا تفعل اذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟

فأجابه الوالي بدون تردد : أقطع يده

فقال عمر ـ اذا . ان جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك ..

ثم تابع نصيحته قائلا : ان الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونستر عورتهم ونوفر له حرفتهم .. فاذا أعطيناهم هذه النعمة تقاضيناهم شاكرين ...

يا هذا .. ان الله خلق الأيدي لتعمل .. فاذا لم تجد في الطاعة عملا التمست في المعصية أعمالا .. فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية ..

فهذا المثل يدلنا على أن الحدود لم تنزل من أجل الرعية وحدهم . ولكنها أيضا تضع المسؤولية على الوالي حتى لا يتهاون في توفير فرص العمل والرزق لأبناء شعبه بخلق المشروعات النافعة وحسن توزيع الدخل والاصلاح الداخلي ...

● ومثل آخر : سمع عمر بن الخطاب أن جماعة من الشباب يسكرون في بيت واحد منهم ، فتسلق سور البيت وفاجأهم وهم يشربون الخمر . فما أن بدأ يتوعدهم بتوقيع الحد والعقوبة عليهم حتى رده أحدهم قائلا :

ـ مكانك يا عمر .. لقد جئنا بواحدة وجئتنا بثلاث ..

أولاها : تجسست علينا والله يقول : **(ولا تجسسوا)** الحجرات/١٢

وثانيها : لم تدخل من الباب والله يقول : **(وأتوا البيوت من أبوابها)** البقرة/١٨٩

وثالثها : دخلت بدون استئذان والله يقول : **(لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا)** النور/٢٧

وهنا تنبه عمر الى خطئه . فقد وضع الاسلام أمام السلطة التنفيذية قيودا وتعاليم وآدابا وأوجب عليها الالتزام بها حتى وهي تتعامل مع الخارجين على شريعة الله واذا تعدت السلطة التنفيذية هذه الحدود والآداب فلا يجوز لها أن توقع العقوبة لأن اجراءات التفتيش والقبض لم تكن قانونية .

وهكذا اعتذر عمر عن فعلته .. واعتبر نفسه مخطئا وقال لهم :

« هذه بتلك (أي أن كلانا أخطأ) ... ولا تعودوا الى مثلها ...

من هذا المثل الثاني نرى أن نظام العقوبات في الاسلام لم يوضع بغير روابط ولا أصول بل إن للمخطيء والمذنب حقوقا في الاسلام وله ضمانات لم يتحقق مثلها في أي قانون مدني في التاريخ .

● ومثل ثالث : في عام الرمادة على عهد عمر أجدبت الأرض ومات الزرع ونفقت الأغنام وعمت الناس مجاعة كبيرة فاذا بعمر يوقف حد السرقة ويعلن « لا حد مع الجوع » ورغم الجوع وتوقف العقوبة ، لم تحدث في ذلك العام كله سوى سرقة واحدة .. والسر في ذلك أن الناس كانوا يشعرون بعدالة النظام الاسلامي وعدالة تطبيقه .. فلم يكن أحد من المسؤولين والولاة يؤثر نفسه بخير لا ينال أفقر فقير فيهم .. وأهم من هذا فان الوازع الديني كان من القوة في نفوس الناس

بحيث يتغلب على غريزة الجوع وعلى كل محنة ويغني عن أي عقاب ...

فهذا المثل الأخير يبين لنا أنه في حالة تطبيق النظام الاسلامي .. بما يحققه من عدالة اجتماعية ووازع ديني قوي ، فسوف لا نحتاج الى تطبيق العقوبات الا في أضيق نطاق ، مهما كانت المحنة والشدة والفقر الذي يعيش فيه الشعب .

كانت هذه ثلاثة أمثلة عن نظام العقوبات في الاسلام ، حرصت على نقلها عن عهد عمر بن الخطاب بالذات ...

- فاذا كان عهد الرسول يمثل فترة التشريع .
- وعهد أبي بكر يمثل فترة تثبيت أركان دولة الاسلام .
- فان عهد عمر يمثل فترة التطبيق المثالي لشرائع الاسلام وخاصة فيما يتعلق بالحدود .

المعارضون للتطبيق الاسلامي :

يقول بعض المعارضين أو المشككين في امكانية تطبيق الاسلام في عصرنا الحاضر :

« ليس من المعقول في القرن العشرين أن نقطع يد السارق ، أو نرجم الزاني أو نضرب شارب الخمر ، فنحن في عصر ينظر الى هذه الآفات الاجتماعية على أنها أمراض وعلل ، ونعالجها طورا بالعلم النفسي وطورا آخر بالطب والمستشفيات وطورا ثالثا بالعلاج الاجتماعي والاقتصادي ، ولا يلجأ المجتمع الحديث الى العقوبة البدنية الا اذا استنفد هذه الوسائل كلها ..

ويقول آخرون أن الجلد والرجم وقطع اليد عقوبات قاسية لا يستسيغها القلب ولا العقل في القرن العشرين .. فهي أقرب الى أساليب القرون الوسطى منها الى عصرنا هذا الذي ألغى العقوبات البدنية .

ونرد هنا على كل هذه الاعتراضات بالحقائق التالية :

أولا : من المعروف لدى المشرعين وعلماء الاجتماع أن هناك نوعين من المنحرفين الخارجين على قوانين المجتمع :

- نوع يضطره المجتمع اضرارا الى ارتكاب طريق الزلل .. فهو ضحية المجتمع ..
- ونوع آخر يرتكب طريق الزلل استهتارا بالمجتمع .. فالمجتمع ضحيته ..

من أمثلة النوع الأول الرجل الذي يضطر الى السرقة بسبب الجوع .. والمرأة التي تضطر الى الزنا بسبب الفقر أو الحرمان .. والشاب الذي يلجأ الى السكر والمخدرات بسبب البطالة والفراغ .. والموظف الصغير الذي يطلب الرشوة لينقذ ابنه أو زوجته المريضة ..

وهذا النوع من الناس هم ضحايا المجتمع ويستحقون العطف والاشفاق قبل القسوة والعقاب .. والعلاج الحقيقي لحالتهم يكمن في تغيير نظام المجتمع نفسه واصلاحه ، بحيث يكون لدينا المجتمع المثالي الذي يكفل لكل مواطن حقه في الرزق وفي التعليم وفي الرعاية والعلاج .. المجتمع الذي

يوصل الى الناس حاجتهم ولا يضطرهم الى أخذ حقوقهم بالتحايل أو بالطريق غير المشروع ..

وهذا هو ما يفعله النظام الاسلامي بما يكفله من حقوق الناس .

ـ أما النوع الثاني فهو الذي يسرق بغير حاجة الى السرقة ، ويزني بغير عذر للزنا ، ويقتل استهتارا بالأوراح .. هذا النوع الذي يجعل المجتمع والناس ضحيته ، وأمثاله كثيرون بين شباب الغرب وأمريكا بالذات ، حيث تنتشر جرائم السرقة والقتل وهتك العرض لا من أجل الحاجة والفقر والاضطرار ، ولكن من أجل التسلية وحب المغامرة والاستهتار بالقانون والمجتمع .

فلمثل هؤلاء أنزلت العقوبات وشددت في الاسلام .. حتى تكون لهم رادعا وعلاجا .. بل ان العقوبات في الاسلام قد أنزلت لهذا النوع فقط من الناس ، لأن النوع الأول لا يمكن وجوده في ظل الرعاية التي يقدمها الاسلام لأبنائه .

● والاسلام لا يعترض أسلوب العلم الحديث .. ولا ينكر دوره ولا يمنعه من تأدية رسالته ، ولا يمكن أن يدعي أحد أن الاسلام يوجب تطبيق الحد دون محاولة طرق العلاج العلمي والنفسي . بل ان الاسلام قد سبق كل ما يعرف في عصرنا الحديث من أساليب علمية في علاج المشاكل ..

فالخمر مثلا نزلت فيها ثلاث آيات بالتدريج . الأولى تذكر أن فيها إثما وفيها منافع للناس ، والثانية جاءت تمنعها قبل الصلاة فقط .. وأخيرا جاءت الثالثة بالأمر القاطع الفاصل الذي ينهي عنها نهيا حازما .

ويقول مؤرخو السيرة إن الأمر الأخير بمنع الخمر قد نزل ، ولم يكن هناك مسلم واحد يشربها وفي هذا خير دليل على أن الاسلام لا يستحب أو يقبل تطبيق العقوبات بغير الأسلوب العلمي السليم .. وأنه ليس من النظم التي تحل المشاكل الاجتماعية بجرة قلم أو بأمر الى الشرطة .

وتطبيق الشريعة الاسلامية يبدأ بتكوين المجتمع المسلم الذي يكفل لأعضائه كل الضمانات فلا يضطر الناس فيه الى السرقة والرشوة بسبب البطالة أو الفقر .. ولا يلجأ الشباب فيه الى الخمور والمخدرات بسبب الفراغ النفسي والعقائدي .

اذا تحقق هذا المجتمع ، فليس من الظلم أبدا معاقبة المنحرف والمسيء في جرائم الحدود بما نص عليه الكتاب العزيز أو السنة المطهرة ، وفي غيرها بالتعزيرات التي يراها الحاكم المسلم .

○ إما الادعاء بأن العقوبات الاسلامية بالغة القسوة والعنف :

فمن المعروف أن أي تشريع في العالم له على المجتمع جانبان جانب الحقوق والامتيازات وفي مقابلها جانب الواجبات والعقوبات .. والتشريع العادل حقا هو الذي يوازي بالعدل والقسط بين ما يعطي وما يأخذ .. ولا ينزل من العقوبات ويتقاضى من

الواجبات الا بقدر ما يعطي الناس من الحقوق والامتيازات . والعقوبات التي شرعها الاسلام مكافئة للجرائم التي سببتها فهي زجر وتأديب للمعتدي ، وصرف لغيره ممن يفكر في مثل فعلته وذلك يحقق للمجتمع الأمن والاستقرار .

● ومن المعروف أن بعض العقوبات التي ذكرت في الشريعة لم تنزل بها آية أو نص في القرآن ، ولم يأمر بها رسول الله أو ينفذها على عهده ، ولكنها جاءت للتعزير نتيجة اجتهاد الخلفاء وأهل الفقه حسب ما تقتضيه ظروف عصرهم وحاجة مجتمعهم فمن أمثلة ذلك ما جاء في حد الخمر :

فقد حرم الله الخمر في القرآن ولكنه لم يفرض على شاربها عقابا في الدنيا وإنما ترك ذلك لما ادخر للمخالفين لامره من العقاب يوم القيامة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب على الخمر اربعين ضربة باطراف الثياب او بالجريد . ولم يحاول ابو بكر ان يزيد على ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، ولكن عمر رأى على عهده أن المسلمين ينساحون في الارض ويمضون في الفتوح وأشفق أن يغريهم بعدهم عن مركز الخلافة بالتهاون في رعاية ما أمر الله به وخاصة ان الخمور كانت تباع امامهم ويشربها اهل الذمة .

فأخذ عمر رضي الله عنه يستشير الصحابة في اقصى عقوبة يمكنه تطبيقها على شارب الخمر ، فأشار علي بأن يؤخذ شارب الخمر بعقوبة القاذف فيضربه ثمانين جلدة لانه اذا شرب سكر واذا سكر كان حريا ان يفتري ويقذف الناس ... ثم جاء عثمان بعد عمر فعاد الى الحد الذي طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● ورغم شدة العقوبات في الاسلام الا انها تتميز عن العقوبات المدنية بما يصاحب التنفيذ من خلق اسلامي متسامح وكريم .. فالاسلام ينص على عدم توجيه لفظ جارح او سب الى المذنب حتى أثناء توقيع العقاب عليه .. فقد سمع رسول الله خالد بن الوليد يسب امرأة زانية اثناء توقيعه الحد عليها فنهاه الرسول وقال له :ـ « مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » .رواه مسلم وابو داود .

فتوقيع الحد في نظر الاسلام معناه ان المذنب قد غفرت له كل ذنوبه وخرج من العقوبة كما ولدته امه لا يلحقه بعدها عار ولا حرج في المشاعر ولا شعور بالذنب أو المهانة ، وهي في المجتمع الاسلامي الخالص لا تعيق صاحبها عن استئناف الحياة الشريفة كأي مواطن حر وشريف . وكثيرا ما كان الحاكم نفسه يواسي من يوقع عليه العقوبة حتى يرد له اعتباره ، اذ لم تكن العقوبات توزع على الناس حسب الاهواء الشخصية او الدوافع السياسية ، بل كانت لوجه

الله تعالى وصالح المجتمع .. ويروى عن عمر انه علم ان احد اشراف قريش عندما اقيم عليه حد السكر في الشام ، شعر بالمذلة والخزى امام اهله وقبيلته فجلس في بيته واحتجب عن الناس . فلما علم عمر بذلك ارسل اليه خطابا يذكره بقوله تعالى : —

(قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) الزمر/٥٣ .

فسرى عن الرجل وخرج للناس وترأس جماعته من جديد .

● وشروط توقيع العقوبة في الاسلام أدق وأصعب منها في اي قانون مدني .. وهذه الشروط تجعل توقيع العقوبة في أضيق نطاق وفي الظروف الواضحة التي لا يمكن ان يتطرق اليها أدنى شك فجريمةالزنا مثلا لا بد لثبوتها من اربعة شهود عدول .. اي موثوق بهم وأن يروا بأعينهم (المرود يدخل في المكحل » على حد تعبير الفقهاء وهو أمر شبه مستحيل عمليا .. واذا ثبت أن هؤلاء الشهود قد دخلوا البيت من غير بابه أو خلسة أو تجسسا بطلت شهادتهم .. ومن القواعد الثابتة في الاسلام ذلك الحديث النبوي الذي يقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » رواه ابن عدي وهو الذي يعبر عنه القانون الحديث بقوله « الشك يفسر لصالح المتهم » .

ومن المعروف ان حد السرقة قد نفذ في عهد الرسول مرة واحدة فقط ، وأن حد الزنا قد نفذ مرتين اثنتين ، وأنه في جميع عهود الخلفاء الراشدين لم ينفذ حد السرقة الا في ست حالات فقط . وأن جميع هذه العقوبات قد تمت بالاعتراف الطوعي ، ولم تحدث حالة واحدة بشهود الرؤية .. بل ان الغامدية وهي المرأة الوحيدة التي طبق عليها الرسول حد الزنا كانت تلح عليه الحاحا ليطهرها بالعقوبة من عذاب ضميرها . فكان الرسول يؤخرها ويمهلها بين الحين والحين ، لعلها تتراجع في أقوالها وهي على اصرارها . وأخيرا لما علم بانها حامل قال لها .

« اذهبي حتى تضعي (ما في بطنك) حملك » رواه مسلم ومالك فغابت بضعة أشهر ثم عادت ومعها وليدها فقال لها « اذهبي حتى يستغني الطفل الرضيع » فذهبت وعادت بعد ان كبر وليدها واستغنى عن الرضاعة فأوقع عليها الحد .

والآن قد يقول قائل « ما معنى وجود العقوبة طالما ان تطبيقها شبه مستحيل الا في حالة الاعتراف الشخصي والطوعي » ونرد عليه بأن هذه هي فعلا النظرية المثالية الحديثة في العقاب .

فالعقوبة في نظر العلم الحديث لم يعد الهدف منها هو الانتقام او التعذيب ، ولكن الهدف هو الردع

والتخويف أي انها أصبحت للوقاية اكثر منها للعلاج ولمنع الاخطاء في المستقبل اكثر منها للحساب على الماضي .

● ان بعض الناس في العالم الاسلامي يتساءلون : لماذا لا نطبق الاسلام في جميع نواحيه ما عدا العقوبات فيترك الامر فيها الى القانون المدني :ـ

وهذه نقطة هامة وخطيرة يجب ان يعرفها كل مسلم :ـ

فجميع نظم العالم كما ذكرنا تعطي على قدر ما تأخذ . وتجعل العقوبات والواجبات على قدر ما تقدم من الحقوق والامتيازات .. فالحق والجزاء مرتبط كل منهما بالاخر اشد الارتباط .. واذا اهتز ركن منهما فان ذلك يقوض الركن الآخر ، ويفسد النظام كله من أساسه وهذه هي الحكمة في قوله تعالى : (**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب**) البقرة/ ٨٥ .

وهكذا يعتبر الله تعالى ترك بعض تعاليم الدين نوعا من هدم الدين كله ولا يقل خطرا عن الكفر بالله والشرك به ..

ـ فلا يمكنك مثلا ان تطلق حرية الزواج حتى أربعة وحرية الطلاق ثم لا تفرض عقوبة قاسية حازمة على جريمة الزنا .

ـ ولا يمكنك ان تقطع يد السارق الفقير في حين انك تعفي الغني من الزكاة .

ـ ولا يمكنك ان تقيم مجتمع الكفاية أي تكفل لكل مسلم حدا ادنى من الرزق في حين انك لا تفرض ضريبة المال الاسلامية التي تشمل الزكاة .

فالنظام الاسلامي كأي نظام علمي دقيق ، يمثل وحدة متكاملة يسند بعضها بعضا ويكمله .. ولو تركنا جزءا منه كنا كمن يقول (**يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة**) دون ذكر قوله تعالى (**وانتم سكارى**) النساء/٤٣ فيعكس الهدف من الآية الكريمة .

والخير كل الخير في تطبيق الشريعة الاسلامية بجميع أجزائها .

● ان قسوة العقوبات في كثير من الاحيان قد يقصد بها الحاكم قبل المحكوم ومن بيده سوط العقاب قبل من يطبق عليه العقاب ، فقد رأينا في المثل الاول الذي ضربناه عن رأي عمر ابن الخطاب في اقامة الحدود ، ان العقوبة القاسية تجعل الحاكم ملتزما بحل كل مشاكل شعبه وإيصال الحقوق الى أصحابها قبل ان يبدأ في تطبيق العقاب ..

ـ فهو لن يقطع يد لص قبل ان يؤمن

عملا لكل محتاج .
– ولن يرجم زانيا او زانية قبل ان يوفر فرص الزواج لكل شاب ، فيوفر له سكنا لائقا ورزقا ثابتا وعيشة كريمة .

ولو لم يكن في العقوبات الاسلامية غير هذه الفائدة لكفى .

من هذا كله نرى ان نظام العقوبات في الاسلام هو نظام دقيق علمي متكامل ... وانه انسب النظم في عصرنا الحاضر لاي دولة اسلامية متطورة في القرن العشرين .

وابسط دليل على ذلك ان نقارن بين حال المسلمين في عهود الاسلام الزاهرة بحالة اوروبا اليوم وهي في قمة مجدها وازدهارها .

فالعالم الاسلامي قد ظل قرابة ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، لا يعرف الامراض السرية التي كانت منتشرة في اوروبا .. وكان اول مرة يسمع المسلمون عنها عندما حضر نابليون وجنوده الى الشرق وسمى الناس الزهري « المرض الفرنساوي » .

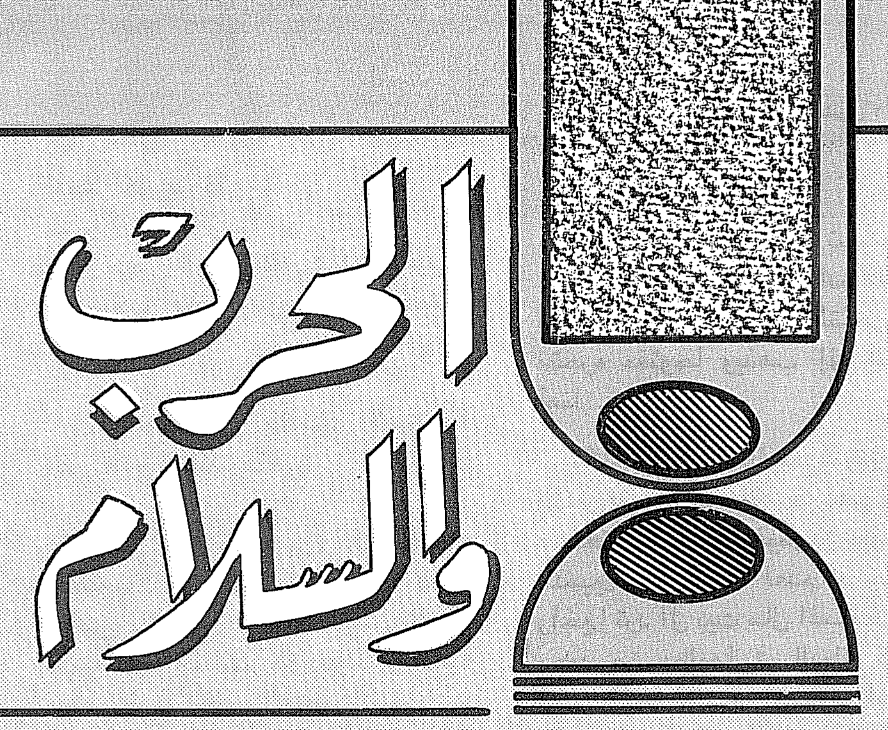
والعالم الاسلامي لم يعرف حوادث السكر العنيفة التي تؤدي في اوروبا الى الكثير من جرائم القتل ، وحوادث السيارات ، وجنون الخمر والموت المبكر ، ولم يعرف العالم الاسلامي حوادث الانتحار التي تنجم عن القمار وضياع الثروات بالملايين على موائد الخمر والقمار .

وكانت بلاد الاسلام لا تسمع فيها عن سرقة بالاكراه او حوادث السطو وقطع الطريق .. فكان التاجر يترك متجره مفتوحا ويذهب إلى الصلاة آمنا .

وكان عمال الخليفة يمرون على الناس لتوزيع الزكاة ، فيردهم الناس مستغنين متعففين فيمرون بها على الذميين ، فيردونها لعدم حاجتهم ، وأخيرا ترد الى بيت مال المسلمين لعدم وجود من يطلبها في الدولة كلها ، فمتى حدث هذا في أي دولة اوروبية وفي اي عهد من عهود ازدهارها ؟ واليوم ...

وقد تفشت في عالمنا العربي والاسلامي كل انواع الجرائم التي وردت الينا مع حضارة الغرب ، جرائم الرشوة والسرقات الكبيرة بالملايين .. وجرائم الاستهتار بالعرض والشرف ورابطة الاسرة وانتشار الدعارة والمجون تحت اسم الفن والحضارة .. وموائد القمار التي تضيع عليها ملايين الدولارات من عرق الكادحين والجياع والمساكين . ومجالس السكر والمخدرات التي تضيع فيها كل القيم الانسانية .

اليوم اصبحنا اشد ما نكون حاجة الى تطبيق الاسلام نصا وروحا ثوابا وعقابا حتى نخلص مجتمعنا من هذا البلاء الذي عم وفاض ...



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، وبعد ، فقد أحببت أن أسأل شريعتنا الغراء حول موضوع حاسم تتجاوب أصداؤه في عالمنا العربي في أيامنا هذه كثيرا ، ويختلف فيه العرب ما بين مؤيد ومفند ، ومعاضد ومعارض ، ولو أننا عدنا الى ديننا نسأله ما اختلفنا في شيء وما تشعبت بنا السبل واختلطت علينا المسالك **(فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)** النساء/٥٩ **(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب)** الشورى/١٠ **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** النور/٦٣

نعود الى موضوع البحث وهو الحرب والسلام ، وقد أوردت هاتين الكلمتين لأنهما التعبير الشائع في لغتنا اليومية لكن تسميتها في القرآن جاءت بلفظتي القتال والسلم وربما وفقنا الله في مقال قادم لايضاح الفرق بين هذه التسميات وتلك .

فرض القتال :

بدأ القرآن الكريم في عرض أمور البشر عرضا تاريخيا في قوله تعالى : **(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)** البقرة/٢١٣

فهناك فئتان بعد بعث الله الأنبياء

في ميزان القرآن الكريم

للأستاذ : محمد عبد السلام نجم

بالحق ، فئة مؤمنة مهتدية وأخرى باغية انحرفت برسالات السماء لخدمة أهوائها وضلت عن الصراط المستقيم ، وهنا وضح دور القتال في قوله تعالى : (**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز**) الحج/ ٣٩ ، ٤٠

اذن فمشروعية القتال جاءت لوقف ظلم وطغيان الفئة الكافرة المبتعدين عن سبيل الله الذين يرون في انتشار النور الالهى تهديدا لشهواتهم الطامعة المستغلة وايذانا بتعديل الأوضاع على غير ما يهوون فهم يبادرون بخنق كلمة الحق في مهدها وظلم أهلها وطردهم وتشريدهم ولو استمر الوضع هكذا .. عدوان من الظالمين وسكوت من المؤمنين لما استقام الأمر ولأصبح أتباع الحق سبحانه يمثلون الضعف والمذلة فكيف يكون ذلك وهم أتباع القوى العزيز القادر على نصرهم ، ما داموا ينصرونه بنشر هداه على الأرض وإعلاء كلمة الحق والدين وفي مشروعية القتال هذه حماية لمصالح المؤمنين وعقائدهم أيضا .

وكان الله سبحانه وتعالى يأخذ القرى بظلمها حين كان أصحاب الهوى يكذبون المرسلين ومع تقدم الرسالات بتقدم التدريب الالهى لحمل الأمانة التى اشفقت منها السماء والأرض والجبال ، عهد الله سبحانه وتعالى بمهمة الدفاع عن الحق الى

أوليائه من المؤمنين وكان ذلك التكليف لبني اسرائيل كما يحدثنا القرآن الكريم في قوله تعالى : **(ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين)** البقرة/٢٤٦

وبذلك لم يؤهل بنو اسرائيل لحمل شرف الدفاع عن كلمة الحق وجاء التكليف بعد ذلك الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم صريحا واضحا ومعللا كذلك في قوله تعالى : **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** البقرة/٢١٦

فمن هم الذين يجب أن نقاتلهم ؟

ان الجواب واضح في قوله تعالى : **(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)** التوبة/ ٢٩

فماذا لو تخلينا عن قتالهم ؟

عدول المسلمين عن قتال أعدائهم الذين عددهم الله عز وجل في الآية السابقة فيه هجوم مضاد من جانب هؤلاء الأعداء على المسلمين فلا يضايقهم شيء الا هذا الايمان الراسخ في القلوب ، يقول الله عز وجل : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٢١٧

ويتحدث القرآن الكريم عن عهد أولئك الأعداء وكيف يخلد المسلمون الى مظنة صدقهم وحسن نيتهم فيقول تعالى : **(كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون)** التوبة/٨

فكيف نستعد للقتال ؟

الاستعداد للقتال يجب أن يكون بالحشد الكامل ماديا ومعنويا يقول رب العزة تبارك وتعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون)** الانفال/٦٠ ، ويقول عز من قائل : **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)** التوبة/٤١

أما التوجيه المعنوي فان ايضاح الهدف وعاقبة العمل يحفل بها القرآن الكريم في آيات كثيرة وحسبنا أن نذكر منها قوله تعالى : **(ألا تقاتلون قوما**

نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) التوبة/١٣ ــ ١٥

وهذا التوجيه المعنوي مطلوب من القائد اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمره الله عز وجل أن يحرض المؤمنين على القتال : **(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)** الأنفال/٦٥

هذا طبعا فضلا عما وعدهم الله بالخير سواء في حالة النصر أو الشهادة : **(قل هل تربصون بنا الا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون)** التوبة/٥٢

ثم هذه الصفقة الرابحة بكل ما تحمل من معنى : **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** التوبة/١١١

فكيف يكون القتال ؟

هنا أيضا نجد التوجيهات التى تكفل لنا النصر . فاذا ابتدأ القتال وقد تم للمسلمين حشد كل قواهم المادية والمعنوية فأول ما هو مطلوب منهم هو الثبات مع الاتصال بالله عز وجل **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)** الأنفال/٤٥ ، ٤٦

ويجب الا يفر المسلم من المعركة بأي حال من الأحوال ولا يكون هناك انسحاب بالجيش الاسلامي الا ان كان ذلك بقصد التركيز والدعم وليس بهدف الفرار **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** الأنفال/١٥ ، ١٦

ويجب ألا يستشعر المؤمنون الضيق والعنت الذي قد يقابلونه في حالة الحرب سببا من أسباب تداعيهم ، وفتور همتهم ، واضطراب موقفهم ، بل ليعلموا ان أعداءهم في حالة الحرب يعانون أيضا من الضيق والعنت ، وعلى ذلك فالغلبة لمن يصبر أكثر ، ولينظر المؤمنون على أن ذلك اختبار من الله وعليهم أن يجتازوه بنجاح **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح**

مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) آل عمران/ ١٣٩ - ١٤٢

وقال تعالى : **(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين)** البقرة/١٥٥

ويجب أن يتجه المسلمون في أثناء الحرب الى قتل من تصدى لقتالهم لأنهم يعمدون الى قتل المسلمين بكل غل وحنق ، والذين يحلو لهم أن يأسروا اكبر عدد من الأعداء لخدمة بعض المواقف الدنيوية ، أو الذين ينصرفون الى جمع غنائم الحرب قبل حسمها انما يخالفون أمر الله تعالى الصريح في قوله الكريم : **(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم)** محمد/٤

النصر :

لابد أن يعقب الحرب الاسلامية الصادقة نصر من عند الله ، لكن لا يكفي أن يوقن المقاتلون بالنصر لمجرد أنهم مسلمون ، لا ولكن اذا أخلصوا لهدف نصر الله عز وجل واتبعوا ارشاداته فان الله ينصرهم وهو شرط واضح **(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** محمد/٧ ، وتأكيد بالنصر واضح أيضا في قوله تعالى : **(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)** الحج/٤٠

انهاء القتال :

قلنا أن للقتال هدفا لابد أن يبلغه ، وبلوغ هذا الهدف هو النصر ، وببلوغه تنتهي الحرب ولا تستمر والا كان عدوانا ينهي الله عز وجل عنه : **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)** البقرة/١٩٣ **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير)** الأنفال/٣٩

السلم :

اذا انتهى أعداء الاسلام عن استمرار القتال وكفوا أيديهم معترفين بدين الله عز وجل وصحة القضية التى يقاتل من أجلها المسلمون وأبدوا رغبتهم في السلم رغبة حقيقية فالاسلام يرحب بهذا السلم ويحقق لهم هذه الرغبة ويصبح عدم تحقيقها شهوة شيطانية خبيثة **(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)** البقرة ٢٠٨ ، ويقول سبحانه وتعالى : **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)** الأنفال/٦١

الخداع بالسلم :

وربما يحس أعداء الاسلام وطأة القتال وأنه لا طاقة لهم به فيضمرون في أنفسهم العداء ويتظاهرون بالرغبة في السلم ، وهنا يكون الموقف الصعب الذي قد لا يستبينه المسلمون ، ولكن الحل موجود ايضا حيث يبين رب العزة جل جلاله وسائل تدارك هذا الموقف وكشف الخداع فيه باسترجاع سيرة النصر ، فما تظاهر الأعداء بالرغبة في السلم الا حين أحسوا بنصر المسلمين ، اذن فاسترجاع سيرة هذا النصر بكل العوامل المؤدية اليه وبتجميع المؤمنين دائما على قلب رجل واحد ، لأن هدف الذين يخادعون بالسلم هو النفاذ في فرصة هدنة ماكرة الى صفوف المسلمين لتشتيتها وبعثرة قواها ، ثم يميلون عليهم ميلة واحدة ، يقول الله عز وجل : (**وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم . يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**) الأنفال/ ٦٢ ـ ٦٤

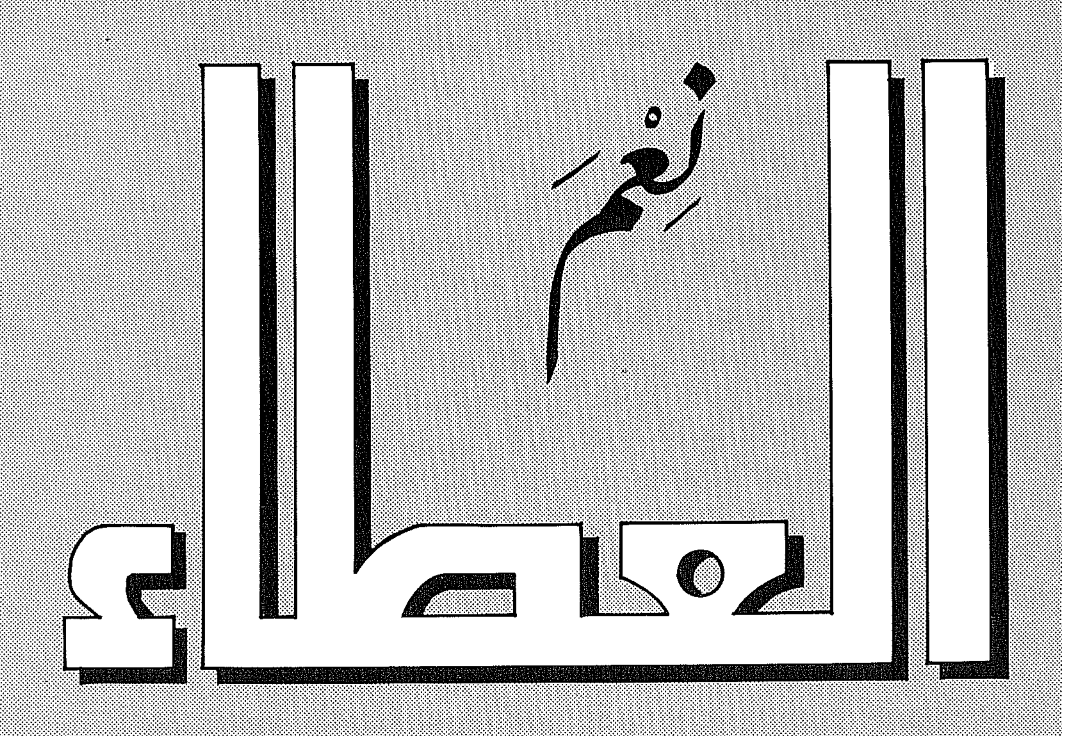
وهكذا يكون المسلمون واعين حذرين دائما ، فان ظهر أن هذا السلم ما هو الا خديعة فيجب انهاء حالة السلم والالتجاء للقتال والحرب . قال الله تعالى في صيغة صريحة قاطعة : (**واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون**) الأنفال / ٥٨ ، ٥٩

استجداء السلم :

وتلك حالة خطيرة يضطر فيها ضعاف المسلمين لاستجداء السلم من أعدائهم ظانين أنهم بذلك يصلون بسرعة وسلامة الى أفضل الحلول رغم تعنت الأعداء وصلفهم وتشددهم في املاء شروطهم ، وهنا يحذرنا الله عز وجل من هذا التردي الخطير في قوله تعالى : (**فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم**) محمد/ ٣٥

فهل هي رغبة جامحة في القتال واعراض أجوف عن نداء السلم ؟ ان علام الغيوب جل شأنه يقول لنا من الأسرار ما قد يخفي علينا في ظروف قد لا تتيح لنا الرؤية الكاملة للموقف (**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط**) آل عمران/ ١١٩ ، ١٢٠

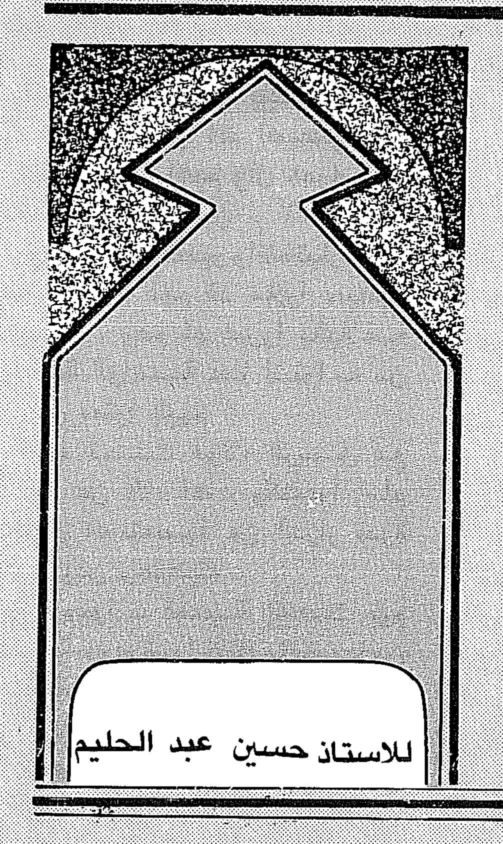
يجب اذن ان نتعرف على موقفنا جيدا وندرسه من شتى جوانبه متجردين من العجلة والزيغ والأهواء مستلهمين كتاب الله وسنة رسوله في كل خطواتنا (**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**) آل عمران/ ١٣٨



مكانة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تفوق عن مكانة أبناء جنسهم ، وذلك لما لهم من صفات تفوقوا وامتازوا بها عمن سواهم من أبناء البشر جميعا . كانوا على إيمان بالله سبحانه لا يتطرق إليه الشك ، كان إيمانهم بالله إيمانا كاملا بالصدق واليقين والثبات ، ووصلوا بإيمانهم إلى طمأنينة النفس ، وإلى غاية الاعتزاز بالله ، ولقد كبح الاعتزاز عندهم كل نوازع الأغراض من نفوسهم ، فهم لم يلتفتوا أبدا إلى ما بأيدي غيرهم من متاع ، بل ولم تجد الأطماع طريقا إلى إغرائهم ، وعملوا – من أجل الحياة – لكسب العيش الكريم ، ثم جاهدوا في سبيل دعوتهم إلى الله ، أما أمانتهم فإنها حفظت لهم وللناس حق السماء فيما أنزل الله عليهم من وحيه ، كما حفظت عليهم حق أهل الأرض في كل ما أئتمنهم الناس عليه .

لقد وصل الأنبياء والرسل إلى مكانة التفوق على غيرهم لأنهم حققوا في حياتهم التوافق ، والاتزان ، والانسجام ، بين الروح والجسد ، في كل أمر أمر الله به ، لأنه أمر من الله

عطاء الله لمن اصطفاه



للاستاذ حسين عبد الحليم

سبحانه – وهو باليقين – فيه الخير، وفي كل نهي نهى الله عنه، لأنه نهي من الله سبحانه – وباليقين في فعله الشر كل الشر، فأحكام الله سبحانه طاعة في سرائرهم وفي علانيتهم.

ولقد وصلوا في مفهوم وحدانية الله تعالى إلى أرقى مراتب الفكر الانساني، ذلك لأن توحيد الله تعالى تنزيه، وسمو، وجلال، وقد وهب الله لهم من نوره ما وهب.

وأخذهم من قلوبهم وضمائرهم، وأعدهم في التكوين وفي الخلق ليكونوا رسلا لعباده، ومن الفكر التوحيدي نالوا درجة النبوة والرسالة وشرفهم الله بها؛ وقد بلغوا – بالبيان المضيء الواعي – كل ما أراده الله سبحانه من خلقه.

وإننا نرى من عطاء الله لأنبيائه ورسله أن كشف الغطاء عن بصائرهم، فشاهدوا أسرار الخالق في كل شيء خلقه وأبدعه؛ من هذا الحديث نجد أنفسنا أمام سنة جليلة من سنن الخالق سبحانه، وهي: « أن لله فيمن يخلق. صفوة يختارها ويصطفيها، ويقربها إليه. ويهبها العطاء منه بما يشاء ».

وإذا اصطفى الله سبحانه من اصطفاه فلا راد له . يؤكد ذلك قول الله تعالى : (**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين**) آل عمران / ٣٣ .

وكان هذا التقدير والاختيار لأنهم يستحقونه ، فهم قد ملأوا حياتهم بالصدق ، وهم قد عبروا بالبلاغة والحجة الواضحة عما أنبئوا به من الله لمن بعثوا إليهم .

ولقد تحدث هؤلاء الرسل مع الناس عن آلاء الله ، وكشفوا أمام العقول المستعصية عن أسرار قدرة الله ، وعن وحدانيته .

ثم عرضوا ـ قضية البعث يوم القيامة ، وعرضوا كذلك ما يتبعها من الحساب والثواب والعقاب .

قالوا عن قضية البعث قولا سهلا لا يدع مجالا للارتياب .

ولقد تعجب المعارض أي عجب لهذه القضية التي تلزمه بالحساب وبالثواب وبالعقاب .

وقال ـ كما حكى القرآن الكريم ـ :

(**من يحيي العظام وهي رميم**) ؟ . يس / ٧٨

وتأتي حجة الخالق أمام تعجب من عارض رسله .. يقول القرآن الكريم : (**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**) يس / ٧٩

يعترف ـ المعارض ـ أولا بأن الذي خلقه هو الله ، ثم يقر بأنه ـ قبل أن يخلقه الله . لم يكن شيئا . فاذا كان يعترف بالخلق الأول له فلم ينكر الخلق الثاني ؟

ولنا ان نسأل هنا :

لماذا استبعد المعارض الآخرة والبعث والحساب والثواب والعقاب ؟

لقد استبعد المعارض الآخرة لأن فيها ما يخيفه من اصناف العذاب ، بل ورأى فيها ما يصرفه عن لذاته وشهواته وأطماعه في دنياه . بل ورأى فيها حضه وإيقاظه لاعمال العقل في محاسبة النفس ، وحملها على تقدير الحساب والثواب ، او العقاب : ولقد تناسى المعارض « قضية البعث » .

مع أن محاسبة النفس بالحساب وتقدير الثواب أو العقاب لها ، هي دعوة إلى إدراكه قيمة وجوده ، وإشغال فكره ، وإحساس وجدانه ، وفي هذا كله فضائل يتميز بها الانسان على سائر الحيوان .

ونعود لنتابع تقدير الله لرسله وأنبيائه فنرى أن الأنبياء كثيرون .

ولكن الرسل الذين اصطفاهم الله من بين أنبيائه ، ونالوا من عطائه وفضله درجة الرسالة ، هم خمسة وعشرون رسولا . قال الله تعالى : (**وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين**) الأنعام / ٨٣ ـ ٨٦ .

إن الآيات الكريمة قد أحصت لنا ثمانية عشر رسولا – أما من بقي من الخمسة والعشرين ، فانهم سبعة : **إدريس ، وهود ، وشعيب ، وصالح ، وذو الكفل ، وآدم ، ومحمد بن عبد الله .**

ويتدرج الاصطفاء !

فيصطفي الله بالعطاء والفضل خمسة من هؤلاء الرسل ، وهم بالترتيب ، **محمد بن عبد الله العربي** القرشي . وهو أولهم ، ويليه في القرب من الله **إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم نوح .** عليهم الصلاة والسلام جميعا وهؤلاء هم أولو العزم ، وخصهم الله بهذه الصفة لأنهم صبروا وتحملوا المشاق في سبيل الله تعالى : لنشر دعوته ؛ ثم اصطفى الله بالفضل « محمداً » من أولي العزم ، فما ناله محمد بن عبد الله من عطاء الله وفضله لم ينله غيره من الأنبياء والمرسلين .

فمحمد – صلوات الله وسلامه عليه – هو أقرب الخلق إلى الله .

يقول الشاعر .. في مدحه .

الله هيأ من حظيرة قدسه
نزلا لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة وقوائماً
ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم
حاشا لغيرك موعد ولقاء

ويقول الرسول محمد ، عليه الصلاة والسلام : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم ، فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر » رواه احمد والترمذي وابن ماجه .

النبي محمد – يعتز بعطاء الله .

ولا يفخر إنه – بتقدير الله يتحدث .

وبنعمته وعطائه يحكي

هنيئا لك يا رسول الله !!

ونعم العطاء عطاء الله .

إن محمداً بن عبد الله ،، قد فاز بالقرب من الله ، ونال درجة عنده لم ينلها أحد من خلقه .

وإذا احتسبت الفترة التي عاشها النبي صلوات الله عليه بين قومه يدعوهم فيها إلى الله تعالى ، لوجدناها فترة قصيرة ، تصل إلى ثلاث وعشرين سنة .

وعلى الرغم من قصر هذه الفترة فان من إكرام الله له أن نصر دعوته في أنحاء الجزيرة العربية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وفتح الله عليه بالفتح الأكبر ،، فتح مكة ..

ويئس الشيطان أن يعبد في الأرض العربية كلها .

هذا هو ما قاله محمد بن عبد الله حين كان يكسر بيده الأصنام . اعترافا بفضل الله وعطائه ،، وإن من تكريم الله لنبيه محمد أن هيأ له رجلا حازما هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ..

فهو في حياة النبي ،، يناصره ،، ويفتديه بماله ،، وبروحه ،، ويؤانسه في الغار قال تعالى : **(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما في الغار إذ**

يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة / ٤٠

وبعد ممات الرسول الكريم ، يقف أبو بكر أمام كل الأعداء لمحمد ولدينه ، ليحافظ على قواعد الاسلام .

ثم يوضح للأمة الاسلامية طريق مسيرتها .

إن محمدا بلغ الكمال في كل شيء ، بلغ الكمال في الصدق ، وفي الأمانة وفي الصبر على الشدائد ، وفي الخوف والخشية من الله ، فهو جدير بتكريم الله سبحانه وهو القائل عنه في كتابه :

(وإنك لعلى خلق عظيم) القلم / ٤

وينفي عنه الجنون ، ويعصمه منه . وقد رماه الأعداء به **(ما أنت بنعمة ربك بمجنون)** القلم ٢

وقد تفضل عليه الله بالعصمة من أعدائه ، وفي يوم الهجرة من مكة الى المدينة دليل على هذه العصمة .

وقد أسرى به سبحانه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام ، ليبعد عنه الحزن ، ويحظى بقرب الله .

وقد عمم بعثته فجعلها لكل المكلفين من إنس ، ومن جن .

وقد حفظ دعوته من التغيير ، وهيأ له من ينصرونها في كل زمان .

وقد حفظ قلبه ، وجعله وعاء صافيا لحمل رسالة السماء .

ولقد كرمه أعظم تكريم . إذ خصه بالمعجزة الخالدة .. تلك هي « **القرآن الكريم** » !!وقد جعله صلوات الله عليه خاتما للرسل لأنه أكملهم .

وإذا وصل الكمال في العطاء وفي التكريم إلى محمد فما الحاجة لمن يأتي بعده ؟

وكان لابد ـ بعد أن جعله خاتما للرسل ـ أن تكون رسالته خاتمة للرسالات وللشرائع ، لأنها أكملت كل الشرائع السابقة . إن الشرائع السابقة تختلف بحسب الأزمنة ، أما شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه فهي لم تترك حاجة من حاجات الناس مهما اختلفوا ، إلا تناولتها بنصوص القرآن بالتشريع ، وبالتنظيم .

وإن كلام الله معجز للبشر جميعا قال تعالى : **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** الاسراء / ٨٨

وإن إعجاز القرآن يتجلى في كونه في أعلى قمة من طبقات البلاغة والفصاحة .

وإن إعجاز القرآن حاصل ، لكونه يشتمل على الاعلام بالغيب ، ولكونه يتحدث عن دقائق العلوم .

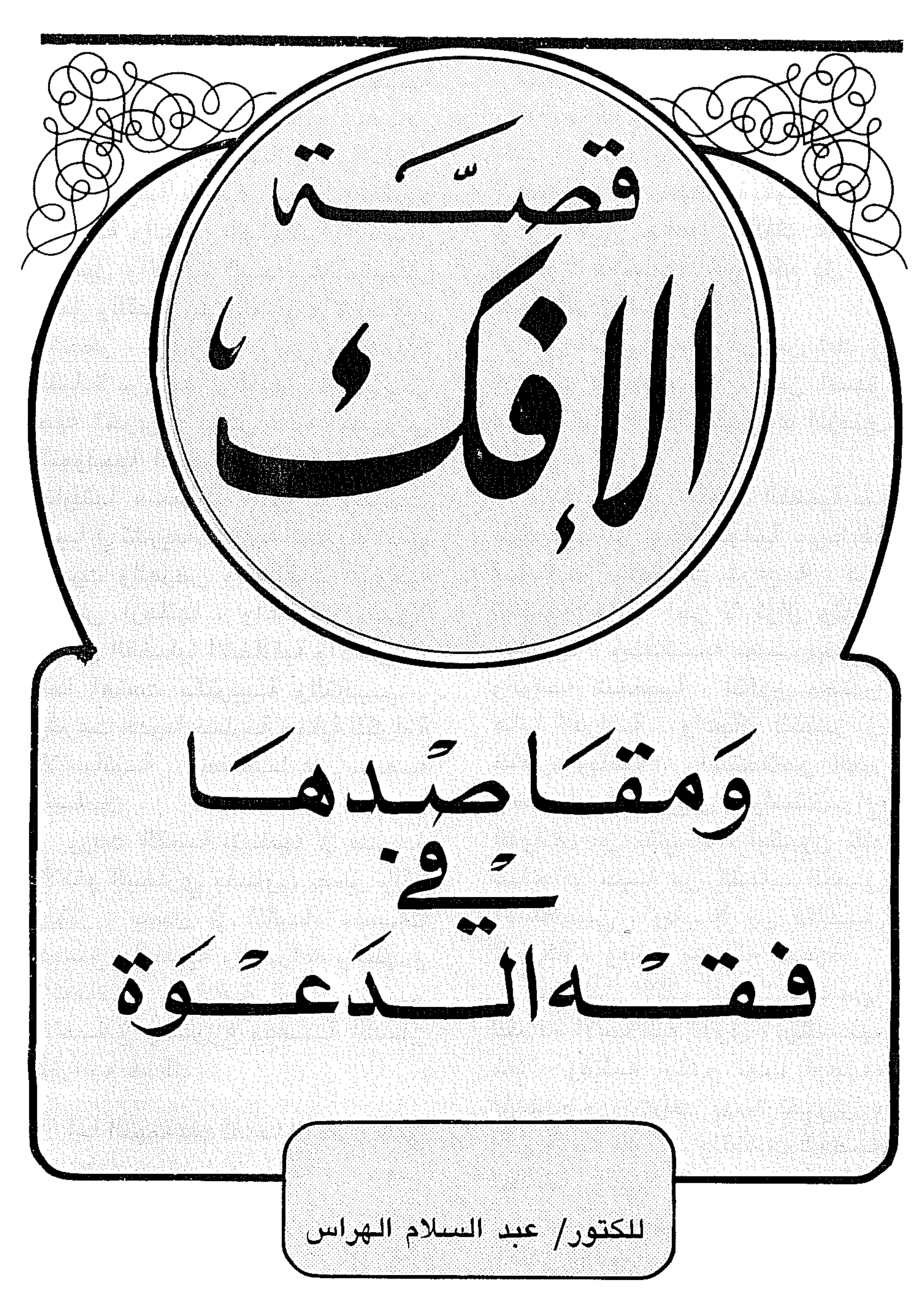
وإن كتاب الله لمحمد : نعم العطاء وسيبقى القرآن في حفظ الله »

قال تعالى :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر / ٩

صلاة وسلاما عليك يا رسول الله بقدر حبك لله ،، ولكتابه .

وبقدر حب الله لك ،، وبقدر عطائه لك ،، وتكريمه إياك .



إن الدعوة التي تستمد من القرآن والسنة وسيرة الصحابة والصالحين مبادئها وأساليبها وسلوكهـا ، هي الدعوة الاسلامية الحـق . وليست

حكمة الدعوة ولا موعظتها الحسنة امرين يستفادان من خارج المصادر السابقة ، وامامنا نماذج حية لتربية الدعاة تربية مفعمة بالوعي والتبصر والفطنة والحذر الهادف والصبر الجميل والارادة الصامدة وايثار الحق والقدرة على التمييز والاحساس بالخطر ، وادراك المرامي والاهداف للقيادة من جهة وللقوى المعادية من جهة اخرى ، ومن هذه الدروس النموذجية العظيمة قصة الافك التي تناولتها « **سورة النور** » وكانت سببا في تشريعات هامة تتعلق بالاسرة والبيت والعرض والعلاقات الزوجية وبعض ازماتها ، واعطت حلولا لبعض القضايا الاخلاقية والاسرية ، كما اهتمت بالتربية والتأديب ، وشرعت حدودا صارمة حماية للكرامة الانسانية ، وحفاظا على سمعة المسلمين .

وردت القصة بتمامها في صحيح الامام البخاري بأسلوب جميل رائع ومؤثر ، يحمل في ثناياه سمات الصدق والعفوية والبراءة والطهر والعفاف ، وشفافية الروح وسمو الاخلاق والورع وعفة اللسان فلنراجع هنالك .

اما التهمة فقد نفاها الرسول صلى الله عليه وسلم اولا بقوله : « معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي ، والله ما علمت على اهلي الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي » رواه البخاري .

ثم نفاها الله اخيرا ، وبرأ « **الصديقة بنت الصديق** » كما برأ معها في ذات الوقت الصحابي الجليل « **صفوان بن المعطل** » بقوله تعالى : **(ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم)** النور/١١ .

اذن فلم يبق هناك ذرة من شك في ان هذه التهمة باطلة ، ومن اصدق من الله قيلا ؟ وبذلك كفى الله المؤمنين القتال .

واذا ما طويت ملفات القضية بما صدر فيها من احكام نهائية ، وما نفذ فيها من عقوبات شرعية ، فان للقضية جانبا آخر لا تزال وثائقه منشورة ، وملفاته معروضة ، والواحه شاخصة ، لتكون مصدرا هاما للدراسة ، واعمال النظر في ظاهره وباطنه ، واستخلاص العبر واستنتاج المقاييس ، واستخراج القوانين من ثناياه ، ليكون ذلك صفحات حية من كتاب العمل الاسلامي ، ودليلا من دلائل الحركة ، وجزءا من فقه الدعوة .

لقد كان الافك امتحانا عسيرا للقيادة الاسلامية الاولى ، ولقاعدتها معا ، وفتنة ارتج لها ارجاء المجتمع ، وتزلزلت بها نفوس ، واضطربت قلوب ، واغتنمت العصبة المنافقة واليهود الفرصة لترويج الشائعة ، وتزويقها وتسويغها للعقول والأفواه ، ومع ذلك يقول الله تعالى : **(لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم)** فما هو هذا الخير ؟ احسب ان من اهم عناصر الخير في

هذه القصة هي ما يمكن استخلاصه من غايات عظيمة ، وحكم مفيدة ، فمن ذلك :

١ ـ الثقة :

تعرض المجتمع الاسلامي لامتحانات عسيرة في ايمانه ، وثقته بربه ، وقيادته ، وحياة الدعوة قبل الهجرة وبعدها ، كانت كلها اختبارات وابتلاءات تربوية صارمة ، ومن هذه الابتلاءات : **الافك** الذي كان امتحانا لثقة المسلمين برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأسرته ، وبقيادة ابي بكر في بيته ، وتربيته لبنيه ، وهو المعد لخلافة النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد فوجىء المسلمون بترويج الافك ، والافك عندما ينطلق من عصبة منظمة يتخذ صورا شتى ، واساليب مختلفة ، حتى يكون اكثر تأثيرا واستمالة ، وقدرة على قبوله واستساغته ، ولكن المسلمين يعرفون الله حق المعرفة ، ويعرفون رسول الله حق المعرفة ، ويعرفون زوجة « الصديقة بنت الصديق » حق المعرفة ، ومن قويت معرفته بالله ، ومعرفته برسول الله ، ومعرفته بالصديقة رضى الله عنها ، لا يسعه ان يقول إلا ما قاله سادات الصحابة لما سمعوا ذلك :

(سبحانك هذا بهتان عظيم) النور/١٦ .

وروى ان ابا ايوب خالد بن زيد الانصاري قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضى الله عنها ؟ قال : نعم ، وذلك الكذب ، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا ، والله ما كنت لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خير منك .

هذا الموقف العفوي يدل على سمو التربية التي تلقاها الصحابة في جو النبوة الكريمة، لقد شاهدوا قدوتهم على صراط مستقيم دائما ، في بيته ، وعلاقاته ، وحركاته وسكناته ، وشاهدوا من حياته ما كون في نفوسهم ثقة ثابتة لا تعصف بها اعتى الابتلاءات ، لانهم يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى يتولاه ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يربي فيهم هذه الثقة في حدود رسالته ونبوته ، وعبوديته لربه حتى لا يدعوا فيه ما ادعته النصارى في نبيهم ، وحتى لا يغلوا في محبتهم .

وتتجلى هذه التربية الحضارية ليس فقط في دفع الافك ، ورفضه رفضا قاطعا ، بل ايضا في الاسلوب المعبر عن ذلك ، لقد كان صورة معبرة دالة اذ قالوا : **(سبحانك هذا بهتان عظيم)** .

ويعلق ابن القيم على هذه العبارة الجميلة بقوله :

« تأمل ما في تسبيحهم لله ، وتنزيههم له في ذلك المقام ، من المعرفة به ، وتنزيهه عما لا يليق به ، ان يجعل لرسوله وخليله واكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا ، فمن ظن به سبحانه هذا الظن فقد ظن به السوء ، وعرف اهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق الا بمثلها ، كما قال تعالى : **(الخبيثات للخبيثين**

والخبيثون للخبيثات) النور/٢٦ **فقطعوا قطعا لا يشكون به ان هذا** بهتان عظيم » .

وكما كان الظن حسنا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبزوجه رضي الله عنها ، كان ايضا بصفوان ابن المعطل .

لأن المجتمع كان يتعامل فيه أفراده بينهم بالثقة والاحترام والتقدير .

٢ ـ الوعي والفطانة :

ان الافك كان عملية عدوانية في مجال الدعاية والشائعة ، قصد بها أعداء الاسلام الفت من عضد المسلمين ، بعد ما شهدوا من انتصارات متوالية ، وخضوع القبائل لهم ، والدخول في دينهم : احس اليهود والمنافقون بالمدى الكبير لنجاح الاسلام واكتساحه الميادين كلها ، وسحقه لمؤامراتهم ، لذلك حسبوا ان في استغلال هذا الحادث مكسبا هاما ، اذ يستطيعون ان يثيروا البلبلة والاضطراب داخل اسرة رسول الله ، ووسط المجتمع الاسلامي الجديد ، فكانت هذه المؤامرة من جانب اليهود واذ يالهم من المنافقين ، امتحانا عسيرا لوعي المسلمين وفطانتهم وتربيتهم النفسية والاجتماعية ، فاذا بالمؤامرة ترتد خائبة ، اذ ينكشف لاصحابها مدى سلامة هذا المجتمع ، وتماسكه ورشده ، وذكائه وعمق وعيه ، ورصانته وحسن تفكيره . فالشائعة لم تستطع ان تجد مجالا للانتشار الا في اطار ضيق ، وضيق جدا لا يتعدى افرادا ثلاثة ممن اقيم عليهم الحد .

اما المنافقون الذين يقودهم عبد الله ابن ابي بن سلول فلكونهم مبتورين من الجماعة الاسلامية لم يستحقوا التطهير بالحد ، لأن مصيرهم العذاب العظيم في الدنيا والهزائم المتكررة والمقت الاجتماعي الشامل ، والاحتقار من اقرب الناس اليهم ، وفي الآخرة بما هو اشد وانكى ، وتلك الفئة المؤمنة القليلة التي تنحصر في ثلاثة افراد تعرضت للحد ، لانها آذت عرض مسلمة مؤمنة ، وأبانت عن ضعف في وعيها ، ونقص في ادراكها لابعاد مؤامرات المنافقين واليهود ، ومن فضل الله على هذه الفئة الساذجة ان قبل الله توبتها ، اذ طهرها بالحد ، يقول تعالى :

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) النور/١٤ ، ١٥ .

وهذه نقطة هامة نستفيدها من هذه الحادثة ، وهي ان المؤمن الحق ان بدر منه خطأ ما ، ولو كان في هذا المستوى الذي نتناوله ، فان باب التوبة مفتوح بفضل من الله ورحمته ، اما المنافق فلا توبة له لأنه مصر على النفاق ، مستمر في الضلالة .

٣ ـ تمييز الاعداء وكشفهم

لو كان الحادث يتعلق باسرة مسلمة عادية ما كان اعداء الاسلام يسارعون لاستغلاله ، فقد سبق ان

هاجرت مسلمة من مكة الى المدينة حيث زوجها ، وصحبها في الطريق رجل من مكة – كان جارا لها – حماية لها من اخطار الطريق ، فلم يلتفت احد الى هذه القضية ، لأن اتهام امرأة عادية ليست بقضية ذات استثمار دعائي ، اما وان الامر يتعلق بامرأة ذات شأن ، لكونها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبنت صاحبه أبي بكر رضي الله عنه ، فالفرصة مواتية لمناوأة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وجماعة المسلمين ، وبث البلبلة والاضطراب في صفوفهم ، وزرع الشك والظن السيىء فيهم ، لأنه ان استقر ذلك في النفوس تزعزعت الوحدة ، وتضعضع الصف ، ومن هذا يبدأ التقهقر والفشل ثم الانهيار .

هكذا تهيأ للمنافقين وتراءى لهم ، فاندفعوا بنشاط متواصل ، يتصلون بهذا وذاك يشيعون الافك وينشرونه ، ويزيدون فيه وينقصون ، فكان نشاطهم ذاك فرصة نادرة ينكشفون فيها للمسلمين ، فيعرفون منهم صفات جديدة من الكيد والمكر ، والدس والتلفيق والبهتان ، ويعرفون معظمهم باسمائهم ، كما تتأكد قيادة ابن ابي سلول لهذه العصبة الخطيرة ، كما انكشف بعضهم في غزوة بدر ، وغزوة احد ، وغزوة الخندق ... وهكذا تكون هذه الحادثة المؤلمة خيرا للمسلمين وللمجتمع الاسلامي ، اذ انكشف لهم اعداؤهم عراة من الداخل(**ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر**) آل عمران/١١٨ ولو بذل المسلمون ما بذلوا لكشف هؤلاء الاعداء ما كانوا ليحققوا هذا الغرض بمثل ما تحقق بهذا الحادث ، اذ اندفع المنافقون في بلادة وتسرع وتهور الى اعلان الحرب النفسية ، بدافع البغض والحقد والتقرب لليهود وهكذا يمكن للمسلمين في كل زمان ومكان ان يكشفوا المنافقين والاعداء على ضوء تصرفاتهم ومواقفهم ، وسلوكهم في مثل هذه الاحداث ، فسمات المنافقين التي رسمها القرآن ، ووصفها من الداخل والخارج ، تنطبق عليهم في كل زمان ومكان .

٤ – تأديب واعداد خلقي :

ان قصة الافك كانت مناسبة لتربية الامة ، وتعويدها على خصال حميدة ، واشعار كل فرد منها بوجوب احترام الآخرين ، واعتبار نفسه انه جزء من كل ، وبهذا يتكون الشعور الجماعي الذي يجعل من الأمة جسما حيا متكاملا ، كل عضو فيه يخدم باقي الاعضاء ، ويسعى لمنفعتها ، ويحمل نحوها نفس التقدير ، ونفس الظن الحسن ، يقول تعالى مخاطبا الجميع ، من ظن خيرا ، أو من ظن غير ذلك تأسيا وتأكيدا ، توجيها وارشادا ووعظا : (**لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**) النور/ ١٢ .

فالظن الحسن بالغير هو في الحقيقة ظن حسن بالذات نفسها ، لأن الامة ذات و حدة ولا يكون المؤمن

مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وان كل شعور بغير هذا انما هو مرض فردي ، ان كان صاحبه فردا ، وظاهرة مرضية اجتماعية تدل على اختلال في التربية ، وسوء في التوجيه ، واضطراب في السير ، ومثل هذا المجتمع لا يكون جديرا بالقيادة ، وانما يكون قابلا للتمزق والفتنة والتبعية ، والاستسلام للانهيار .

٥ ـ انجازات تربوية :

ان هذا الحادث يبين لنا ان تربية القرآن وعناية الله بحمال رسالته قد بلغت درجة عالية من الفعالية والتأثير ، أما بالنسبة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان الكمال الباهر ، ولنضرب على ذلك امثلة :

○ ـ **الصبر** : فقد لاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر ، وكذلك فعل ابو بكر وزوجه ، ونفس الموقف التزمته عائشة ـ رضي الله عنها ـ لانها زوجة الاول صلى الله عليه وسلم ، وبنت الثاني رضي الله عنه .

اما الرسول فقد كان يعيش وفق تربية سماوية مباشرة ، يتولاه الله بوحيه ، ويصنعه على عينيه التي لا تنام ، لذلك اتخذ موقف الصبر والاناة والانتظار والتربص ، لأنه ادرك ان شيئا وراء هذه الحادثة ، وانها امتحان من نوع جديد في سلسلة الامتحانات السابقة للمجتمع الاسلامي كله ، ولم يقدم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أي اجراء أو تنفيذ ، وانما عندما عاد الى المدينة ، وكثر القيل والقال من رئيس المنافقين واشياعه رقي المنبر متعذرا في عبد الله بن ابي قائلا :

« يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني اذاه في اهلي ، فو الله ما علمت على اهلي الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا ، وما كان يدخل على اهلي الا معي » رواه البخاري .

ثم استشار بعض اقربائه ، فكانت اشارة الجميع تدل على حسن الظن بعائشة رضي الله عنها ، بما في ذلك علي كرم الله وجهه .

ثم اتجه نحو صاحبة القضية مباشرة يخاطبها في أدب قرآني رفيع .

اما ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ فاحتذى حذو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشعر بأن هذا ابتلاء من الله ، فلاذ بالصبر ، واتجه نحو الله وحده سبحانه وتعالى ، وكان في استطاعته ان يستعمل نفوذه ، وان يثير الصحابة والمسلمين على هؤلاء الأفاكين ، وينتصر لعرضه ، لكنه لم يفعل ذلك ، وانما أدرك ان الابتلاء يواجه بالصبر والتسليم والاعتماد على الله الذي يتولى أولياءه .

اما عائشة التي تربت في احضان الرسول واحضان صاحبه أبي بكر ، فقد بكت وخرت مغشيا عليها ، واصابتها حمى ، فلما افاقت وكلمها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الموضوع ، لم تزد ان قالت : واني لا اقول إلا كما قال والد يوسف : **(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)** يوسف/١٨ .

لكن صفوان بن المعطل لم يكن من الصابرين ، اذ لم يحتمل الصدمة ، وقد ووجه بتهمة خطيرة ، من شأنها ان تعرضه الى سخط الله ، وسخط رسوله ، ومقت المجتمع الاسلامي كله ، لذلك اهتاج اهتياجا دفعه الى البحث عن حسان بن ثابت ، وهو مؤمن مثله ، حتى اذا وجده هوى عليه بسيفه يريد قتله ، ولولا ثابت بن قيس ابن شماس الذي اخذ صفوان فشد وثاقه لأجهز على حسان ، وفي مثل هذا الموقف لا يصبر الا اولو العزم من الرجال ممن يهيأون للقيادة والريادة كأبي بكر .

٦ ــ العفو والاحسان :

والخلق الثاني الذي تجلى في هذه القصة ، هو العفو والصفح والاحسان للمسيء . فقد آذى « مسطح » « ابا بكر » في عرض ابنته ، وكان يعوله لقرابة بينهما ، فلما وقع ما وقع ، اقسم ابو بكر الا ينفع مسطحا بنافعة ، فقطع عنه النفقة ، فنزل قوله تعالى : **(ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم)** النور/٢٢ فقال ابو بكر : بلى ، والله يا ربنا انا لنحب ان تغفر لنا ، وعاد لمسطح بما كان يصنع واستأنف الانفاق عليه .

وكانت عائشة ــ رضي الله عنها ــ تثني على حسان ، وتقول : ما سمعت بشعر احسن من شعر حسان ، ولا تمثلت به الا رجوت له الجنة .

ولكن ليس هذا بعجيب ، اليست بنت الصديق وزوجة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لذلك فقد احسنت كما احسن ابوها بعدما عفا وصفح ، وكل ذلك من اخلاق التربية النبوية الكريمة التي تستضيء بنور الوحي ونور القرآن **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)** النور/٤٠ .

٧ ــ سمو الخلق في العلاقات والورع :

لقد تجلى في هذه الحادثة سمو اخلاق المجتمع الاسلامي ابتداء من قائده ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانتهاء بآخر شخص من هذا المجتمع .

وأي اسلوب حضاري اخلاقي اعظم من تلك المعاملة المتبادلة ، وذلك الحوار الذي جرى بين رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبين زوجه ــ رضي الله عنها ــ فلم يتسرع الرسول باخبارها بما يشاع ، ولما علمت به جرى هذا الحوار الكريم بينهما ، اذ قال لها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعدما حمد الله واثنى عليه :

« اما بعد ، يا عائشة ان كنت قارفت سوءا ، او ظلمت ، فتوبي الى الله . فان الله يقبل التوبة عن عباده » فالتفتت عائشة إلى أبيها فقالت له : أجب رسول الله ، قال : فماذا أقول له ؟ فالتفتت إلى أمها فقالت لها : أجيبي رسول الله ، قالت : ماذا اقول ؟ وعند ذاك لم تجد بدا من الجواب ، فحمدت الله واثنت عليه بما هو اهله ثم قالت :

« اما بعد ، فوالله ان قلت لكم اني

لم افعل ، والله – عز وجل – يشهد أني لصادقة ما ذلك بنافعي عندكم . لقد تكلمتم به واشربته قلوبكم . وان قلت لكم اني قد فعلت ، والله يعلم اني لم افعل ، لتقولن قد باءت به على نفسها ، واني والله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف – اي النبي عليه السلام والتمست اسمه فلم تقدر عليه – حين قال :

(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

في هذا الموقف العصيب بدت آثار تربية القرآن ، وتربية الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الافراد الذين حضروا المجلس ، فالكل قد عرف الحدود والمقامات ، ومن جهة اخرى فان زينب – رضي الله عنها – كانت ضرة لعائشة ، وكانت تساميها عندما سألها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بادرت الى القول :

« يا رسول الله ، احمي سمعي وبصري . والله ما علمت الا خيرا »»

وعندما سأل عليا رضي الله عنه – وهو تربية الرسول صلى الله عليه وسلم – حاول في اجابته اطمئنانه ، ولكن فيما يتصل بعرض عائشة رضي الله عنها احاله فيه على الجارية التي تعرف خبايا الامور ، فقال له :

« وان تسأل الجارية تصدقك الخبر » فقالت الجارية – بريرة او غيرها – والذي بعثك بالحق ما رأيت منها امرا قط اغمصه (اعيبه والاحظه) اكثر من انها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين اهلها ، فتأتي الداجن فتأكله وفي رواية اخرى انها قالت : ما علمت عليها الا ما يعلمه الصائغ على التبر »

اما اسامة بن زيد – رضي الله عنه – فقد قال :

« يا رسول الله ، اهلك ولا نعلم الا خيرا »

وقد تبين من هذا ان البناء الداخلي لاسرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان متينا متراصا يسوده حسن الخلق ، وعمق الورع ، والتواد والتراحم ، والاحترام المتبادل ، والاخلاص وايثار الحق على ما سواه .

٨ – الثقة بالله

ان موقف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وموقف ابي بكر – رضي الله عنه – وزوجه وجواب عائشة كل ذلك يدل على الثقة في الله ، والاطمئنان الى حكمه ، والشعور بمعيته ، وانتظار القول الفصل منه سبحانه وتعالى ، وان كانت عائشة لم تكن تظن ان قرآنا سينزل فيها فانها كانت على يقين من براءتها ، وان براءتها ستأتي من السماء ، ولهذه العلاقة بينها وبين ربها اتجهت بالشكر له فقط ، لأن وحيه هو الذي فرج الكربة ، وازال الغمة ، بل واسبغ نعمة المسرة والفخر مما زاد الروابط متانة ، والمحبة قوة ، والنفوس اطمئنانا ، وهناك حكم اخرى وعبر عظمى اشار الى بعضها ابن القيم في كتابه العظيم « زاد المعاد » ويمكن استخلاص البعض الآخر بالتأمل والنظر مثل مناسبة التشريع ، وزيادة التشريف لابي بكر وعائشة ، وابراز

مقام ابي بكر العظيم في درجات الاهلية للقيادة ، بالموقف الرزين الذي التزمه ، وبالعفو الكريم والاحسان المتواصل اللذين اتصف بهما ، وبمسارعته لانفاذ توجيه الله ، وامتثال تعاليمه ، والعمل على ما يرضيه سبحانه وتعالى .

ويجدر بنا ان نختتم هذا الموضوع بكلام ابن القيم الذي لخص فيه كثيرا من مقاصد هذه الحادثة ، وبيان ما فيها من خير للامة الاسلامية جمعاء ، يقول رحمة الله عليه جوابا عن تساؤل حول توقف الرسول صلى الله عليه وسلم في امر عائشة سائلا ومستشيرا وباحثا قائلا :

« فالجواب ان هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولجميع الامة الى يوم القيامة ، ليرفع بهذه القصة اقواما ويضع بها آخرين ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وايمانا ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا ، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء ان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها لا يوحي اليه في ذلك شيء ، لتتم حكمته التي قدرها وقضاها ، وتظهر على اكمل الوجوه ويزداد المؤمنون الصادقون ايمانا وثباتا على العدل والصدق ، وحسن الظن بالله ورسوله واهل بيته ، والصديقين من عباده ، ويزداد المنافقون افكا ونفاقا ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وابويها وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن ابويها والافتقار الى الله ، والذل له وحسن الظن به ، والرجاء له ، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين ، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد احد من الخلق ، ولهذا وفت لهذا المقام حقه لما قال لها ابواها قومي اليه ، وقد انزل الله عليه براءتها ، فقالت : والله لا اقوم اليه ، ولا احمد إلا الله هو الذي انزل براءتي .

وايضا فكان من حكمة حبس الوحي شهرا ان القضية نضجت واستشرفت قلوب المؤمنين اعظم استشراف الى ما يوحيه الله الى رسوله فيها ، وتطلعت الى ذلك غاية التطلع فوافق الوحي احوج ما كان اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته ، والصديق واهله ، واصحابه والمؤمنون فورد عليهم ورود الغيث على الارض وهي احوج ما كانت اليه فوقع منهم اعظم موقع والطفه وسروا به غاية السرور ، وحصل لهم به غاية الهناء ... »

وبعد .

فجدير بالمسلمين ان يدرسوا مثل هذه القضايا بما تستحق من عناية ، في وقت استسهل فيه كثير من المسلمين ــ وفيهم الخاصة !!! ــ إثم القذف ، وثلم العرض ، والاصاخة للشائعة . وقد عرف اعداء الاسلام هذا الضعف فينا فاستغلوه اشد استغلال ، وافادوا منه ايما فائدة ، ودخلوا منه الى مجالات الافساد بين الجماعات والافراد في المجتمع الاسلامي .

مائدة القارئ

لا تتمن ما غبت عنه

كان المقداد بن عمرو رضي الله عنه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين ، وقد شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فارس المسلمين الوحيد في غزوة بدر ، لقول علي رضي الله عنه : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروي عبد الرحمن بن جبير بن نضير عن ابيه ، قال : جلسنا الى المقداد يوما فمر به رجل ، فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لوددنا انا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت ، فاستغضب ، فجعلت اعجب ، فالرجل لم يقل الا خيرا ، ثم اقبل اليه (اي التفت اليه بوجهه) فقال :

ما يحمل الرجل على ان يتمنى محضرا غيبه الله عنه ، ما يدري لو شهده كيف كان يكون فيه ؟ والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم اقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم ، لم يجيبوه ولم يصدقوه ، او لا تحمدون الله اذ اخرجكم لا تعرفون الا ربكم ، مصدقين بما جاء به نبيكم ، ولقد كفيتم البلاء بغيركم ؟ والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم على اشد حال بعث عليها نبي من الانبياء في فترة وجاهلية ، ما يرون ان دنيا افضل من عبادة الاوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده . ان كان الرجل ليرى والده وولده واخاه كافرا ، وقد فتح الله قفل قلبه للايمان ، يعلم انه (اي ان والده او ولده او اخاه) ان هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه في النار . وانها للتي قال الله عز وجل : « والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين » (الفرقان ٧٤) .

دعاء

اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا ورحيمها أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك

مائدة القارئ

اخوة بعضهم من بعض

روي عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه صر اربعمائة دينار ، وقال لغلامه ، اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ، ثم تلبث عنده في البيت ساعة ، حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها الغلام وقال له : يقول امير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك ، فقال له : وصله الله ورحمه ثم دعا بجارية له وقال لها : اذهبي بهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه السبعة الى فلان ، حتى انفذها فرجع الغلام الى عمر ، واخبره فوجده قد اعد مثلها الى معاذ بن جبل وقال له : انطلق بها الى معاذ بن جبل ، وانظر ما يكون من امره ؟

فذهب اليه وقال له كما قال لأبي عبيدة .. ففعل معاذ ما فعل ابو عبيدة ، فرجع الغلام واخبر عمر .. فقال : انهم اخوة بعضهم من بعض .. رضي الله عنهم جميعاً .

كلمات لها معنى ..

المسلم الحق يربيه اسلامه على البصيرة النافذة ، والحكمة البالغة والقوة الصادقة ، والحجة الدامغة فما بالنا نرى القليل من النماذج لهذا المسلم ونرى الكثير من النماذج اللامعة عن معرفة او جهل ، والمتهور عن اخلاص او طيش والمتردد عن هوس او جبن ..

امثال

* اذا حان القضاء ضاق الفضاء

* * *

* اذا حلت المقادير بطلت التدابير

نظرية فرويد

شهد القرن التاسع عشر مولد كثير من المفكرين في نظريات التطور وأصل الانواع .. وقد أحدثت تلك الافكار والنظريات ثورة في مجال الدراسات العلمية المختلفة .. حتى لقد قيل ان مذهب فرويد في التحليل النفسي يعد تطبيقا لنظرية التطور في مجال علم النفس .

ولقد ذهب هؤلاء المفكرون بعيدا .. حتى ضلوا سواء السبيل وتنكبوا الطريق الحق .. ودخلوا في متاهات الظنون .. حتى أنكروا وجود الله تعالى . وبنيت دراساتهم على هذا الاساس الخاطيء .. واذا كان الاساس خاطئا فان كل ما بنى عليه لابد ان يكون خاطئا أيضا .. ومن هنا نستطيع ان نقول ان فكرة التحليل النفسي تؤدي الى انكار وجود الله تعالى وانكار المثل العليا في الاخلاق .

ومن العجيب ان يدعى فرويد عكس ذلك تماما ، ويزعم ان الارتباط المستمر بين الدين والاخلاق سوف يؤدي في النهاية الى تحطيم كل القيم الاخلاقية .



في العلاج بالتحليل النفسي

الدكتور/ احمد شوقي ابراهيم

من هنا نفهم ان فرويد كان ملحدا .. وان نظريته في العلاج بالتحليل النفسي ، لمختلف الامراض النفسية ، انما بنيت على فكر الحادي خاطيء .. وللنناقش نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي ، مناقشة موضوعية ومن منطلق علمي بحت ، ونقارن بينها وبين شفاء الامراض التى تعتري النفس البشرية ، بالاتصال بالله تعالى والايمان به والاستغفار له .

يعتقد فرويد ـ مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، أن الامراض النفسية هي نتيجة كبت لرغبات الغرائز الحسية .. تلك الرغبات التى لا يقرها الدين أو لا يرضى المجتمع عنها أو لا يسمح العرف بها .. فيضطر صاحبها الى ان يكبتها في عقله الباطن بشكل لا شعوري بقصد اخفائها وتجاهلها .. ولكنها دائما

.. بسبب ما يحيط بالانسان من شحنات عاطفية ـ تحاول الظهور الى الوعي ، وتسعى دائما الى التعبير عن نفسها في الوقت الذي يحاول فيه

الانسان كبتها وحبسها في اللا شعور .. وبين محاولة الكبت ومحاولة الظهور .. ينشأ نوع من الصراع النفسي .. يسبب مرضا نفسيا .. والمرض النفسي قد يكون بسيطا وقد يكون شديدا .

ويرى فرويد أن علاج الأمراض النفسية هو التحليل النفسي .. ولقد آمن بهذه النظرية في العلاج كثير من الاطباء حتى الان .. ومجمل التحليل النفسي أن يسترخى المريض تماما ، ويساعد على ذلك ببعض العقاقير المهدئة .. ثم يتحدث بكل ما في نفسه للطبيب النفساني بصوت مسموع .. وهذا في حقيقته نوع من اعتراف صريح من المريض للطبيب بكل الأخطاء التى ارتكبها .. وكل الظروف التى تأثر بها .. والتى ربما كان قد نسى بعضها .. ولكنها ترسبت في نفسه وأحدثت بها عقدا نفسية .

والهدف من التحليل النفسي هو الكشف عن الأخطاء والذنوب فيراها المريض نفسه ويشعر بها في الوعي .. هنالك يحدث صلح بين النفس والضمير .. فيتسامح ضمير المريض .. ويكف عن لوم النفس فينزاح عن النفس عبء ثقيل .. فيستريح المريض وتتحسن حالته .

هذا ما قاله فرويد مؤسس مدرسة العلاج بالتحليل النفسي وسار عليها كثير من الاطباء من بعده زمنا طويلا .

واذا حاولنا أن نقارن بين نظرية فرويد في علاج الامراض النفسية بالتحليل النفسي وبين شفاء تلك الامراض باتصال المريض بالله تعالى ومداومة الاستغفار له سبحانه .. لوجدنا أن القرآن الكريم فيه الشفاء للناس اكثر وأجدى مما في العلاج بالتحليل النفسي وذلك للأسباب الاتية :

اولا : التحليل النفسي هو اعتراف من المريض بأخطائه وهمومه ومشاكله لانسان آخر – هو الطبيب – يعلم المريض أنه لا يملك له ضرا ولا نفعا .. أما الاستغفار فهو افضاء المريض بكل ما في نفسه الى خالقه تعالى .. والمريض هنا يعلم يقينا أن الله تبارك وتعالى بيده الأمر كله .. وأنه لا ملجأ منه الا اليه .

ثانيا : التحليل النفسي هو محاولة لأخذ الاعتراف من المريض وسحبه منه سحبا .. أما الاستغفار لله فهو طلب المغفرة من أخطاء اعترف بها المريض مسبقا .. فهو اعتراف كامل وصريح ، طواعية واختيارا ، بدون أي ضغط .. ومن أقرب طريق .

ثالثا : التحليل النفسي لابد أن يكون أمام طبيب نفساني .. ولا بد أن يأخذ المريض موعدا ، وينتظر دوره ، فالطبيب ليس حاضرا في كل وقت .. وغير موجود في أي لحظة يحتاج اليه المريض اذا حدثت له أزمة نفسية مفاجئة .. أما الاستغفار لله تعالى فبابه مفتوح لمن يريد .. بدون اجراءات .. وبدون تحديد موعد وبدون انتظار . والله تعالى تفضل على عباده ، فحثهم على الاستغفار له وشجعهم على ذلك .. كما في قوله تعالى :

(أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) المائدة /٧٤ وكما في قوله تعالى : **(واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود)** هود/٩٠

رابعا : لا يزيل التحليل النفسي ما في قلب المريض من خوف من محاسبة الله تعالى له ، فلا يمنحه الطمأنينة والارتياح .. أما الاستغفار لله تعالى فهو يزيل كل قلق وخوف من محاسبة الله له .. ذلك لأن الخالق سبحانه وعد المستغفر له ، بالصفح والمغفرة والرحمة .. ونجد ما يشير الى ذلك في قوله تعالى :

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) النساء/١١٠

وفي قوله تعالى : **(واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم)** الانعام/٥٤

خامسا : ليس في وسع أي طبيب أن يعد مريضا وعدا قاطعا بالشفاء . فعلاج الطبيب محاولة تنجح او لا تنجح .. أما نتيجة الاستغفار لله تعالى فهي نتيجة حتمية .. فيها العفو والمغفرة والصفح من الله تعالى للانسان .. مهما أسرف في الخطأ .. ومهما أوغل في طلب المعصية .. اذا كف عن الخطأ وأقلع عن المعصية .

ونقرأ قولا كريما يطمئن النفس البشرية ويريحها في قوله تعالى :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) الزمر/٥٣ ، وفي قوله تعالى : **(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم)** المائدة/٣٩

واذا كان التحليل النفسي وسيلة من وسائل العلاج .. فأن الاستغفار لله .. وكلماته تعالى هي الشفاء وفيها الشفاء للنفس البشرية من الامها وامراضها .. يقول الله تعالى :

(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) الاسراء/٨٢

سادسا : ان التحليل النفسي قد يساعد المريض في أن يكف الضمير عن محاسبة النفس عما حدث في الماضي .. أما الاستغفار لله تعالى فهو أعم وأشمل فائدة وشفاء .. فهو يشفيه مما حدث منه في الماضي ، ويأخذ بيده في شدته في الحاضر ، ويرشده الى طريق العلاج في المستقبل ، فهو يطمئنه ويريح قلبه في عطف وحنان كما في قوله تعالى :

(وتوكل على الله) النساء/٨١ يمنح الطمأنينة للنفس ، وقوله تعالى : **(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)** التوبة /٥١ يزيل من النفس التوجس والقلق والخوف ، وقوله تعالى : **(واصبر وما صبرك الا بالله)** النحل/١٢٧ يمنح الانسان مزيدا من القوة ، ويعطيه قسطا أوفر من التحمل والصمود في مواجهة الشدائد ، وقوله تعالى :

(وما تشاءون الا أن يشاء الله) الانسان/ ٣٠ ، يريح النفس تماماً لأنه يزيل عنها الأعباء التي تنوء بحملها .

سابعا : المريض بمرض نفسي يشعر بالوحدة .. فهو محتاج للطبيب في كل وقت ، ولكن الطبيب ليس معه دائما .. أما من يتجه لله تعالى بالاستغفار فالقرآن الكريم يعلمه أن الله معه في كل وقت .. وفي كل مكان .. لا يتركه لحظة .. ولا ينصرف عنه مطلقا .. كما في قوله تعالى :

(ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) المجادلة/ ٧ ، واذا تفكرنا في هذه الآية نجد أنها بدأت بتقرير علم الله الشامل لكل ما في السماوات والارض .. ثم جاءت بعد ذلك بتقرير وجوده تعالى مع كل مخلوق .. فتشعر المخلوق الضعيف بأن الخالق تبارك وتعالى لا تشغله أمور ملكوته عن النظر اليه دائما .. والقرب منه ابدا .. وذلك يجلب للانسان شعور الأنس والطمأنينة والسعادة والارتياح . ونقرأ قولا كريما مريحا للنفس البشرية وشافيا لالامها ومتاعبها وأمراضها في قوله تعالى :

(واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) البقرة/ ١٨٦

ونلاحظ ان الله تعالى لم يقل « اذا سألك المؤمنون عني » .. وإنما أضفى - جل وعلا - على المستغفرين كرامة وعزة ومقاما كريما باضافة اسمهم اليه تعالى فقال : **(واذا سألك عبادي)** فأضاف اليهم شرف عبوديتهم لله .. وما اعظمه من شرف .. كذلك لم تقل الاية « واذا سألك عبادي فاني سأسمع دعاءهم وسأجيبه » ولكن الله تعالى - وهو الكريم الجواد البر الرحيم - عجل باجابة الدعوة بمجرد طلبها فقال تعالى : **(واذا سألك عبادي عني فأني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)** .

ثامنا : المريض قد يثق بالطبيب .. ولكنها لن تكون ثقة مطلقة .. ذلك لأن الطبيب انسان يخطيء ويصيب .. أما المستغفر لله ، فلا تملؤه الثقة المطلقة بالله تعالى فحسب .. ولكنه اليقين والايمان الكاملان .. وشتان بين ثقة مهزوزة بانسان .. وايمان ويقين بالله تبارك وتعالى علوا كبيرا .. والاستغفار طريق الايمان بالله تعالى .. والايمان يمنح الانسان فوائد لا تحصى وقد تواترت الايات الكريمة التى تدعو الى الاستغفار لله تعالى والايمان به لأن للايمان الأثر العظيم في علاج الام النفس البشرية وأمراضها . فالايمان بالله تعالى يحرر الانسان من تصوراته الدنيوية فيزول ما في قلبه من قلق . والايمان يجعل الانسان يحس بأن له عند خالقه مكانة وكرامة ، وقوله تعالى **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)**

المنافقون/٨ تشعر الانسان بالعزة والكرامة والطمأنينة .. وتملأ نفسه ـ اذا أخطأت ـ بالأمل العريض في صفح الله وغفرانه اذا قرأ قوله تعالى : (**الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما**) الفرقان/٧٠

وجاء العصر الحديث يحمل لنا الدليل على خطأ نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي . فأساس نظرية فرويد أن سبب المرض النفسي هو كبت رغبات الغرائز الحسية بشكل لا شعوري اذا كان الدين لا يقرها أو كان المجتمع لا يرضى عنها ، ولكنها تحاول الظهور الى الوعي بين الحين والحين فيكبتها مرة أخرى .. وبين محاولات الكبت والظهور ينشأ الصراع النفسي .. وتحدث بسببه الامراض النفسية .. ولكننا نرى اليوم الدليل على خطأ تلك النظرية في المجتمعات الغربية كما في الدول الاسكندنافية واوروبا الغربية وغيرها .

فالمجتمعات هناك لا ترفض تلبية أي رغبة لغرائز الانسان ولا يعترض العرف هناك على ذلك .. اذن فليس هناك كبت لرغبات الغرائز الحسية .. فلو كانت نظرية فرويد صحيحة لا نعدمت الامراض النفسية في تلك المجتمعات .. ولكن العكس هو ما حدث تماما فان عدد حالات الأمراض النفسية في تلك المجتمعات في ازدياد مستمر والاقدام على الانتحار في أعلى معدل له .

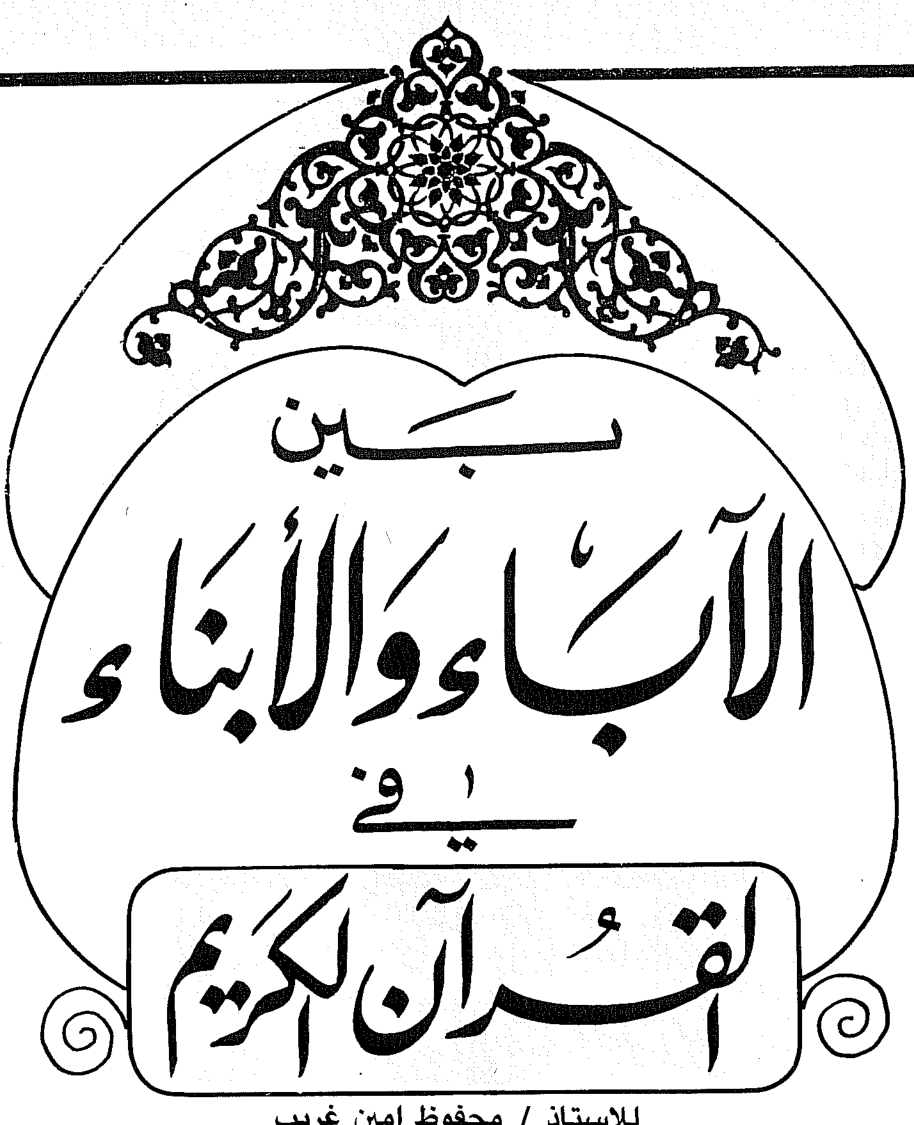
هذا فضلا عن ان أصحاب مدرسة العلاج بالتحليل النفسي لم يستطيعوا تفسير نجاح علاج الاكتئاب النفسي بالعقاقير الطبية وبالصدمات الكهربائية بدون مزاولة التحليل النفسي على الاطلاق .

من هنا نفهم ان نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي لامراض النفس نظرية خاطئة واساسها خاطيء .. وان الفكر الالحادي الذي بنيت عليه كان خاطئا ايضا .. وأنه من الاجدى للانسان الا يعتمد على نظريات تتأرجح بين الصواب حينا والخطأ احيانا .. بل يتجه رأسا الى الحق واليقين .. الى الشفاء الاكيد .. وهو الاتجاه الى الله تعالى والاستغفار له .

والقرآن الكريم هو شفاء لما يعتري النفس البشرية من الام واضطراب وأمراض .. والخالق تعالى ادرى بمن خلق وكل صانع أعلم بما يصون صناعته .

واذا كنا نرى صانع السيارة يرسل معها كتابا يبين فيه طرق اصلاحها وصيانتها يدرسه الناس ويسيرون على هداه في اصلاح وصيانة سياراتهم .. والأمر نفسه بالنسبة لكل آلة وكل جهاز .

وخالق الانسان وصانعه .. ارسل له كتابا .. هو القرآن .. بين فيه للانسان طرق اصلاحه وصيانته .. وطرق الهدى وسبل الشفاء ، كما في قوله تعالى (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) الاسراء/٨٢ .



للاستاذ / محفوظ امين غريب

العلاقة بين الاباء والابناء قضية اجتماعية شغلت رواد الاصلاح بل شغلت الناس جميعهم ، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والفكرية ، في كل زمان ومكان ، ولسوف تظل شاغلهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد شهد عصرنا الحديث ــ عصر التقدم العلمي الهائل والمذاهب الفكرية والاجتماعية المتضاربة ــ جدالا واسعا حول هذه القضية ،

وتبلور الجدال في تساؤل تضاربت أيضا حوله الاجابات : هل يظل الآباء ــ كما كان شأنهم قديما ــ في أبراج عالية ويظل الأبناء حول هذه

الأبراج خاشعين يفعلون ما يؤمرون أو على الآباء أن ينزلوا من عليائهم إلى الأبناء عاملين بنظريات التربية الحديثة التي تعلي من شأن الحرية الشخصية وتكاد تلغي الحدود بين الآباء والأبناء ؟

على أن القرآن الكريم حسم القضية ؛ إذ عرضها بأبعادها المختلفة ، وأعطى لكل مقام فيها مقالا سديدا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبذلك لم يبخس الآباء أو الأبناء حق كل على الآخر ، وحدد بجلاء الأسس السليمة التي تحكم العلاقة بين الآباء والأبناء ، بحيث لا يتعدى كل حدود الله تعالى في ممارسة هذه العلاقة .

هذا هو لقمان الحكيم يضرب لكل أب المثل الأعلى في الأبوة المدركة بعمق حق الابن على أبيه ؛ فلقد قام بواجبه نحو ابنه خير قيام حين وعظه ، فزوده بما يحييه حياة طيبة ويجعله من حزب الله . وكان أول ما زوده به العقيدة الصحيحة الخالصة من الشرك ، فالشرك ظلم عظيم ؛ لأن فيه تسوية الخالق المنعم على خلقه بمن لا يخلق ولا نعمة له أصلا ، ويحث لقمان ابنه على مراقبة الله في أقواله وأعماله صغيرها قبل كبيرها ، لأن كل امرىء بما كسب رهين . وينادي لقمان ابنه بعطف آمرا إياه بتأدية الصلاة باخلاص ليصل نفسه بخالقه ، وأن يسلك طريق التطبيق العملي للايمان فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصبر على ما يصيبه في سبيل الله ؛ لأن ذلك مما أوجبه الله ، ويرشد لقمان ابنه إلى مجموعة من الفضائل ، تجلب له حب الله وعباد الله من تواضع للناس ، واعتدال في مشيته ، وخفض لصوته ؛ لأن الله لا يحب المتكبرين المختالين الفخورين بأنفسهم ولأن أنكر الأصوات صوت الحمير العالي ، قال تعالى : **(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) لقمان / ١٣ . (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان / ١٦ ــ ١٩ .**

هكذا قام الاب الحكيم لقمان بواجبه نحو ابنه في عطف عليه وتقدير لذاتيته ، فهذا النداء « يا بني » الذي يفيض استعطافا يتكرر وصولا الى قلب الابن واحتراما لآدميته دون قهر أو إكراه ، وما التحليل والتعليل اللذان يتجليان في الآيات إلا وسيلة إفهام واقناع ، ليفهم الابن ويقتنع ، ثم يختار برأيه المستقل المسترشد بتوجيه هذا الاب الحكيم الحاني .

وإذا كان لقمان الحكيم قد ضرب مثلا اعلى في الأبوة ، فان إسماعيل عليه السلام قد ضرب مثلا أعلى في البنوة ، ويؤيد ذلك قصة رائعة في

القرآن الكريم .

لقد كان اسماعيل ابنا صالحا برا بأبيه ابراهيم عليه السلام ، وقد بلغ في بره بأبيه أن استسلم له ليذبحه تحقيقا لرؤية رآها الأب في منامه ، وقد باركت السماء هذا التجاوب الأمثل بين الابن وأبيه ، فكافأتهما بكبش عظيم يذبح بدل الابن وبالتالي ارتاح قلب الاب بنجاة ابنه بعد ذلك الاختبار البين . وكذلك يجزي الله الآباء والأبناء المحسنين أمثال ابراهيم واسماعيل عليهما السلام : **(رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم)** الصافات / ١٠٠ ـ ١٠٧ .

ويكفي اسماعيل فخرا وشرفا أن كان الساعد الأيمن لأبيه في بناء البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وقد سجل القرآن الكريم لاسماعيل أنه شارك أباه البناء والأذكار التي كان يتجه بها إلى ربه أثناء البناء :

(واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) البقرة / ١٢٧ ـ ١٢٩ .

هكذا كان إسماعيل خيرا وبركة لأبيه ، فكان مجيئه الى الدنيا ـ كما قرر القرآن تحقيقا لدعاء أبيه : **(رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم)** .

على أن بر الأبناء بآبائهم لا يعني أن يكون الابناء إمعات خلف آبائهم يسيرون على دربهم ، ولو ذهبوا بهم الى الجحيم . هذا ما يقرره القرآن الكريم في قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه « آزر » .

لقد أثبت ابراهيم أنه ابن راشد حين رفض أن يسير أصما أبكما اعمى وراء أبيه وقومه في العكوف على عبادة الاصنام ، ولم يقتنع عقله بحجة أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين ، وأعلن لهم أنهم وآباءهم في ضلال مبين ، فبهتوا من جرأته ولم يصدقوا آذانهم حين قرعها بعنف حكم ابراهيم بضلالهم وضلال آبائهم ، فقالوا له : أأنت جاد في حكمك وما جئتنا به ؟ فرد عليهم في قوة : بل ربكم رب السماوات والارض الذي خلقهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ، ولم يكتف ابراهيم بذلك بل صارحهم مقسما بالله ، انه سيكيد أصنامهم بعد أن يذهبوا إلى عيدهم . وقد بر بقسمه فدخل الى هيكلهم فحطم آلهتهم إلا أكبرها حجما ، لعلهم

يرجعون إليه بالسؤال عمن فعل ذلك . وروع أبو ابراهيم وقومه وتساءلوا عمن فعل ذلك ؟ ثم عرفوا أن الفاعل ابراهيم ، فأجمعوا رأيهم على عقوبته بمرأى من الناس . وفي ذلك الموقف الرهيب صمد الابن الراشد ابراهيم ، وجادل أباه وقومه بمنطق مبين ، وعزم لا يلين ، رغم أنه يرى بعينيه نارا مستعرة قد أعدوها لتحريقه فيها . قالوا له : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال ساخرا : لا ، بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، وأثر فيهم جوابه الحكيم فراجعوا عقولهم ، وقال بعضهم لبعض : إنكم أنتم الظالمون . ولكنهم عادوا فانقلبوا الى المجادلة بالباطل عنادا وتكبرا على الحق الذي أظهره لهم ابراهيم فقالوا له : لقد علمت أن هذه الأصنام لا تنطق ، فقال منكرا عليهم عبادتهم الباطلة : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ولا انفسهم ينصرون ؟ أف لكم وأف لما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ؟ ولكن عناد القوم هوى بهم الى وحل الكفر فقالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم ناصريها حقا . وأوقدوا نارا عظيمة وألقوه فيها ، فنادى رب العالمين أن كوني بردا وسلاما على ابراهيم ، فنجا الابن الراشد ابراهيم من كيدهم ، وأما الاب الضال وقومه فقد كانوا هم الأخسرين : (**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى انفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين**) الأنبياء / ٥١ ـ ٧٠ .

هكذا يقرر القرآن الكريم في قصة ابراهيم وأبيه استقلال شخصية الابن ما دام تفكيره راجحا . ولقد بلغ ابراهيم في ذلك الاستقلال أن تبرأ من ابيه وعدل عن استغفاره له حين تبين له انه عدو الحق : (**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن**

موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) . التوبة / ١١٤ .

وليس معنى عطف الآباء على أبنائهم أن يتقبل الآباء الأبناء على علاتهم ، فيغضون الطرف عن نقائصهم ، ويلتمسون تبريرا لزلاتهم باسم الأبوة الحانية على فلذة كبدها . هذا ما يقرره القرآن الكريم في قصة نوح عليه السلام مع ابنه .

لقد أرسل الله تعالى نوحا إلى قومه ، فحاول أشراف القوم إبطال نبوته بكل ما أوتوا ، وانحاز ابن نوح الى حزب الكافرين . وأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومه الا القليل ، وأن عليه أن يصنع سفينة تحت رعايته سبحانه ، ولا يشفع في الذين ظلموا من الكافرين فانه محكوم عليهم بالغرق . ولما جاء الطوفان بأمر الله قال نوح للذين آمنوا : اركبوا السفينة باسم الله مجريها ومرساها ، فركبوا فيها ، فأخذت تجري بهم في أمواج كالجبال . ونادى نوح ابنه وكان معتزلا إياه في ناحية ، وقال يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، فقال : يا أبت سآوي الى جبل يحميني من طغيان الماء ، فقال له ابوه : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان الابن من الهالكين غرقا . ولقد تبرأ نوح من ابنه لما تبين له أنه عدو الحق واستغفر الله أن توجه إليه تعالى كي ينجي ابنه من الغرق : **(وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم . وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين . وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين . ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)** . هود / ٤١ ــ ٤٧ .

وهكذا حسم القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا قضية العلاقة بين الآباء والابناء ، فكفل لكل حقه ، وحدد واجبه ، وألزم الجميع ــ في ممارسة هذه العلاقة ــ بالتعاون على البر والتقوى ، ونبذ الاثم والعدوان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبذلك تسعد الأسرة ويكون الآباء والأبناء لبنات طيبات في صرح خير أمة أخرجت للناس : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** . آل عمران / ١١٠ .



علوم الزراعة والنبات في القرآن الكريم

للاستاذ / عبد الرزاق نوفل

لقد شرف الاسلام الزراعة تشريفا لم ينله غيرها من عمل اذ اسندها الى الله سبحانه وتعالى في نص قرآن ربنا العظيم : (**أفرأيتم ما تحرثـون . أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون**) ٦٣ و ٦٤/الواقعة .

وفي كل الآيات التي اوردت الزرع والانبات تقرر ان الله جل شأنه هو الذي يزرعها وينبتها في مثل النص الكريم : (**أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون**) ٢٧ / السجدة وانه الذي انشأ الشجر الذي نستمد منه النار بما فيها من ضوء وحرارة وذلك في النص الشريف : (**افرأيتم النار التـي تورون . أأنتـم انشأتـم شجرتها ام نحن المنشئون**) ٧١ و ٧٢ / الواقعة .

والزراعة هي اول مهنة قام بها الانسان اينما كان .. سواء اكان وهو في الجنة ام بعد ان هبط منها الى الأرض وعاش فيها وعليها .. فآدم اول البشر منذ ان خلق في الجنـة واحس بوجوده ، واستمع الى امر الله جل شأنه له بان يأكل هو وحواء من كل ما فيها من ثمر ونبات عدا شجرة واحدة وذلك بالأمر الكريم :
(**وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**) ٣٥/ البقرة .

ولذلك فقد باشر مع زوجته نوعا من انواع الزراعة ، هي جمع الثمـار وحصاد الزروع وكذلك الأمر بعد ان

نزلا من الجنة الى الارض ، فقد قاما بالزراعة بكل انواعها ومختلف عملياتها .

وعلماء الطبيعة في ابحاثهم مع علماء الحياه يقررون ان الحياة النباتية اسبق على كافة اصناف الحياة الاخرى من حيوانية او بشرية ، فالانسان لكي يعيش لا بد له ان يتغذى وعلى عناصر تناسب عناصر جسمه . ولذلك اعتمد ويعتمد على النبات والحيوان . فلا بد ان النبات والحيوان قد توافرت اصنافهما للانسان منذ احتاج الى تغذية والحيوان لكي يعيش ويحيا لا بد ان يتغذى .. اما على حيوان اصغر او على نبات .. ولذلك لا بد ان الحيوانات الكبيرة قد وجدت اخرى صغيرة ونباتا .. ولأن الحيوانات الصغيرة قد عاشت وتكاثرت فلا بد انها وجدت النبات الذي اكلته . والنبات انما يكون غذاؤه بنفسه دون حاجة الى كائن اخر . وهكذا قرر علم الحياة ، ان النبات سبق الحيوان – وانهما سبقا الانسان .. وهذه ان كانت حقيقة علمية وبديهية عقلية .. فانها آية قرآنية قد سبقت العلم بما اوردته اذ تقول الآيات الشريفة : **(والأرض بعد ذلك دحاها . اخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال ارساها)** ٣٠ – ٣٢ النازعات ، اي ان الارض بعد ان اخذت شكلها الكروي نتيجة دورانها وهي ملتهبة . اخرج الله سبحانه وتعالى منها الماء الذي اخرج به المراعي .. التي تعيش عليها الحيوانات وبعد ذلك تفتتت الاحجار ، وانتشرت الجذور . وتراكمت المواد الذائبة فحددت اماكن الجبال وأرسيت .

وقد وجه القرآن الكريم نظر الانسان الى ما في نبات الارض وزرعها من آيات تشير الى بعض قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق والابداع . وتدل على وحدانيته وتعرض صورة لآثار حكمته وعظمته . وذلك في كثير من الآيات الشريفة مثل النص الكريم :

(اولم يروا الى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم . ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) ٧ و ٨/ الشعراء .

وكذلك فيما يرى الانسان من زروع ونباتات مختلفة تخرجها الأرض من قطع متجاورات متماثلة في تركيبها وتسقى بماء واحد ولكن يخرج منها مختلف الزروع من حبوب وبقول وخضر وفواكه . فهذه آيات على وجود الله ووحدانيته وقدرته .. وكذلك فيما يختلف من الأرض الواحد في جودة انتاجها .. فانتاج جزء من الارض افضل من جزء .. رغم ان الارض واحدة والماء واحد والحب واحد .. وهذه ايضا آيات على حكمة الله وبالغ علمه وفي ذلك يقول القرآن الكريم : **(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)** الرعد/ ٤ ولقد اورد القرآن الكريم اصول علم الفلاحة قبل ان

يصل اليها علمنا المعاصر وذلك في نص الآية الكريمة : **(ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)** ٢٦٥/ البقرة اذ تقرر الآية بصراحة ووضوح حقيقة علمية ، وصل اليها العلم الحديث ووصفها كأصل اول لعلم الفلاحة ، ألا وهي جودة الارض الحالية .. وقد اتضح اخيرا اهمية انخفاض مستوى الماء الارضي الذي يؤثر تأثيرا مباشرا على قدرة الأرض في الانتاج وعلى سلامة هذا الانتاج وكميته . فكلما كانت الارض مرتفعة ـ اي منخفضة مستوى الماء الأرضي كلما كانت افضل في الزراعة . وهذه الارض المرتفعة لو رويت ريا غزيرا فانها تأخذ منه كفايتها ثم ينصرف عنها الباقي بارتفاعها .. وان لم يصبها الماء الغزير واصابها الماء الخفيف المناسب فانها تنال حاجتها منه دون حاجة الى صرف الزائد . وعدم وجود الماء الزائد في حالة الري الخفيف . وتخلص الأرض من باقي الماء في حالة الري الغزير انما يؤدي الى زيادة الانتاج الى ضعف او ضعفين وهذا ما تقرره الآية الشريفة ووصل العلم اليه بعد اربعة عشر قرنا من الزمان من قولها بعد التجارب والدراسات ولذلك تهتم الدول الزراعية بالمصارف قدر اهتمامها بقنوات الري لتحقيق خفض مستوى الماء .. وبالتالي ارتفاع سطح التربة التي تزرع عن هذا الماء الأرضي .

وفي علوم التربة اورد القرآن الكريم كذلك حقائق علمية سبق بها العلم بعشرات المئات من السنين وذلك بمثل الآية الكريمة : **(وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج)** الحج/٥ .

ولا يتصور الانسان اطلاقا ان الارض تهتز اذا نزل عليها الماء . ولا انها تزداد في الحجم ، فان اية ملاحظة مهما كانت دقيقة ، لا يمكن ان تصل الى ما تقول به الآية الشريفة بنصها الواضح ، الا ان العلم وصل عن طريق التجارب المعملية الى ان التربة الزراعية ايا كان نوعها ، لا بد ان تحتوي على نسبة من المسام تختلف في عددها وسعتها من ارض الى اخرى . وان هذه المسام بها هواء . فاذا نزل الماء على التربة تغلغل في هذه المسام ودفع امامه الهواء ، وتتحرك بذلك ذرات التربة في اهتزاز امكن حسابه معمليا ، ويزداد بذلك حجمها لدرجة امكن قياسها ، وفي كل معامل المعاهد والكليات بل والمدارس الثانوية تجرى مثل هذه التجارب بوضع قطعة من التربة الزراعية في مخبار مدرج وبعد قياس حجم التربة ، يضاف الماء الى التربة فيرتفع سطحها في المخبار ويحدد درجة زيادة حجم التربة بالماء .. اي ان الأرض بنزول الماء تهتز وتربو ، كما اثبت العلم انه بعد نزول الماء على الارض تخرج الشعيرات الجذرية للنبات وتتشعب تحت الارض لتبحث عن

الغذاء . واثناء تغلغلها تهتز ذرات التربة بتأثير هذه الحركة كما تزداد حجما بهذا التفكك ، وقد يعتقد البعض ان هذه الحركة بسيطة وان هذا التفكك ضئيل الشأن . ولكن الحقيقة ان البحث العلمي قد اثبت ان الشعيرات الجذرية كثيرة وطويلة ومتفرعة ، بحيث انه في الارض الزراعية قل ان نجد اية مساحة بأي قدر خالية من الشعيرات الجذرية للنبات .

وقد وضع القرآن الكريم اصول دراسة علم النبات ، كما وصلت اليها الابحاث العلمية اخيرا ، فدراسة النبات حاليا وفي كل جامعات العالم ، تعتمد على اساليب موحدة علمية وصلت اليها بعد ابحاث طويلة ومقارنات عديدة لوسائل دراسات مختلفة ، فأول ما يعتمد عليه علم النبات المعاصر في دراسته ، هو الشكل الظاهري للنبات اذ عن طريق هذا الشكل يمكن وصف النبات وصفا علميا ، ولا بد ان يكون النبات قد اكتمل نموه ، حيث يمكن وصف الجذر والساق والأوراق والزهرة والثمرة ، وبعد ذلك وعليه يمكن وضع النبات في مكانه تماما من المملكة النباتية ، وعن طريق وصف الزهرة يوضع ما يسمى بالقانون الزهري ، وعن طريق وصف الثمرة توضع الثمرة في مكانها من انتقسيم النباتي الثمري . اذ يختلف النبات بالنسبة للثمرة اختلافا كبيرا لتعدد اشكال الثمرة من ناحية طبيعة الغلاف ، اذ قد تكون الثمرة غضة او جافة . والغضة تنقسم الى اقسام اخرى . وهكذا قرر علم النبات ان الدراسة الظاهرية للنبات ، هي اهم وسائل دراسة النبات والأساس لها ، ولا بد ان تتم الدراسة عندما يكتمل نمو النبات وتنعقد ثماره . وقد اورد القرآن الكريم كل هذه الحقائق العلمية ، وهذه الاصول الدراسية في نص كريم من الآية الشريفة :

(انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الانعام/ ٩٩ .

وقرر القرآن الكريم حقيقة علمية في علوم التغذية والزراعة في النص الكريم :

(واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) البقرة/ ٦١

إذ تقرر الآية الشريفة ان البقول والعدس والبصل ادنى وأقل خيرا مما كان يأكله قوم موسى ، وهو المن والسلوى وهما نوعان من الحلوى عسلية وطير يرجح ان يكون هو المعروف حاليا بالسمان ، ولم يصل العلم ــ الا اخيرا ــ الى ان افضلية الغذاء ليست في مقدار ما تحويه المادة الغذائية من عناصر بل في نوع ما يحتويه من مكونات التغذية . وقد وصلت لجان الابحاث العلمية الى ان قيمة المواد الزلالية ، تختلف في نوعها وفي المقدار الذي يمنع المواد الزلالية المكونة للانسجة من ان تحترق ، وان

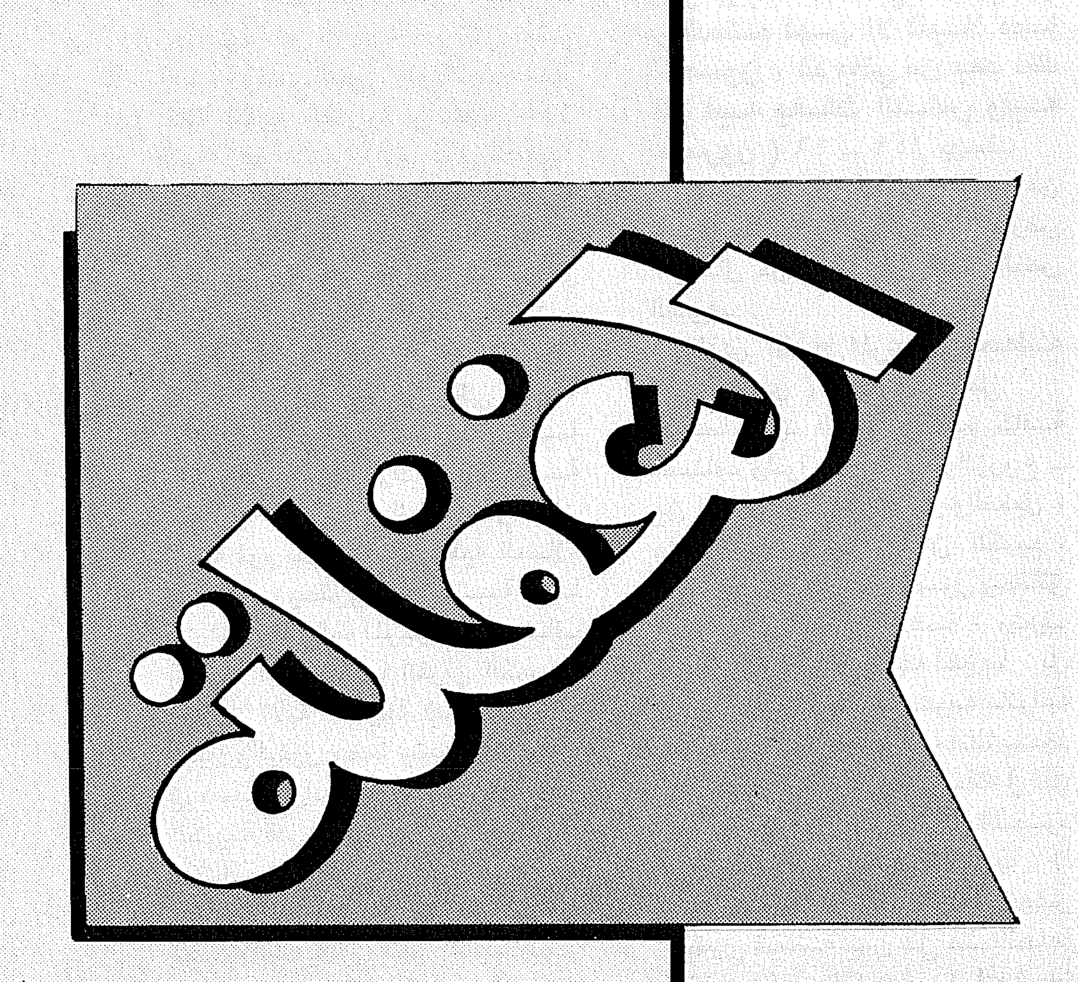
البقول يضر الاكثار منها حتى ان التقارير العلمية ، تنصح بعدم اعطائها للاطفال ، وبالتقليل منها للكبار ، وعرف اخيرا ان المواد البروتينية او الزلالية ، والتي تعتبر اهم مكونات البقول ولو انها مصدر طاقة لتوليد الحرارة والنشاط ، الا انها مرهقة لاجهزة الجسم في تحويلها الى هذه الطاقة ، ولهذا ينصح الطب الحديث بالاعتماد على النشويات كمصدر للطاقة ، وان البروتينات او المواد الزلالية الموجودة في الحيوان ، تفضل تلك الموجودة في البقول تفضيلا كبيرا ، وتعتبر الانواع التي ذكرها القرآن الكريم من البقول اكثرها احتواء على المواد البروتينية والزلالية ، بل ان الطير الذي كان يأكله قوم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، يحتوي نفس النسبة تماما من المواد الزلالية الموجودة في اصناف البقول التي اوردها القرآن الكريم ، اي ان الآية الشريفة قد قارنت بين الطير والبقول وهما متساويان تماما في نسبة المواد الزلالية ، الا ان الآية الكريمة قدرت ان البروتين الحيواني افضل من البروتين النباتي ، وهذا ما وصل اليه العلم الحديث في اخر ابحاثه العلمية عن الصحة الغذائية .

وأورد القرآن الكريم اصول التخطيط الغذائي السليم ، وأسس التخزين العلمي الحديث في النص الكريم : **(يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون . قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)** ٤٦ ـ ٤٩/ يوسف

كما اورد حقيقة تكوين الفحم من النباتات التي تدفن في باطن الأرض لأجيال من السنين وذلك بالنص الشريف :

(والذي أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى) ٤ و ٥/ الأعلى

كما اورد القرآن الكريم كافة اصناف وأنواع النباتات والزروع ـ من المراعي حتى الأشجار والنخيل ، وان المتدبر لآيات القرآن الكريم ، ليجد انه وقد اورد كل اصول وحقائق علوم النبات والزراعة ، وشرف الزراعة تشريفا لم يشرفه لغيرها . بل انه ليقرر بان الشجر جميعه بانواعه واصنافه وفي كافة مراحله انما يسجد لله سجود الطاعة والولاء شأنه في ذلك شأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والدواب كلها بأصنافها . اذ تطيع الله طاعة تامة . اما الجنس البشري فبعضه ليس على هذه الطاعة اذ تقول الآيات الكريمة : **(ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء)** ١٨/ الحج .



للاستاذ : علي حسن الشكرجي

أقيم حفل ليلة زفاف ، في مدينة من مدن دولة عربية ، التي أجلي عنها الاجنبي المحتل حديثا ، بعد أن مكث فيها أكثر من نصف قرن ، يشيع فيها عاداته وقوانينه ويسوغ النفوس لها بدهاء شديد ، حتى أنها مكثت بعده ، ولم يفكر المواطنون أن يجلوها معه .

جلبت الخمرة ورقصت الغجريات ، وتعالت أصوات الغناء الغرامي الفاضح مصحوبا بموسيقى غربية صاخبة .

رأى الفتى « حمزة » بعض الرجال ، يدخلون مكانا منزويا ، لا يلبثون أن يخرجوا منه ، وهم يمضغون شيئا في افواههم .

« ماذا هناك ؟! لا بد أنه شيء خاص ثمين ، لا يقدم إلا للمقربين !! »

اغتنم فرصة اختلاء المكان ، فتسلل إليه ، فوجد « قناني » فيها سائل رائق صاف ، « ما اجمل هذه القناني ، ما أشهى ما فيها !! »

ويقرأ : « ويسكي ... »

وفجأة يسمع وقع أقدام تقترب ، وبدون تفكير وتردد ، حمل قنينة ، ودلف خارج المكان ، وقد اخفاها تحت سترته الفضفاضة ، ويرجع الى صديقه « ممدوح » ويهمس في أذنه ،

« اني قد حصلت على شيء ، لم يحصل عليه أحد من أمثالنا ، هيا نخرج إلى النهر لنشرب ويسكي .. ها ها . » .

يخرجان وينطلقان إلى النهر ، ويجلسان على ضفته ، كان ماء النهر الجاري يعكس البدر ، وبدا لهم وكأنه يرقص للعرس أيضا .

يفتح حمزة القنينة بشهية ، ويعب منها جرعات سريعة ، فأحس أن جوفه وحلقه يحترقان ، وغاثت نفسه ، وكاد يرمي على الارض الجرعة الاخيرة ، إلا أنه أراد ان يورط صديقه فيما تورط فيه ، فيصيح « الله !! ما أطيبه لهذا السبب كانوا يخفونه إلا عن بعض !! قاتلهم الله !! »

يخطفها ممدوح منه ، ويفرغ منها جرعات في جوفه ما لبث ان بصق شيئا منها على الأرض ، وهو يقول « خدعتني يا حمزة !!»

ويضربه ، إنهما اعتادا أن يمزحا باللكمات والركلات ، والصراع والمطاردة ، وكان المزاح ينتهي بسلام ، إلا أن هذه المرة اختلفت ، فقد لعبت بهما الخمرة ، نهض حمزة ليرد الضربة بأخرى أقوى منها .

يهرب ممدوح ، ويطارده حمزة ، الذي اخذ يشعر بالتراخي والفتور ، إنه لا يستطيع اللحاق به ، فيستشيط غضبا ، ماذا يفعل ؟

التقط حصاة كبيرة ورماها عليه فتقرع منه رأسه « اخ !!» صاح ممدوح ، وقد كاد يفقد وعيه من شدة

الألم ، فقد احس ان روحه تنتزع من أنفه ، كما تنتزع شعرات غليظة من جلد بشري رقيق ، يفقد صوابه ، ويفلت منه زمام نفسه ، ويرجع إلى حمزة ، ويرفع القنينة التي كانت مرمية على الأرض ويهوي بها على رأسه بقوة كافية لتسكين ألمه ، لكن سرعان ما عاد إليه ألم أقسى منه ، إنه رأى الدم يتدفق من رأس صديقه غزيرا ، وقد سقط على الأرض لا حراك فيه .

يصيبه الهلع ، ويبتعد متراجعا ، وينطلق إلى بيته ، ويأوى إلى فراشه دون ان يكلم احدا .

لم يغمض له جفن ، ما أطولها من ليلة !! لعل ما حدث حلم يزول تأثيره وآثاره عند الاستيقاظ !! لا انه حقيقة ، إن على كمه دما !!

ويمزق نفسه شعوران : شعور حزن على فقد صديقه العزيز إلى الأبد ، وشعور خوف من السجن او الاعدام .

تحبس أنفاس ممدوح طرقات على باب الدار قبل شروق الشمس ، على غير المعتاد ، فاذا بأبي حمزة يسأل عن ابنه ، إنه لم يرجع البارحة اليهم . إن الجميع يعرفون أن « ممدوح » و« حمزة » صديقان لا يفترقان ، ويعرف كل منهما اين يذهب الآخر .

وحينما سأله الاب : اين كانا ؟ ومتى افترقا ؟ أجابه أنهما كانا في حفل الزفاف ، وتركاه حوالي الساعة العاشرة ، وذهب كل منهما الى بيته ، وأيده على ذلك اهله ، بشهادتهم أنه أتى الى البيت مبكرا ، ولم يسهر في الحفل .

لم يمض وقت طويل من الصباح ، حتى شاع في المدينة كلها خبر مقتل حمزة ، ويساق « ممدوح » الى التحقيق . إنه الآن امام موظفين مأمورين غرباء عنه وعن حمزة ، لا ينفعلون بوقوع جريمة ، لأنهم ألفوها ، فلا يتوقع منهم أن يغتاظوا منه ، او يلوموه ، حزنا على مقتل حمزة صديقه العزيز ، فيخبرهم بكل ما حصل بيسر وهدوء ، إلا إنه ما يلبث أن ينفعل ويصيح : « اني لا يهمني بعد السجن ولا الاعدام ، إن الذي يقتلني ويعذبني الآن ، هو فقد صديقي الوفي « حمزة » افعلوا بي ما شئتم ، اعدموني . فاني استحق الاعدام !! » .

ثم يهدأ ويقول بصوت خفيض : « كان عليكم أن تمنعوا أسباب الجريمة ، لا أن تنتظروا حتى يقع احد فيها ، فتطاردونه ، وكأن الأمر لعب اطفال ، ما زالت في المدينة عادات عشائرية ، وحينما تعلم عشيرة حمزة ان « ممدوح » لن تعدمه السلطة ، لأنه لم يكن متعمدا القتل ، استعدت لتثأر لنفسها . أرسلت إنذارا إلى احمد أخي ممدوح الكبير ، ورب العائلة ، إما أن يدفع الدية أو يقتل .

تظلم في عينيه الدنيا ، دنيا بلاد الشمس ، وتضيق عليه أرضها الواسعة ماذا يفعل ؟! انه لا يستطيع أن يطلب من عشيرته أن يساهموا في دفع الدية ، لأنه لم يساهم قط في دفع دية أحد ، ويستحيل عليه ان يدفعها

وحده .
إنه لا يقر العادات العشائرية هذه ، وكان يشعر أن مجتمعه قد نسي دينه وتعاليمه ، وقد استبدلها بتقاليد غريبة ، وتعاليم أجنبية ، فلم يخض مع الخائضين فوجد بمرور الزمن أنه معزول عنهم ، وأحس أنه غريب بينهم ، وكان يعينه على تحمل هذه الغربة والعزلة ، إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أن الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا وان طوبى للغرباء فالرسول بشره قبل اربعة عشر قرنا فطوبى له طوبى لأحمد الغريب .
وبعد ليل قضاه ساهرا مفكرا ، قرر ان يغادر المدينة إلى العاصمة حيث لا عادات عشائرية ، وحيث يصعب على أفراد عشيرة حمزة أن يجدوه ، لسعة مساحتها ، وضخامة عدد سكانها .
ويرحل احمد صباح اليوم التالي إلى العاصمة لاجئا إليها ، هاربا من القتل ظلما ، على يد إخوانه بني قومه ووطنه .
ويضاف إلى غربته غربة أخرى ، غربة الديار والوجوه ، ما أثقل ان يضطر الانسان ان يعيش غريبا .
إنه الآن مشرد ، شردته تقاليد ظالمة .
ولم تكد تدخل السيارة العاصمة ، حتى سمع ضجيجها ، ورأى زحامها وينظر من خلال نافذة السيارة إلى شوارعها ، فيرى الناس مزدحمين على دور اللهو الباطل ، وحانات الشراب الحرام ، يدفعون النقود بسخاء بينما رأى الجوامع خالية ، مع أن دخولها بالمجان ، وبلا تذكرة ، فيذكر المثل الشعبي : « الجنة بالمجان ، وجهنم بفلوس » .
وتثير انتباهه لافتة كتب عليها « معرض فلسطين » احس برغبة جامحة في زيارته ، فنزل وأسرع إليه .
ويدخل المعرض ، ويرى صورا ورسوما لمآسي فلسطين ، لمشرديها وأيتامها وثكالاها .
خرج تلك الساعة بروحه عن دنياه ، وعاش فيها مع مظلومي فلسطين ، وشهدائها ، ومشرديها ، ولاجئيها ، من أطفال وأمهات ، ونساء وشيوخ في أسمال بالية ، وقد بان الوسخ والبؤس عليهم ، وملأ كيانه حزنا بكاء هؤلاء الأطفال وتأوهات وأنين هؤلاء النساء والشيوخ ، إخوانه في الدين والقومية والمصير ، وتلسعه قهقهات الصهاينة ، تتعالى لهروب هؤلاء وتشردهم ، فيمتلىء حقدا وحنقا عليهم .
وترجع إليه روحه بواقعه فيبكي .
« اني والله لاجىء مشرد مظلوم مثلكم » .
وينصرف ذهنه إلى ما يحدث بين العشائر العربية ، بعضهم يثأر من بعض ، ولا يثأرون لهؤلاء المظلومين من عدوهم الأكبر ، الذي لو استطاع لفعل بهم ما فعل باخوانهم الفلسطينيين ، ما أشد غفلتهم عن عدوهم المشترك ، لكن لماذا لم تهزه النكبة من قبل ؟! عجبا !! ما كان أغباه وأقسى قلبه !! إنه سمع كثيرا عن نكبة فلسطين وتشرد اهلها ، واحتلال القدس .
حدثته نفسه أن يركع أمام فلسطيني

في المعرض ، ويطلب منه الصفح ، ويقدم اليه نفسه فداء لفلسطين ، ويقول له : « إننا ظلمناكم كما ظلمكم العدو ، إننا نتخاصم فيما بيننا ونتباعد والعدو ينكل بكم ، ويشردكم ، إننا نحتفل فرحين ، ونرقص ، ونغني ، ونشرب منتشين ، وأنتم تتصدق عليكم الامم الغرباء ، إن هذا ذنب لا يكفر عنه إلا ببذل النفس » .

لم يعد « أحمد » يرى شيئا ، فالدموع حجبت عنه الرؤية ولم يعد يسمع شيئا ، فبكاء المشردين ، وعويلهم وأنينهم ، صم أذنيه ، وكذلك قهقهات الصهاينة .

لم يطق المكوث في المعرض ، أمام تلك الصور والرسوم ، أكثر من ذلك ، فيخرج ويجد مكانا خافت النور خاليا ، فيجلس ويفكر .

أيذهب الى عشيرة حمزة ، ويقول لهم : لماذا يقتل بعضنا بعضا ويشرد أحدنا الآخر والعدو يظلم ويشرد ، ويقتل إخواننا في فلسطين ، ويحتل أراضيهم ، لا إنهم سيطلقون عليه النار حالما يرونه لا بد انهم سمعوا بهروبه منهم ، إنه لم يعد يهاب الموت ، لكنه لا يريد أن يقتله اخوه ، انه يريد أن يقتله صهيوني ، وهو يجاهد لتحرير فلسطين المقدسة ، فلينطلق الى المعرض ، ويطلب من الفلسطينيين العاملين فيه ، ان يقبلوه فدائيا في صفوفهم باسرع وقت ، قبل ان يقتل بعيدا عن فلسطين ، فباب التطوع مفتوح .

يقف بجانب احد العاملين في المعرض ، بدا عليه في نحافته وشحوب لونه ، انه فلسطيني . أراد ان يكلمه ، لكنه لم يستطع ، فقد خنقته العبرة ، ويبتعد عنه ، ويسترجع سيطرته على نفسه ، ويقف بجانبه مرة اخرى ، ويمد يده الى ذراعه ليثير انتباهه ، لكن يده لم تصل اليها ، ويفتح فمه ليكلمه ، إلا أن كلامه لم يخرج من فمه إلا همسا .

« حق له ألا يسمعني بعد كل ما أصابه ، وأصاب وطنه ، وأهله ، واقرباءه وأصدقاءه » .

وينطلق خارج المعرض ويبكي حتى تجف دموعه .

وبعد قليل يرجع إلى الفلسطيني ، ويقف هذه المرة أمامه بحيث نظر إليه الفلسطيني نظرة تساؤل : ماذا يريد ؟

اراد « أحمد » ان يجيب : « إني اخوك يا مظلوم .. إني عشت — والله — الآن نكبتك ، وعرفت مرارتها ، فلم اطق إلا ان اشارككم الجهاد ، ما أعذب ان استشهد في قضيتكم !! إني اريد ان اربط مصيري بمصيركم ، إما أن أقتل ، وإما ان نحرر معا فلسطين ، وأكون فيها مواطنا بينكم ، نبنيها دولة عربية مسلمة ، شامخة ، لتكون رمزا لانتصار الحق على الباطل ، وعبرة للظالمين ، وطريقا للمظلومين »

إلا أنه لم تخرج من فمه الا : « أريد أن أكون فدائيا معكم » وكأنها حين خرجت من فمه ، قد رفعت عن كاهله جبال الهموم ، واثقال الشعور بالذنب .



للشيخ/ سليمان احمد التهامي

بني دين الاسلام القويم على دعائم راسخة من الكمال العلمي الذي أطلق العقول المتردية في غياهب الظلمات من قيودها لتنهل من العلوم والمعارف ما هي مستعدة له بمقتضى فطرتها ، لذا حارب الاسلام الجمود المزري بكرامة الانسان ولم يكلف الناس شططا ولم يمتحنهم بألغاز تعلو على العقول بل جاء رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم بشرع أبين محجة ، وأقوى حجة يتمشى مع مقتضيات الفطرة ويعتمد على سلطان العقل كما يقول صلوات الله وسلامه عليه : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي » وليس بعد هذا البيان الناصع قول لقائل ولا حجة لمكابر .

فالاسلام تجاوز ما جاءت به الشرائع الحديثة اذ يجعل حرية الفكر واجبا على كل مفكر ولم يجعلها حقا له فحسب ، فقد جعل الفكر والنظر

أساس التدين ونهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم أمر العقل . ولم يكن ليكتفي في تعليم العلم بمجموعة من الالفاظ تلقن للناس فيتلقونها من غير بحث ولا تفكير ، ويدخرونها في أذهانهم دون جدل أو مناقشة ، وانما اراد من العلم ذلك النوع البرهاني الذي يرتكز على الادلة ، ويعتمد على معرفة الاسباب وربطها بمسبباتها ليعرف المتعلم الى أي غاية يقصد وإلى أي نهاية ينتهي ، فكانت سنة القرآن في تعظيم العلم المبنى على البرهان سنة فريدة لم يسبق اليها وبلغ من تعظيمه لذلك العلم أن قيد به الحكم بمنع الشرك بالله تعالى والنهي عنه وهو اكبر الكبائر واظهر ضروب الكفر ، ومع ذلك فلم يشأ العليم الخبير أن يترك النهي عن الشرك من غير دليل ولا برهان بل أمر باتباع البرهان فقال جل شأنه : **(قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)** الاعراف/٣٣ . فالله تعالى يأمر الناس أن ينظروا في الحجة قبل أن يعتنقوا المبدأ ، لان المقصود من السلطان في الآية الكريمة على ما يقول المفسرون هو الحجة والبرهان .

وقد أجمع العلماء على أن من قلد في الايمان بالخالق لا يقبل منه ايمانه ، ولا تسلم له عقيدته وأن كل ذلك مردود عليه حتى يذعن ببرهان ، ويعرف كيف يقيم الحجة على صحة ما يعتقده ، عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) رواه البخاري ومسلم .

حتى في الفروع التى لا تتصل بأصل الايمان ، لا يليق بالانسان الا أن يكون مستقل المذهب حرا في تفكيره ، أما تقبل آراء الناس من غير تنقيح ولا تمحيص فلا ينبغي لمسلم مهما كان حاله ، فانه وان تجرد عن العلم لا يتجرد عن الفطرة ، وكل امرىء بفطرته يستطيع أن يفهم ويناقش حتى يصل الى ما تستريح له نفسه ، ويطمئن اليه ضميره ، كما يقول ابن عبد البر ، اذ يشرح العلم عند المسلمين فيقول : « حد العلم عند العلماء والمتكلمين هو ما استيقنته وتبينته وكل من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه ، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء وقال به تقليدا فانه لم يعلم » .

والفرق بين التقليد والاتباع فرق بين ، لان الاتباع هو أن تتبع القائل وأنت على يقين من فضل قوله وصحة مذهبه ، والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه ولا تتبين وجه القول ولا معناه وتأبى قول من سواه ، وان تبين لك خطأ من اتبعته ، فأنت ترى رأيه غير معتد بما خالفه من آراء أظهرت فساد قوله ، وهذا يحرم القول به في دين الله تعالى .

ولعلك تعرف أن من اصول النصرانية الايمان بغير المعقول ، فالايمان عندهم منحة لا دخل للعقل فيها ، ومن الدين عندهم ما هو فوق العقل ، بمعنى انه يناقض احكام

العقل ، ومن ذلك فيجب الايمان به .. فكأن الفهم عندهم ليس وسيلة الى العقيدة ، وانما هو نوع من شغل القرائح بما يتسلى به الانسان ويفني فيه وقته بدون طائل .

قارن هذا بما ورد في أصول الاسلام الصحيحة التى جعلت العقول في متسع لا يحده أفق وأباحت للاذهان أن تبحث وتستقصى بلا حرج ولا نكير ، بل جعلت الانسان مكلفا أن يبذل طاقته في الوصول الى الحق ، وليس عليه بعد ذلك من حرج ما دام قد صرف عقله فيما خلق له وهو البحث والتنقيب ، فاذا وصل الى الصواب فبها ، والا فهو من الناجين ، وقرر العلماء في ذلك أن من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد واخطأ فله أجر .

وقد كان اسلوب الكتاب الكريم خير داع الى هذه الحرية ، حرية الفكر والعقل واكبر باحث للعاقل على اتباعها ، حتى ان من يمعن النظر في آيات الله يرى أنه من الاثم أن ينظر الانسان الى الاحياء والاشياء المحيطة به من غير أن يفهم أصلها ومصيرها ومنتهاها ويسائل نفسه كيف خلقت ؟ والى أي غاية تسير والقرآن الكريم ازدرى هذا السلوك الذي يجعل الانسان يفني عمره في غفلة وضلال دون بحث وتمحيص فيما يحيط به ، قال تعالى : **(وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)** يوسف/١٠٥ .

وجاء كتاب الله وسنة رسوله الكريم بمباديء تتسع في معناها وتبعد في مرماها ، حتى لا تضيق بحاجة ذرعا . ولا تأبى على الناس اصلاحا أو نفعا ، وذلك المسلك يوحي الى الناس أن يكونوا أحرارا ليفهموا ما يصلحون به وليهتدوا الى ما يبتغون من الحياة النافعة والعيش الهنيء ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم **(كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته)** ص/٢٩ . فهداهم بذلك كله الى أنه يجب عليهم أن يفقهوا حكمة ما خوطبوا به ، روجه كونه مصلحة لهم ، ووسيلة لسعادتهم ، وتركه مدرجة لفسادهم وشقاوتهم : **(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)** يوسف/١٠٨ . ثم وصف من اتبعه بقوله تعالى : **(والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً)** الفرقان/٧٣ .

أطلقت هذه الآيات وأمثالها عقول المسلمين وتفكيرهم ، وحررت افكارهم من غبار الماضي السحيق الذي طمث على افئدتهم .. فأخذت النفوس تنعم في رغد هذه الحرية التى طال انتظارها لتعطي للانسان برهانا صادقا فيما حوله من عظمة وقدرة الخالق عز وجل .

وكان من آثار هذا التفكير أن ظهر في المسلمين علماء لا يشق لهم غبار في الشرائع والادب والعلوم ، وانتهى أمرهم الى أن كانوا أساتذة العالم في عصرهم . ونشأ فيهم التسامح ، فلا يبغي أحد على أحد بغير سبب ، ولا يخاصمه بدون حجة ، حتى ان خلفاء

المسلمين أنفسهم وقد كانت الدنيا بقبضتهم لم يكونوا ليكرهوا أحدا على اعتناق مذاهبهم أو الاخذ بآرائهم، فلم يظلموا الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

روى أن عمر بن الخطاب رفعت اليه مسألة رجل توفي وترك جده واخوته فاستشار فيها، وهنا يروي زيد بن ثابت حواره مع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيقول: ـ كان رأيي يومئذ أن الاخوة أحق بميراث أخيهم من الجد، وعمر بن الخطاب يرى يومئذ أن الجد اولى بميراث ابن ابنه من اخوته، فتحاورت أنا وعمر محاورة شديدة، فضربت له في ذلك مثلا فقلت: لو أن شجرة تشعب من أصلها غصن ثم تشعب من الغصن خوطان، ذلك الغصن يجمع خوطين أقرب الى أخيه من الاصل؟ ثم ما زلت اعد له واضرب له الامثال، وهو يأبى الا أن الجد اولى من الاخوة، ويقول: والله لو أني قضيته اليوم لبعضهم لقضيت له للجد، ولكن لعلي الا أخيب منهم أحدا، ولعلهم أن يكونوا كلهم ذوي حق.

وقد كان عمر يستفتي في المسألة فاذا أفتى وقيل له ان فلانا أفتى بغير رأيك يقول: لو كنت أردك الى كتاب أو سنة لفعلت، ولكني أردك من رأي الى رأي وهذا لا يجوز، فاذهب وخذ بما تراه.

وقد نقل عن الائمة الذين كانت مذاهبهم مدارس يأوى الناس اليها أنهم حثوا على ممارسة حرية الفكر والنقاش، يأخذ الواحد منهم ويعطي رأيا.. لا يبالي منزلة كبير ولا سطوة جبار.

فقد حكى ابن القيم عن ابي حنيفة وابي يوسف أنهما قالا: لا يحل لاحد ان يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه.

وروى عن مالك أنه قال: « انما أنا بشر أخطيء وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه». ومن البلاء أن يقنع المسلم برأي لا يعرف حجته، أو يقف عند مذهب وقد كشفت الايام عن فساده، وهو يقرأ في كتابه المبين ما نعى الله على الجاحدين الضالين: **(ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)** النجم/٢٣.

وقد تواترت الرواية عن الامام مالك أنه قال له الرشيد: انه يريد أن يحمل الناس على مذهبه، فنهاه عن ذلك وقال: ان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الامصار وهم يحملون الاثار عن الرسول فدعهم ومذاهبهم.

فهل هناك دليل اقوى من ذلك على استقلال الفكر، وابعد مدى في طريق الحرية؟ وليت شعري هل في حلقات العلم ومراكز الابحاث الان من يستدركون على شيوخهم أو يخالفون اساتذتهم كما كان يفعل المسلمون من قبل !!.

ولا ريب في ذلك فقد كان الشافعي عليه رضوان الله يقول: ان الماء اذا بلغ قلتين بقلال هجر لا ينجسه شيء

يقع فيه ، أما اذا كان دون هاتين القلتين فان كل نجاسة تقع فيه تذهب عنه حكم الطهارة وان لم تغيره . فاستدرك عليه الغزالي وهو من أتباعه ، ورد هذا المذهب واطال في مناقشته في كتابه الاحياء ، وقال : ان الذي يراه أن الماء القليل الذي لا يبلغ القلتين لا ينجسه شيء يقع فيه الا اذا تغير ، وخالف مذهب امامه وتركه الى مذهب مالك .

وروى البيهقي أيضا بسنده الى الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت .

ومن قرأ تفسير الكشاف للزمخشري يرى أن صاحبه يخالف مذهبه الحنفي مسائل اتباعا لما فهمه من القرآن . ومن ذلك ما يقول الحنفية في الصعيد الذي يتيمم منه الانسان ، فقد قال رب العزة تبارك وتعالى : **(وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا)** النساء/ ٤٣ . وهنا يختلف الفقهاء في فهم الصعيد ، فيقول الشافعي انه التراب الطاهر ، ويقول ابو حنيفة : كل ما علا وجه الارض وان كان صخرا ، على تفصيل له في ذلك ، ثم لا يقنع هذا الرأي الزمخشري وهو يتبع ابا حنيفة فيعترضه ويفنده ويقول في تفسيره اذا كان المراد من الصعيد وجه الأرض وان كان صخراً ، فما تصنع بقوله تعالى في سورة المائدة : **(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه)** أي من الصعيد ، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه .

ويورد الزمخشري جواب الحنفية على هذا السؤال ، فيقول : قالوا ان « من » في الآية الكريمة لابتداء الغاية وليس المقصود أن الانسان يمسح وجهه ببعض التراب . ويرى أن هذا الجواب قول متعسف ، وأنه لا يفهم من قول العرب : مسحت برأسي من التراب أو من الماء الا أن الممسح يمسح ببعض التراب أو الماء .. وهذا عنده هو الحق .

والاسلام لا يقصد من الانسان الا أن يكون حرا في بحثه ، وأن عليه أن يرفض كل علم لا ينبني على البرهان الاكيد ، وأن يطرح كل قضية لا تقوم على الحجة جانبا ، ولا أدل على ذلك من آيات كتاب الله الكريم التى تكثر من ذكر الادلة والبراهين وتنبه العقلاء وترشدهم الى التمسك والاخذ بما انزل من عند ربهم قال تعالى : **(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا)** النساء/ ١٧٤ وقال جل شأنه : **(ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون)** المؤمنون/ ١١٧ .

فنراه قيد الوعيد على الشرك بأنه لا برهان لصاحبه يحتج به ـ وفي ذاك أيضا تعظيم لامر البرهان وتعجيز لاهل الشرك عن اقامة الحجة على شركهم .

وقد أقام المولى جل شأنه البرهان

العقلي على بطلان الشرك بقوله بعد ذكر السموات والارض : (**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**) الانبياء/٢٢ . وبقوله : (**اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض**) المؤمنون/٩١ .

وقد روى القرآن أن المولى عز وجل علم رسله السابقين أن العلم هو الذي يسنده البرهان ويدعمه الدليل فقال في قصة ابراهيم عليه السلام وهو يحاج قومه : (**وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون**) الانعام/٨١ .

وما أخبر به المولى جل شأنه أنه يكره الجدل بغير برهان ، ويمقت الاعتقاد بغير حجة ، لان ذلك فيه اهدار لحرية الفكر وضرب من ضروب القهر الذي يفرض على العقول ، ولا أثر له الا فقدان الانسان لحريته في التفكير وتقييد للقدرات التى وهبها الله له دون سائر المخلوقات ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : (**الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا**) غافر/٣٥ ، وقوله تعالى : (**ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه**) غافر/٥٦ .

كان الاسلام بحق دين الفكر والبرهان لا دين التسليم والاذعان وآيات كتابه الكريم جاءت بأفضل مباديء الحرية في الجدل البناء وأقوم الاصول لاستقلال الرأي ، وكان بحق واضع تلك الاسس والمباديء ، وله الفضل العظيم في غزو مواضع الاقناع من العقلاء تعليما لهم وغرسا لاصول الحرية في نفوسهم ، مما كان له الاثر الكبير في رقي طرق التفكير وصولا الى سبيل أهدى وأقوم ، تلك السبيل التى انتهت بالعلماء المسلمين الى أن نقلوا آراء الفلاسفة من جميع الاديان وناقشوها مناقشة لم يسبق لها مثيل ، بدا فيها الموحدون الذين يقفون عند ظواهر النصوص والامور ، بجانب الفلاسفة الذين يبحثون ويتكلمون في الماديات ومبدئها ونهايتها ومظاهرها وغايتها . واتسع هذا الجدل الذي شمل (الغزالي وابن رشد وابن سينا والفارابي) وغيرهم ممن اسسوا مذاهب ، ووضعوا نحلا ، وتفرقوا طوائف ، لا يمنعهم سلطان ولا يردهم الا البرهان والدليل ، ثم تسمع منهم بعد ذلك عبارات التسامح مع المخالفين حتى يقول بعضهم اذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي عرض الحائط ، ويقول آخر ، كل انسان يؤخذ منه ويرد عليه الا ساكن هذه الروضة المباركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم يتفق اهل الملة الاسلامية على أنه اذا تعارض العقل والنقل .. أخذ بما دل عليه العقل ، وبقى في النقل طريقان : طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية .. تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق

معناه مع ما أثبته العقل . وبهذه القاعدة التى قامت على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم مهدت أمام العقل السبل المثلى وأزالت من طريقه جميع المعوقات ليسير كل عالم منهم في بحبوحة من فكره لا يخشى أحدا ، عقله رائده وكتاب الله مرشده .

أما اذا أوصدت أبواب الفكر وحجر على العقول ، ووقعت الافئدة في حبائل الاسر ، فمن أين لهم أن يتدبروا آيات الله ويستفيدوا بما فيها من واسع المعنى وصادق المغزى ؟.

وقد أرسل نبي الله معاذ بن جبل الى اليمن وسأله بم تقضي ؟ فقال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب الرسول على صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله الى ما يرضي الله .. وفي ذلك ثناء على التفكير والبحث وحض على الاجتهاد وذم للجمود وعبودية الفكر ، وقد ورد في ذمها آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : **(واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)** البقرة/١٧٠ وقوله تعالى : **(واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)** المائدة/١٠٤ . صدق الله العظيم .

وقد ذمهم من ناحيتين (احداهما) الجمود على ما كان عليه آباؤهم والاكتفاء به عن الترقي في العلم والعمل ، وليس هذا من شأن الانسان العاقل والفكر الواعي (والاخرى) أنهم باتباعهم لآبائهم قد فقدوا ميزة البشر في التمييز واستخدام العقل والضمير الانساني للوصول الى العلم والهدى في الدين كما في قوله تعالى : **(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)** الاسراء/٣٦ .

ولا ريب في أن المسلمين اذا لم يطلقوا العنان لعقولهم ، ويتمتعوا بحريتهم في تفكيرهم ليواجهوا الدنيا وما فيها من جديد ، سيتخلفون عن الركب والتنقيب عن اسرار الحياة وما أودع الله في خلقه من خصائص تحار فيها العقول الباحثة عن عظمته وقدرته سبحانه وتعالى جل شأنه ، كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه في أبيات يظهر فيها ضعفه وقلة حيلته أمام اعجاز القرآن الكريم وعلم الرحمن الرحيم .

كلما أدبني الدهر
أراني نقص عقلي
واذا ما ازددت علما
زادني علما بجهلي

فعلينا الاخذ بكتاب الله وسنة رسوله لنتبصر بآياته ولنهتدي بهديه ، لترقى عقولنا وتنعم نفوسنا بحرية الفكر والعلم ، وما ربك بظلام للعبيد : **(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)** العنكبوت/٤٣ .



للدكتور/عبدالرحمن عيسوي

مفهوم الاخلاق :ــ

ينبغي تحديد المقصود باصطلاح « الاخلاق » فهل الاخــلاق هي ما يقرره المجتمع حتى ولوكان خطأ ، أم أن الأخلاق هي ما يعتبره الفرد عدلا وشفقة وايثارا وما إلى ذلك من القيم الخلقية المطلقة ؟ لا شك أن مفهوم الأخلاق كمفهوم نابع عن المجتمع هو مفهوم دينامي في طبيعته ، بمعنى انه يتغير من جيل إلى جيل ، ومن مجتمع إلى اخر ، وينمو ويتطور أو يتعدل .

ويعرف « هادفليد » الاخلاق فيقول :

« هناك معنيان عريضان لمصطلح « الأخــلاق » أحدهمـــا : بمعنـــى الامتثال لمعايير المجتمع وعاداتــه ، والمعنى الآخر : هو اتباع الغايات والأهداف الصحيحة » .

النوع الأول : يجعلنا آليا نتبع العادات ، ونمتثل للسلوك الجماعي ، ونرعى التقاليد الاجتماعية ، وطبقا للمعنى الثاني فان الغايات الصحيحة كالكرم والولاء والأمانة تعد خيرة في

ذاتها ، وينبغي اتباعها ، بصرف النظر عن عادات المجتمع ومعاييره ، والأخلاق بمعنى الامتثال لقيم المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر .

ويستخدم أحيانا اصطلاح الخلق ليعني السلوك الخلقي ولكن اصطلاح الخلق يشير إلى درجة التنظيم الخلقي الفعال لكل قوى الفرد ، ويشير إلى الاستعداد « النفسيفيزيقي » الدائم الذي يقمع البواعث تبعا لمبدأ تنظيمي معين . ومعنى هذا الاشارة إلى الأخلاق كخلق داخلي يكمن في داخل الفرد نفسه ، وهكذا نرى أن اصطلاح الخلق يشير إلى سمات الشخصية أكثر من إشارته إلى الأخلاق التي تتضمن قوة إرادية كافية لتوجيه السلوك نحو نوع ما من القيم . وتهتم الأخلاق بنوع خاص بقوى الفرد الارادية وأهداف كفاحه واتجاهاته .

ويقصد بكلمة الأخلاق من الناحية السلوكية العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية في مجتمع ما ، وعلى ذلك فالقيم الخلقية تختلف من مجتمع إلى آخر ، كما تختلف في نفس المجتمع من عصر إلى آخر ، وتختلف في نفس المجتمع وفي نفس العصر باختلاف الطبقات الاجتماعية ، فالمبادىء التي تصلح للمجتمع الاشتراكي لا تصلح للمجتمع الرأسمالي ، كذلك أخلاقيات المجتمع الديمقراطي تختلف عن أخلاقيات المجتمع الديكتاتوري ، فالفرد الذي يعيش متكيفا في مجتمع رأسمالي يصبح غير متكيف إذا ما نقل إلى مجتمع شيوعي مثلا . وطبقا لوجهة النظر « الامتثالية » ما على الفرد إلا أن يقبل قيم الجماعة التي ينتمي إليها حتى يعيش في سلام ووئام معها ، ولكن رغم وجود هذه الفروق الثقافية في مفهوم الأخلاق إلا أن هناك بعض المبادىء الخلقية « المطلقة » العامة التي تصدق في كل مكان وزمان ، ومنها الصدق والأمانة والولاء ... الخ

ويعرف الخلق بأنه تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات ، وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل . فالنمو الخلقي لدى الطفل يسير من مجرد الرغبة في تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادىء الخلقية والاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الطفل ، وبتقدم الطفل في العمر تتحول القوى الرادعة من كونها قوى خارجية أي صادرة من الخارج ، من الآباء والأمهات والمدرسين إلى أن تصبح قوى ذاتية داخلية هي ضمير الطفل ، ويتكون هذا الضمير عن طريق امتصاص قيم الآباء واكتسابها ، وبذلك تصبح معايير الطفل نفسه .

الأنماط الخلقية :

يصنف الناس أحيانا إلى أنماط خلقية مختلفة تبعا لنوع الأخلاق الذي يتبعونه :

١ ــ النمط النفعي وفيه يسلك الفرد فقط سلوكا خلقيا للحصول على

أغراضه الذاتية .

٢ ـ النمط الامتثالي وهو النمط الذي يفعل صاحبه ما يفعله الآخرون ، وما يقولون إنه ينبغي عليه أن يعمله .

٣ ـ النمط العقلي أو النمط ذو الضمير الحي وله معاييره الخاصة الداخلية في الصواب والخطأ .

وتبعا لهذه المعايير يحكم على تصرفاته ، وهو نمط إيثاري ويمثل أعلى مستويات الأخلاق . وله مجموعة من المبادئ الخلقية الثابتة المستقرة والتي توجهه ، إنه عقلاني وواقعي في تقويمه لما هو خير له ولغيره من الناس . وهو غير مضطر لعمل كثير من التفسيرات او التأويلات الخلقية لأنه يتبع « حرفية » القانون الخلقي ، اما الشخص النسبي في مذهبه الخلقي فانه يأخذ في الحسبان النوايا والدوافع والاصرار أو التعمد والنتائج العملية لعمله ، وكما يقول فروم في ضوء الاخلاق السلطوية تضع السلطة ما هو خير للانسان ، وتضع القوانين والمعايير للسلوك ، أما في الأخلاق الانسانية فالانسان نفسه هو موضوع المعايير وهو الذي يضع هذه المعايير ، إنه مصدر المعايير والمسؤول والمنظم ، وهو أيضا الموضوع الذي تنطبق عليه هذه المعايير .

خصائص الفكر والسلوك الخلقي

يضاف إلى المشاكل السابقة مشكلة عمومية المبادئ الخلقية أو خصوصيتها بمعنى هل يكون الطفل الأمين في البيت أمينا في المدرسة ، وفي النادي ، وفي العمل ، وفي الامتحان ، وفي اللعب ، وفي جميع المواقف والأماكن ، أم أن الأمانة تتوقف على الموقف الذي يوجد فيه الفرد ومقدار حاجاته إلى « الغش » مثلا ؟ وعلى دوافع الفرد وحاجاته ؟ لقد دلت دراسة هارتشون وماي (سنة ١٩٢٨) على عدم وجود ارتباط ذى دلالة بين الغش في المدرسة والغش في المنزل ولكننا إذا أخذنا الأخلاق بمعنى الشعور بالذنب لتجنبنا الصعاب الناتجة من الاتجاه الامتثالي السلوكي ، إذ من الممكن أن يخضع الفرد للاغراء ومع ذلك يشعر بالذنب نتيجة لامتلاكه معيارا داخليا .

يسير الطفل في بدء حياته بمنطق « اللذة » أي إنه يميل إلى تكرار السلوك الذي يجلب له اللذة المباشرة ويجنبه الألم . ويتكون ضمير الطفل عن طريق مجموعة الأوامر والنواهي التي يتلقاها من الوالدين اللذين يقومان بوظيفة الضمير في بدء حياة الطفل ، فالطفل الصغير لا يسرق لأن « ماما » تقول : لا تسرق ، ولأن السرقة تغضب « ماما » .

وهنا ينبغي أن نتساءل عن العوامل التي تؤثر في مجرى النمو الخلقي ؟

العوامل المؤثرة في النمو الخلقي :ـ

لقد تساءل كثير من الكتاب : هل

يرجع السلوك الخلقي إلى الوراثة أم إلى البيئة والاكتساب ؟ يحتوي التراث السيكولوجي على كلا الاتجاهين : أي الاتجاه الوراثي والاتجاه الاكتسابي ، ومن بين الدراسات العديدة التي تؤيد العوامل الفطرية في الأخلاق دراسة الأسر التي انتشر الجنوح والاجرام بين أعضائها بكثرة كبيرة عبر الأجيال المتعاقبة ، ولقد افترض قديما بعض العلماء وجود حس خلقي داخل الانسان ،

ولكن إذا كان للأخلاق حس مستقل ، فأين يقع هذا الحس من الجسم ؟ وفي غضون القرن ١٨ سادت حركة طبية تفترض أنه نتيجة لاصابة الفرد بمرض ما ، فانه يفقد حسه الخلقي ، بينما تبقى قواه العقلية سليمة ،

وأطلق على هذه الحالة المرضية اصطلاح الجنون الخلقي ويفترض هنري مودسلاي ان معظم المجرمين الصغار ضعاف أخلاقيا في القوة الخاصة بتكوين الحس الخلقي ، وكان يعتقد أن معظم الأطفال موهوبون عقليا ، ولكنهم يعانون ضعفا خلقيا ، وأن هذا الضعف الخلقي الموروث يبدو أنه ينتشر في أسر معينة عبر الأجيال المتعاقبة . ومن ناحية بناء الشخصية وجد أن كثيرا من الأعراض السيكوباتية والعصابية ترتبط بالجنوح ، وكان لمبوروزو يعتقد بوراثية الاجرام . ويعتقد بعض الناس بأن الطفل يولد مزودا بضمير معين يساعده على التمييز بين الصواب والخطأ ، بل يزعم البعض أن الطفل يرث بعض السمات الخلقية المحددة كالأمانة والصدق ، ولكن هذه الفكرة تخلص الآباء والمعلمين من مسؤولياتهم إزاء تربية الطفل تربية خلقية سليمة حيث لا يعزون السلوك غير المرغوب إلى فشلهم ، وإنما إلى نقص وراثي أو فطري لا يمكنهم التغلب عليه .

يقول مكدوجل ، مؤيدا الاتجاه الوراثي للعقل البشري ، إن هناك نزعات فطرية أو موروثة هي المنابع الأساسية أو القوى الدافعة لكل من الفكر والسلوك ، وهي الأساس الذي تنمو عليه خلق وإرادة الأفراد والأمم بالتدريج تحت توجيه الملكات العقلية .

أما فرويد فيرى أن غريزتي الجنس والمحافظة على الذات هما العنصران الأساسيان في الدافعية الانسانية وتتضمن غريزة المحافظة على الذات ، من بين ما يتضمن حماية معايير الفرد الخلقية والاجتماعية ويفترض آدلر وجود نزعتين مسؤولتين عن ارتباط الانسان بأخيه الانسان وهما :

١ ــ الرغبة في القوة الشخصية والسمو .

٢ ــ الشعور الاجتماعي .

ولكن مثل هذه الاتجاهات التي تختزل الدافعية الانسانية في شكل عامل أو عاملين تبالغ في تبسيط التنظيم الدافعي في الانسان ، وهو تنظيم بالغ التعقيد وفي مجال تأييد وجهة النظر الوراثية في نمو القيم الخلقية ربما نشير إلى الفروق الملاحظة بين الذكور والاناث في

الأخلاق . فلقد وجد أن الاناث أكثر تأثيرا بالنداء الانفعالي في الحياة الدينية ، بينما الذكور أكثر جذبا بالشرف والعقاب الخلقي والنشاط الاجتماعي . وبالنسبة للعدوان فلقد أعطى بايز وماريكارد (١٩٣٧) حقنا من الهورمون المنشط للذكورة لعدد من الصبيان الصغار ووجدا زيادة واضحة في العدوانية في كل العلاقات الاجتماعية ، كذلك أعطى كلارك وبرش هرمونات ذكورة وانوثة لقرد ذكر ، ووجد ان الهرمون الذكري يؤدي إلى زيادة السيطرة الاجتماعية عند الحيوان وأن الهرمون الانثوي يؤدي إلى خضوع الحيوان ويؤكد هذا فكرة زيادة النزعات العدوانية في الذكور عنها في الاناث . وفي مجال الفروق الجنسية في الأخلاق أيضا هناك ما كشفت عنه دراسة تيودور ـ هات ، حيث وجد أن الاناث يلقين أكثر من الذكور كثيرا من الأكاذيب التقليدية مثل :

أمي ليست في المنزل

أنا سعيدة لرؤيتك

لقد قضيت وقتا ممتعا في حفلتكم

مثل هذه الأكاذيب اعتبرتها نسبة أكبر من البنات عن البنين « ضرورية » كذلك اعتبرت نسبة أكبر من البنات الأكاذيب الاجتماعية « ضرورية » (نسبة ٣٢٪ في مقابل ١٨٪ من الذكور) ومن أمثلة الأكاذيب الاجتماعية « الكذب للاحتفاظ بالأسرار » و « الكذب حماية من الغرامة » وما إلى ذلك .

وفي دراسة شيلي (١٩٣٨) التي تناولت ٨٠٠ طفل تتراوح أعمارهم من ٩ ـ ١٦ سنة وجد الذكور أكثر عدوانا وسيطرة واقل خوفا واكثر تفاخرا عن الاناث اللائي كن اكثر شكا وخيالا ، وأكثر خضوعا وطاعة للضوابط الاجتماعية ، ولقد وجدت نسبة الذكور إلى الاناث في الأحداث الجانحين تساوي ٦ ـ ١

ولكننا يجب أن نلاحظ أن هناك فروقا كبيرة في نوع الجرائم التي يرتكبها أفراد كل جنس ، كذلك هناك فرق في المستويات الخلقية التي يضعها المجتمع على أفراد كل جنس ، فالمعروف أن الأسرة أكثر تسامحا في قبول المخالفات التي يرتكبها الولد الذكر . كذلك فانه يفترض أن الأب ـ أكثر من الأم ـ هو الذي يمثل السلطة الخلقية الرئيسية في الأسرة . وأنه أيضا الموضوع الخلقي الذي يتقمصه الولد والبنت على حد سواء إن الأب أكثر تمثيلا للمعايير الاجتماعية وهو أكثر قدرة على القيام بعملية الضبط والربط في الأسرة .

ويبدو أن الأباء لهم أكبر قدر من التأثير في تكوين مفهوم الطفل عن الخطأ والصواب . ولقد تبين أنه كلما زاد اتصال الطفل التصاقا بالكبار زاد تأثيرهم عليه ، وعلى سلوكه ، وتلعب علاقات الحب والعطف والحنان والدفء دورا هاما في تنمية الضمير القوي في الأطفال .

فأسلوب التربية القائم على أساس الحب هو الذي يؤدي إلى تنمية الضمير ، أما الحماية الزائدة أو الخضوع لرغبات الطفل المبالغ فيها

فانهما يؤديان إلى زيادة نزعات الطفل نحو العصيان والطغيان والمبالغة في المطالب .

أما الأطفال الذين خضعوا لسيطرة الامهات والتحكم الزائد والتأنيب المبالغ فيه والذين كانوا يمنحون المكافأة لخضوعهم ، أصبحوا منسحبين . ويعتبر المنزل من أقوى المؤسسات الاجتماعية في نقل ثقافة المجتمع للطفل ، إنه يكمل وظائف المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، كالحكومة والمدرسة والمسجد ، بل إنه يبدأ في « عمله هذا » قبل أن يبدأ الطفل في الاحساس بدور هذه المؤسسات كذلك تلعب المدرسة دورا هاما في نمو السلوك والقيم الخلقية في الطفل ، فلقد لوحظ أن السلوك الخلقي للاطفال يتدهور عندما تضعف الادارة المدرسية .

العوامل التي تساعد على النمو الخلقي الجيد

١ ـ صحة جسمية جيدة لمقاومة الاغراء وللتحرر من الشعور بالمرارة أو النقص ، ومن وجود دوافع الانتقام .
٢ ـ الأمان الانفعالي لامكان الشعور بالحب تجاه الآخرين .
٣ ـ توفير وظيفة مناسبة ومنافذ للتعبير او التصريف .
٤ ـ تدريب مستمر في التحكم والضبط الذاتي للمساعدة في التخلص من البواعث الطفلية .
٥ ـ وجود أفق اجتماعي مستمر الاتساع لتنمية القدرة على اكتساب المعارف ، وعلى التسامح ، وعلى التعاطف ، وعلى الفهم ، وتنمية الرغبة الأصلية لتقدير حقوق وواجبات الناس الآخرين .
٦ ـ الطموح نحو الرغبة القوية في عمل الصواب ، بحيث يجد الفرد الشعور بالرضا والسعادة نتيجة لعمل الصواب . وفي الغالب ما ينمو الطموح نتيجة للتعاليم الدينية .

ولا يمكن تخيل حدوث النمو الخلقي بمحض الصدفة بل إنه يحتاج إلى جهود وأساليب مدروسة ويتطلب تخطيطا دقيقا للمواقف التي تضمن التعاون والضبط الذاتي ونمو روح الجماعة . كذلك ينبغي تشجيع الطفل على تعميم المبادئ الخلقية ، ويمكن إشراك التلاميذ في مشروعات خدمة البيئة لتنمية الشعور بتحمل المسؤولية وتقدير الصالح العام وحمايته . وإلى جانب المؤثرات الخارجية ، ففي مرحلة المراهقة توجد دوافع داخلية نحو التعاون ونحو تقدير العدالة ونمو الشعور بالولاء للجماعة ولقواعدهم وغير ذلك عن المبادئ السلوكية المثالية ففي المراهقة تنمو النزعات المثالية والنزعة نحو إصلاح العالم ، ونحو البذل والتضحية الذاتية . وينبغي توجيه هذه المثالية نحو السلوك الخارجي الحقيقي كما ينبغي إشعار المراهقين بأنهم مرغوبون ومطلوبون كما ينبغي أن يجدوا المنافذ الايجابية لتصريف طاقاتهم الزائدة .

شموع ودموع

قد جئت للكـــون إعلاء وعمرانا — تهدى لانسانه أمنا وإيمانا

تروم عالمنا يعلو مراقيه — فلا يعيش أسير الجهل حيرانا !

أشرقت تدعو الى الرحمن خالقنا — وكيف لا نعبد الرزاق رحمانا ؟

ترى العقيدة أس الأمر أجمعه — متى نؤسس صحيحا نعل بنيانا

وعشت تهدى بنى الانسان قاطبة — تروي بهديك جيلا كان هيمانا

فاستقبح الناس ظلما كان يرهقهم — واستحسنوا العدل تشريعا وميزانا

تفجر الخير في أعماقهم غدقا — فأوسعوا الكـــون إصلاحا وعمرانا

رأوا سماحة هذا الدين تجمعهم — لله صفا ، وفي الضراء إخوانا

وصار لله والاسلام نسبتهم — به نجمل دنيانا لآخرانا !

وأكـــرم الناس أتقاهم وأصلحهم — ساوت قريش بهذا قيس عيلانا !

★★★

يا سيد الكون عفوا إذ نظرت لنا — نجفو الهدى فتعالى صوت شكوانا

قد أصبح الذهب البراق قبلتنا — وصار دينارنا المحبوب مولانا !

به التكـــاثر ملهانا وشغلتنا — حتى نسينا زمانا ضم إخوانا !

أيام هاجرت لا تأسى على وطن — جفا الهدى وجزى رحماه طغيانا !

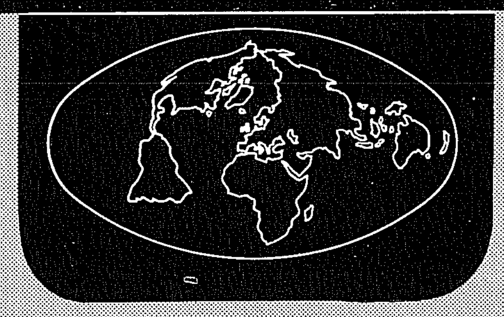
ما كان ترك الحمى جبنا ولا هربا — بل ارتكـــازا يزيد الحق رجحانا !

فجئت (يثرب) نورا هاديا أمما — تهوى الهدى لصلاح الكون عنوانا !

المؤاخاة في تكـــوين مجتمع — لم يدر أبناؤه عربا وسغبانا !

كانوا بأخلاقهم أعلام عالمنا — سادوا وشادوا به للعز أركانا !

وإن يكـــن مالهم قلا فقد سمحوا — فصار من جودهم ذا الكون مزدانا !



علىٰ قمّة القرن الرابع عشر الهجري

للأستاذ/محمود عبداللطيف فايد

ما قيمة المال إن عاشت مشاكلنا ... ولم نطب به مكـــروه بلوانا ؟
البعض ينفق لم يحفل باخوته ... والبعض يشكو إلى الرحمن حرمانا !
واخجلتي حينما يجري بنا مثل ... للضعف والفقر والنعمى بيمنانا !
يقدم العلم غيري للعلا صعدا ... وكلما زاد عمرى زدت نقصانا !!

★★★

من لى بوحدتنا أو سر قوتنا ... حتى يرى عالمـــي عدلا وإيمانا ؟
من لى بمن جعلوا الاسلام غايتهم ... فراقبوا الله خافوا منه طوفانا ؟
وكيف نمسك وفرا في خزائننا ... وهذى أرضنا تشكـــو وأسرانا ؟
والمـــاء عن كتب يغرى طوائفنا ... بيتا يؤرقنا من بات ظمآنا !
والمـــال لله إن ثابت مراشدنا ... نعمل لعزتنا ، نزرع لآخرانا !

★★★

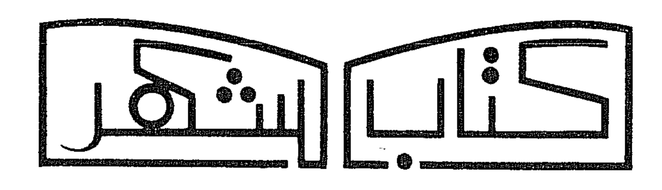
لو أن أهل القرى قد أخلدوا لهدى ... ما شاف عالمنا نكسا وحيرانا !
وكيف يفلح قوم مزقوا شيعا ... والله وحدنا في الحق إخوانا ؟

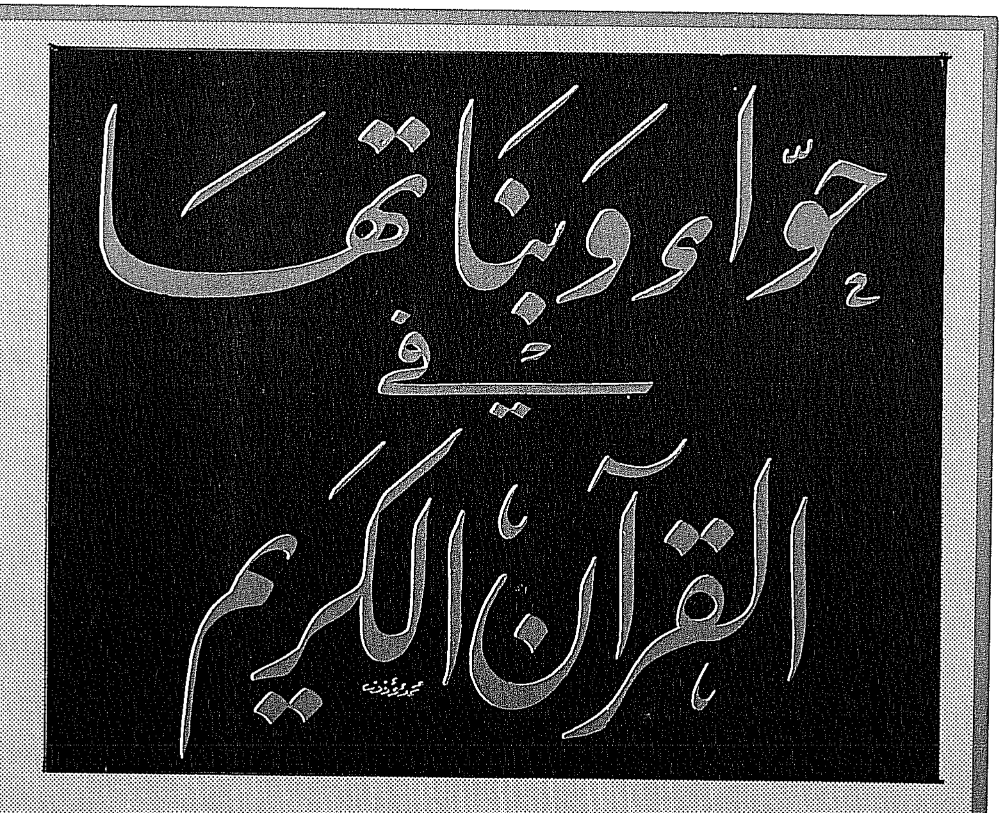
★★★

يا سيد الرسل : يا أستاذ عالمنا ... يا ناجع الطب يا محاء شكوانا !
أرى دموعي على القرطاس هامية ... فأمتي أمتى لم تأل عصيانا !
على شفا حفرة ترنو لتنقذها ... ترجو الغياث ولطف الله رضوانا !

★★★

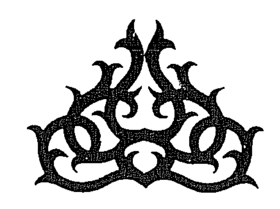
دامت سطورك ــ مولانا معلمنا ــ ... بدورنا ودواء طب مرضانا
نحل في نورها بالعلم مشكلنا ... ونوسع الكـــون بالايمان عمرانا





تاليف : السيدة أمينة الصاوي

عرض : الاستاذ عاصم الادفوي



مما يؤلم المسلم اليوم ، هذه الغربة المروعة التي تفصم بين المجتمعات العربية والاسلامية عن تاريخها وماضيها ونماذجها الايمانية الأصيلة ، على سبيل المثال ، إذا وضعنا تحت دائرة الضوء ما يقدم لبناتنا ونسائنا من ثقافة ، فماذا نحن واجدون ؟

ــ مع بعض الاستثناءات ، فانك إذا تصفحت مجلة نسائية ، فلن تجد فيها إلا موضوعات من قبيل : أطباق الطعام ، ديكور المنزل ، عروض الأزياء النسائية ، قصص عاطفية أجنبية ، مشاكل القارئات ، وقد تجد حلقات مسلسلة لمذكرات ممثلة من هوليوود أو روما .

ــ وإذا قلبت موسوعة نسائية عن عالم المرأة ، فلن تجد فيها إلا أسماء الأديبات الشقيقات « شارلوت واميلي وآن برونتي » ، والممرضة : الانجليزية « فلورنس نايتنجيل » ، والطيارة الأمريكية « إميليا إيرهارت » ، والمؤلفة الكفيفة الصماء « هيلين كيلر » ، وحتى إذا جاء بالموسوعة النسائية المترجمة إلى اللغة العربية ، ذكر لقلة من النساء العربيات والمسلمات ، فإن هذا يأتي من باب دفع الحرج أو (رفع العتب) ، حتى إذا ما تعرض المسئولون عن إصدارها لهجوم من كاتب ذى نخوة عربية إسلامية ، وجدوا ما يدافعون به .

* ومن المؤكد أنك لو سألت طالبة من بنات المدارس الثانوية أو الجامعات والمعاهد العليا ــ باستثناء من تربين ونشأن في بيوت إسلامية ــ عن ماذا تعرف عن : السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، أو نسيبة بنت كعب رضي الله عنها ، أو البطلة الفدائية : خولة بنت الأزور الكندي ، لما سمعت منها جملة واحدة مفيدة .

* أما من أوتوا نصيبا وحظا من المعرفة فالغالبية العظمى منهم ، تفوق معلوماتهم عن « جان دارك » الفرنسية ما يعرفونه عن « صفية بنت عبدالمطلب » رضي الله عنها ، أو عن « غزالة الحرورية » البطلة العربية ، وهم يعلمون عن « فلورنس نايتنجيل » بينما يجهلون اسم « رفيدة بنت سعد » الأسلمية الخزرجية ، أول ممرضة في الاسلام .

* **بل إنه من الجلي الواضح أن رجل الشارع العربي يعلم عن الغانية البطلمية « كليوباترا » الشيء الكثير في الوقت الذي لم تطرق سمعه معلومات عن البطلة العربية ــ قبل الاسلام ــ « زينوبيا » ملكة « تدمر » التي امتد ملكها من أرمينيا إلى أعماق الجزيرة العربية .**

* والأسباب التي تقف وراء غربة المجتمعات العربية والاسلامية عن جذورها التاريخية ، عديدة ، وقد شخصها الكثيرون من أساتذتنا وعلمائنا الاجلاء ، وإن كان المجال لا يسمح بتناولها بافاضة ، وما لا يختلف عليه اثنان هو أن الضعف الذي ران قرونا طويلة على المجتمعات العربية والاسلامية ، جعل ثقافتها وتعليمها بيد المستعمرين ، فوجهوها الوجهة التي تخدم أطماعهم وأهدافهم ، وحتى بعد غروب شمس الاستعمار العسكري ، فان الاستعمار الثقافي لايزال يمارس فعله ، واستطاع أن ينجح في تغريب الكثيرين من المثقفين والمفكريـن وأساتـذة الجامعات ، محولا إياهم ـ إلى أدوات في أيدي بعض المستشرقين ، وطلائع الاستعمار الثقافي .

* ومن الأسباب النفسية الاجتماعية التي تمارس فعلها وتأثيرها في مجتمعاتنا العربية والمسلمة ، الاصابة بالداء الذي يعبـر عنـه البعض بـ « عقـدة الخواجة » ، التي سبق أن كشف عنه « عبدالرحمن بن خلدون » في مقدمته الشهيرة ، حين تحدث عن ولع المغلوب باقتداء الغالب ، فنحن نلحظ أن المتحمسين للثقافة الاسلامية والعربية الأصيلة يلقون بعض الصد الموجه إليهم ، لكن الأبواب تفتح أمام المستغربين عباد كل ما هو وارد من الخارج ، وكل ما ختم بخاتم الافرنج .

* كما أن عناصر أخرى جدت على الموقف الثقافي العام ، ذلك لأن الدول المتقدمة في الشرق والغرب بتملكها لأدوات الحضارة والقوة ، قد صرنا أسرى لاعلامهم وثقافتهم ، الموجهة بخبث إلى العقل العربي والاسلامي ، فهم قادرون على توجيه أموال طائلة لانتاج أفلام أو تمثيليات عن أبطالهم ، وشخصياتهم ، وأمثلتهم العليا ، ونحن لا نفعل شيئا سوى استهلاك هذا الانتاج الفني ، والانصات إليه ، ببلاهة ، وفي توقيت يومي مستمر .

* لكن مع هذه الصورة المحزنة ، ووسط كل هذا الركام ، فان البعض يدافعون باستماتة عن الفكر العربي الاسلامي الأصيل ، ويبذلون جهودهم للعـودة بمجتمعاتنا إلى المسار الصحيح ، فمن هؤلاء ؟

ـ إنه من يقدم دراسة تاريخية علمية نقدية تجيب على السؤال الحيوي : لماذا استطاع زحف التحرير العربي الاسلامي أن يدمر أقوى إمبراطوريتين ، الفرس والروم ؟ وكيف استطاع المد العربي الاسلامي أن يحرر شعوبا عديدة في عقود قليلة من الزمان ؟

ـ وإنه أيضا من يقدم دراسة عن أروع صور الحرية الدينية والفكرية والعقلية التي مارستها الحضارة العربية الاسلامية يوم أن كانت مزدهرة ؟

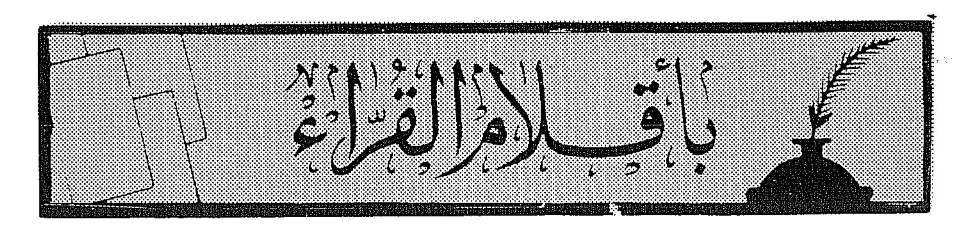
* والكتاب الذي بين أيدينا على صغر حجمه وتركيزه واحدة من الاسهامات الهامة في التخفيف من غربة الثقافة العربية الاسلامية عن مجتمعاتنا ، ذلك أن موضوع « حواء وبناتها في القرآن الكريم » هو أحد الفصول الهامة في كتاب العقيدة الاسلامية ، وهو الفصل الضروري الذي يجب على حواء المسلمة أن تتمثله ، وأن

تعيش حياتها في إطاره ، فماذا تقول المؤلفة في كتابها ؟ :
ـ تقدم المؤلفة للموضوع بلمحة تاريخية تعرض صورا متلاحقة لوضع المرأة الذليل في الحضارات الاغريقية والفرعونية ، ثم نيلها بعض الحقوق مع الديانتين اليهودية والمسيحية ، لكن لما جاء الاسلام ، تبدلت أحوال المرأة تماما ، وحدث التغير الجوهري في تقدير دور المرأة في بناء المجتمع المسلم ، ومن مظاهر هذا تسمية سورتين من سور القرآن الكريم هما : سورة النساء ، سورة مريم ، وتستفتح سورة النساء بأول آية تقرر حقيقة وحدة النفس الانسانية رجلا كان أو امرأة ، قال تعالى : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** ، والقرآن الكريم يخاطب المرأة كمخاطبة الرجل ، وهو يساوي بين الرجل والمرأة في العقاب والثواب ، يقول جل من قائل : **(ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)** سورة النساء ـ الآية رقم ١٢٤ .

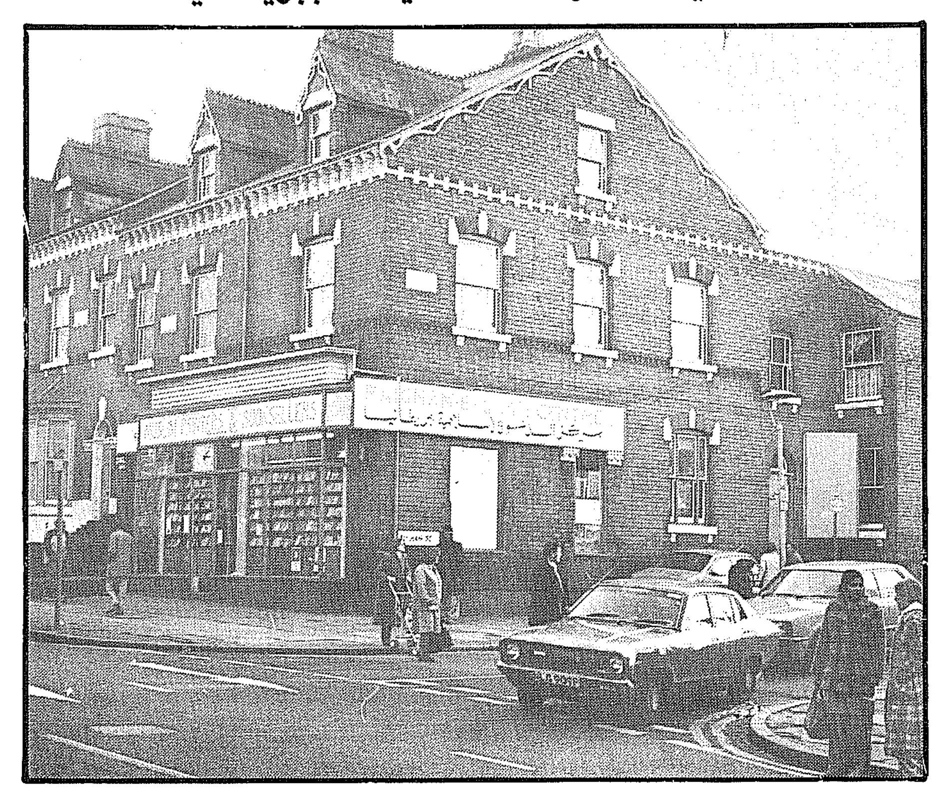
* كما تشير المؤلفة إلى أن القرآن الكريم قد أعطى المرأة كثيرا من الحقوق التي كانت محرومة منها ، كالتملك ، والبيع والشراء ، والتصرف في المال ، وجعل لها القرآن الكريم نصف حظ الرجل في الميراث بعد أن كانت هي نفسها بعض التركة ، وحدد القرآن الكريم للمرأة حقها في العمل ، والتعلم ، واختيار الزوج ، والطلاق إن أساء الزوج معاملتها واستحال عليها أن تعاشره ، وفرض على الرجل أن يحسن معاملتها ، وأن يقدم لها الصداق عند الزواج ، واحتفظ لها بحقوقها في النفقة بعد الطلاق ، والخلاصة ان القرآن الكريم عنى بالمرأة طفلة وابنة واختا وزوجة وأما .

* ثم قدمت الكاتبة عددا من النماذج النسائية التي تحدث عنها القرآن الكريم ، وهن : حواء عليها السلام ، وهاجر أم العرب ، وأم موسى عليه السلام ، وآسيا المؤمنة وامرأة فرعون ، وبلقيس ملكة سبأ ، وامرأة زكريا عليه السلام ، ومريم أم عيسى عليه السلام ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وزينب بنت جحش رضي الله عنها ، وخولة بنت ثعلبة ، وامرأة العزيز ، وأم جميل حمالة الحطب ، ففي كل قصة من قصص حواء وبناتها كما رواها لنا القرآن العظيم العبر الغالية ،

ياحبذا لو تدارسها الأباء والأمهات ، ورووها لأبنائهم وبناتهم ، ليحققوا لهم وللأجيال الشابة التربية والتنشئة الاجتماعية الاسلامية العفة ، ليتخذوا منها المثل العليا والنماذج التي تحتذى ، وهي مثل تلفها الطهارة والايمان ، وما أحوج مجتمعاتنا العربية والاسلامية إلى هذه التنشئة الاسلامية التي تصنع لهم ، وتربي فيهم البصيرة المسلمة التي تقودهم بأمان وسط بحار العصر المضطربة .



جمعية الدعوة الاسلامية ـ ببريطانيا



ارسل الينا الاخ منور حسين مشهدي رئيس جمعية الدعوة الاسلامية ببريطانيا هذا التعريف الموجز عن نشاط الجمعية يقول فيه :

لا يخفى على الجميع ان الجيل الجديد من شباب المجتمع البريطاني حر من كل القيود والقيم وفي معزل عن حقيقة الاسلام ومبادئه وكل ما يمتد اليه بصلة ، بحكم المجتمع التائه وبحكم التأثيرات الضارة من قبل المؤسسات التعليمية الغربية التي اثارت لديهم الشكوك والشبهات حول الاسلام . وبما ان معظم آباء وامهات الشباب المسلم قد اهتموا بالدنيا حتى

صارت لديهم مقصودة بذاتها وشغلتهم اعمالهم ليلا ونهارا عن واجباتهم الدينية وقصروا في تربية اولادهم التربية الاسلامية . لذا صار لزاما على المسلمين الذين تفضل الله عليهم بنعمة العلم والعمل ان يحاولوا ويبذلوا جهودا في نشر الاسلام ويفكروا في تربية هؤلاء الشباب تربية جادة مؤثرة على اسس صحيحة لكي يرفعوا لواء الاسلام في ظلمات اوروبا بدافع من هذا الشعور بالمسئولية اسست جمعية خيرية تسمى « جمعية الدعوة الاسلامية ببريطانيا » شعارها رفع لواء الاسلام بين ابناء المسلمين وغيرهم ، وكان ذلك في شهر مايو ١٩٧٤ .

ولهذه الجمعية مركز يسمى « مركز الدعوة الاسلامية » ومقره مدينة برمنغهام ويضم هذا المركز الذي تشرف عليه الجمعية مسجدا . ومدرسة ، ومكتبة ومطبعة وقاعة للمطالعة ودارا للكتب !

□ المسجد : يصلي المسلمون فيه صلواتهم الخمس بما فيها الجمعة . حيث يخطب الخطيب في موضوعات شتى يشرح فيها امور الدين كما تقام فيه حلقات دراسية عامة لتفسير القرآن الكريم وشرح الاحاديث النبوية وذلك بعد صلاة العصر من كل يوم . ونظرا الى كثرة المصلين والحمد لله فقد اعد مشروع توسعة وتعمير المسجد بتكلفة تصل الى حوالي ستين الف جنيه استرليني .

□ **المدرسة** : نظرا للحاجة الملحة والماسة الى تعلم القرآن الكريم والامور الدينية واللغة العربية وهي لغة القرآن عينت الجمعية خمسة اساتذة للتدريس فيها والدراسة تسير فيها على ما يرام والحمد لله .

□ **المكتبة** : تحتوي المكتبة في الوقت الحاضر على كتب دينية ومصاحف وكتب التفسير والاحاديث وغيرها من الكتب المختلفة باللغة العربية والانجليزية والاردية . وتريد الجمعية ان توسع هذه المكتبة باضافة العديد من المراجع الاسلامية اليها .

□ **المطبعة** : اسست الجمعية مطبعة صغيرة كاملة لنشر كتبها ومجلاتها وغير ذلك من مطبوعاتها المستمرة .

□ **قاعة المطالعة** : بما أن وسائل الاعلام المستحدثة قد قربت العالم وجعلت افكار واخبار الدول سهلة التناول ، لذا رأت الجمعية ان تزود قاعة المطالعة بالجرائد اليومية باللغات الانجليزية والعربية والاردية ، الى جانب المجلات الاسبوعية والشهرية وغير ذلك ليستفيد الناس منها .

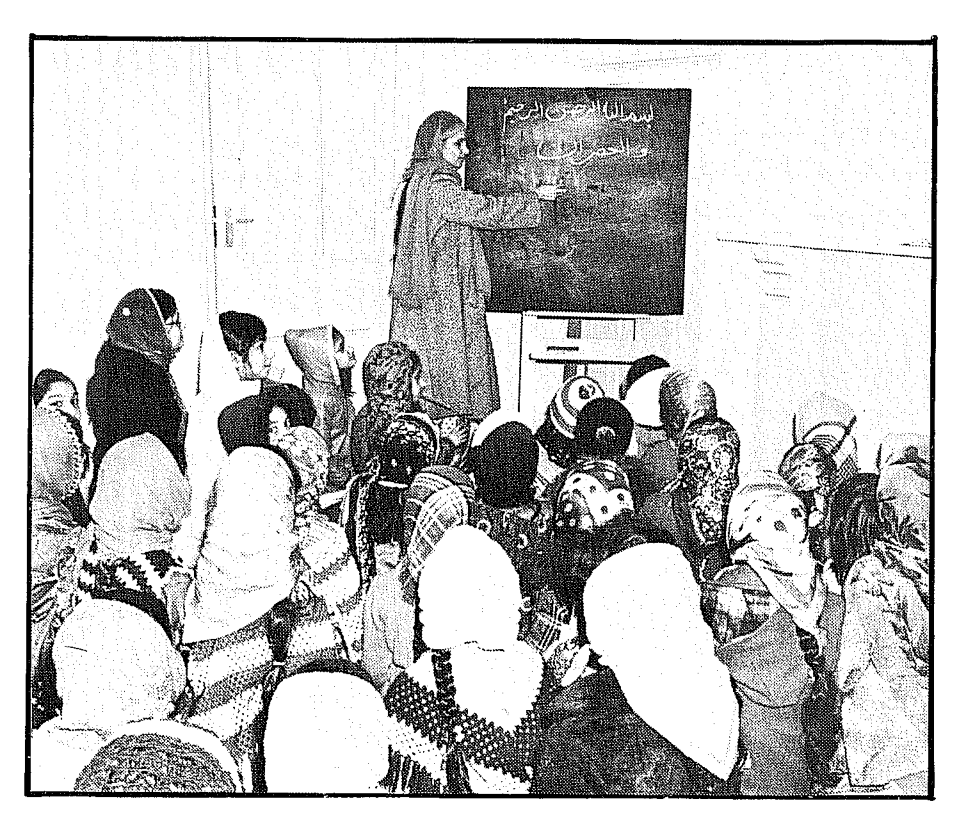
□ دار الكتب : أسست الجمعية هذه الدار نظرا لحاجة المسلمين ومتطلبات المؤسسات التعليمية

والمنظمات الاسلامية ومكتباتها اليها وتباع فيها المطبوعات الاسلامية وتنفق ارباح المبيعات في مجالات الدعوة الاسلامية .

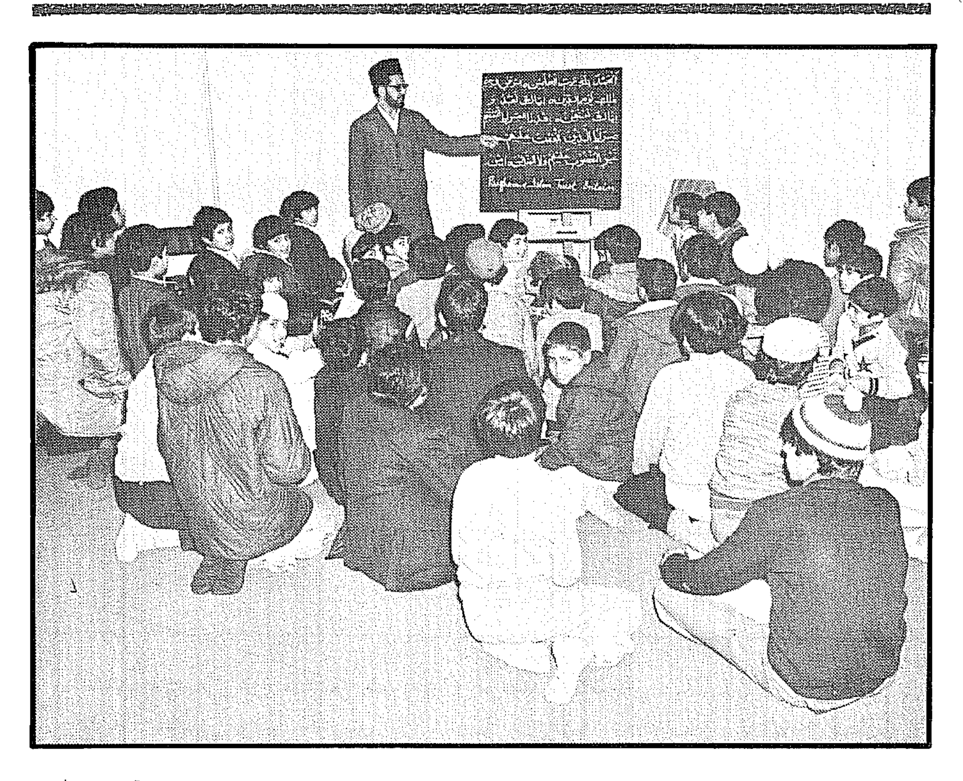
□ المطبوعات التي توزع مجانا :

توزع الجمعية بعض الكتب الاسلامية على المسلمين المرضى والمسجونين والطلبة المحتاجين وعلى غير المسلمين لاطلاعهم على صفاء العقيدة الاسلامية ووضوحها فتندفع بذلك الشبهات التي يثيرها اعداء الاسلام الحاقدين .

□ المجلة الاسلامية : تصدر الجمعية مجلة وهي باللغة الانجليزية للشاب المسلم . وتوزعها مجانا الى جميع البلاد الاوروبية ، والآسيوية والافريقية . وبجانب هذا انشأت الجمعية دائرتين .



مدرسة تدرس بنات المسلمين في مدرسة جمعية الدعوة الاسلامية في مركزها ببرمنغهام .



ـ استاذ يعلم الشباب المسلمين في مدرسة جمعية الاسلامية ببرمنغهام .

الاولى : دائرة الشباب المسلمين وهي تهتم بتنوير عقولهم بالثقافة الاسلامية وايقاظهم وجهود الشباب في مجالات الكتابة والخطابة وتعهد اجسامهد بالتدريب ليكونوا اقوياء البنية .

لذلك تضع الجمعية برامج عديدة في هذا الصدد وتعقد المسابقات وتوزع الجوائز .

والثانية : دائرة النساء المسلمات وهي منظمة تقوم بتربية النساء والاطفال وتعليمهم وتعقد هذه الدائرة اجتماعات شهرية لها ،

ومما لا شك فيه أن هذه المشاريع لا يمكن ان تتقدم وتزدهر الا بفضل الله ونظرة الكرم والجود والتعاون من المسلمين نحو هذا العمل الخير . قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » لتتمكن الجمعية من الاستمرار في تأدية رسالتها على اكمل وجه ممكن



حمل البريد الينا كثيرا من رسائل الاخوة القراء على امتداد الساحة العربية والاسلامية .. ونظرا لكثرة الرسائل ، فاننا نعتذر للتأخر في نشرها والرد عليها ..

قضاء الصلاة

شاب تونسي من قابس هو الاخ فرحات حسان .. كتب الينا يقول : بدأت اصلي وانا عمري ٢٤ سنة ، وانا اداوم على اداء الصلاة في اوقاتها ــ والحمد لله ــ ولكن يؤرقني التفكير في قضاء ما فاتني من صلاة قبل هذا .. فكيف أقضيها ؟

المحرر :

الصلاة عماد الدين ، من اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي ذات تأثير ايجابي في حياة الفرد والجماعة ، تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وهي وقوف بين يدي الله سبحانه في اليوم خمس مرات .. لذا فقد حرص المسلمون الاولون على ادائها في اوقاتها وفي جماعة ما امكن ذلك ، وسار على ذلك المسلمون جميعا الى يومنا هذا .. وامر الاسلام بأن يعود عليها الصغار حتى قبل سن التكليف ، حتى اذا ما وصلوا الى مرحلة التكليف حيث الثواب والعقاب ادوها في يسر وبلا مشقة .. والصلاة لا تسقط عن الانسان العاقل البالغ المكلف بأي حال .. فيؤديها في جماعة او منفردا ، وفي المسجد او في البيت ، او في اي مكان طاهر .. ويؤديها بوضوء او بتيمم اذا لم يجد الماء او تعذر استعماله ، ويؤديها قائما بركوها وسجودها .. او جالسا اذا لم يستطع القيام .. او مضطجعا اذا لم يستطع الجلوس ، وذلك بأن يتصور نفسه في صلاة ، ويحرك لسانه بالقراءة ، ويجري حركاتها على قلبه ..

من هنا تعلم يا اخ فرحات ان الصلاة لا تسقط بحال ـ الا اذا كانت المرأة حائضا او نفساء فانها لا تعيد الصلاة التي سقطت عنها اثناء الحيض والنفاس .. اما انت فأحمد الله ان وفقك لطاعته ، وحافظ على اداء الصلاة وداوم على ادائها فذلك دليل الايمان الحق ..

اما ما فاتك من الصلاة فحاول قضاءه بأسرع وقت ممكن ، فانه لا يسقط عنك الا بادائه ، ويمكن ان تؤدي مع كل فريضة فريضة اخرى مما فاتك ، حتى يغلب على ظنك انك اديت جميع ما فاتك من الصلاة منذ بلوغك سن التكليف ... والله يوفقك .

ردود سريعة

ـ الاخ الطالب احمد كمال امين الجمال ـ مصر ـ الشرقية

بعث الينا راجيا نشر اسمه في ركن التعارف في مجلة البراعم .

نعتذر يا اخ احمد عن ذلك لأن ركن التعارف مخصص فقط للبراعم الاسلامية اليافعة التي لم يتجاوز سنها ١٥ عاما فقط . ونشكرك على قصيدتك ونأمل لك مزيدا من التقدم في انتاجك الشعري .

ـ الاخت رجاء الوسلاتي / تونس

شكرا على رسالتك وعواطفك الاسلامية وقد تم ارسال بعض اعداد المجلة السابقة نرجو ان تجدي فيها مقالات تبحث في الموضوعات التي تطلبين من المجلة نشرها .

ـ الاخ محمد من المغرب يسأل عن طائفة البهرة عقيدة وسلوكا

يا اخ محمد ـ البهرة جماعة من الشيعة الامامية ينتسبون لطائفة الاسماعيلية ينتشرون بين الهند وشرقي افريقيا واليمن وباكستان وبريطانيا وتعتبر الهند مقرهم الرئيسي وملخص معتقداتهم ما يلي :

يعتقدون بالفيض الالهي وهي المعرفة التي افاض الله بها على الامام فتجعله فوق الناس قدرا وعلما والامام عندهم معصوم لذلك يحرصون على تعمير القبور واكبر دليل على ذلك اهداؤهم مقصورة من الفضه لمسجد سيدنا الحسين واخرى لمسجد السيدة زينب ومن عقيدتهم عدم تخطئة الامام مهما اتى من افعال خير او شر والامام بمقام النبوة عندهم وكل آرائهم لا دليل عليها ويبدو بأن الكثير من عقائدهم نتجت عن اتصالهم ببراهمة الهند والفلاسفة والبوذيين والفرس .



العروبة وموقف الاسلام منها

حول هذا الموضوع كتب الاستاذ عبد الله عبد العزيز العدواني في جريدة الانباء الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/٤ ما يلي :

لقد كثر الحديث والجدل حول قضية العروبة وموقف الاسلام منها ، وقد قرأت الكثير من كتابات الاخوة حول هذا الموضوع الحساس .

وفي الحقيقة انني اود من خلال السطور التالية ان اطرح وجهة نظري حول هذا الموضوع كشخص مسلم عربي .

لا ينكر احد ان الاسلام خاتم الاديان الذي يجب ان يعتنقه كل من يصله خبر هذا الدين وتقام عليه الحجة ، والا اصبح كافرا مهما كانت عقيدته .. لقد جاء الاسلام باللغة العربية ، وكان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عربيا من خيرة بيوتات العرب من قريش ، وكذلك فان الخلافة في دولة الاسلام هي للمسلم من قريش دون سواهم بالاضافة الى ان لغة اهل الجنة هي العربية ، وفي الاثر ان كره العرب لمجرد كونهم عربا يعد ضربا من النفاق . اقول ان هذه الدلائل تشير الى تكريم الله عز وجل للعرب بما لا يدع مجالا للشك .. ولكن يجب علينا عدم الافراط او التفريط في فهم هذه القضية وهو ــ مع الاسف ما وقع فيه بعض الاخوة في كتاباتهم حول الاسلام والعروبة .

والحقيقة ان المتمعن في التشريع والفقه الاسلامي والدارس للتاريخ الاسلامي يجد حقائق واضحة لا لبس او غموض في تفسيرها حول علاقة الاسلام بقضية القومية والدعوات العرقية او الشعوبية سواء جاءت من العرب ام من غير العرب .

فلقد حارب الاسلام التفرقة الطبقية المبنية على أسس عرقية او قومية .. ففي الحديث الشريف « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » وفي الكتاب الكريم « **انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند**

الله اتقاكم » .

ومن هذين النصين الشرعيين نلحظ وجهة النظر الاسلامية حول قضية التفرقة العرقية ، فقد حارب الاسلام مثل هذه الفوارق وجعل الميزان الحقيقي للمسلم هو مدى التزام المرء بتعاليم الخالق عز وجل لا بقربه أو صلته بجنس أو قوم أو غيرهم .

ولقد جسد الرعيل الاول من الصحابة رضوان الله عليهم هذه الحقيقة . قدوتهم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان المسلم العربي يحارب اباه وامه واقاربه ولا يتوانى عن الحاق الضرر بهم وحتى قتلهم لا يمنعه من ذلك قرابتهم او صلتهم به . واكبر من ذلك فقد كان المسلم العربي يعين اخاه المسلم غير العربي على قتل او الحاق الضرر بقريبه وابن جلدته من العرب .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحارب اعمامه واخواله ممن لم يعتنقوا الاسلام غير مكترث بكونهم قومه وبني جلدته فالاسلام الغى كل عصبية ، والغى اي تمييز وجعل الانتماء اليه هو الاساس والمقياس .

وما اقامة دولة الاسلام على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام الا ترسيخا لمبدأ اسبقية الاسلام والانتماء الاسلامي على ما سداه من روابط عرقية او غير عرقية .

فلم تقم دولة عربية على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .. وانما قامت دولة اسلامية عاش في كنفها المسلمون جميعا عربا وغير عرب بالاضافة الى الطوائف الاخرى من غير المسلمين كاليهود والنصارى خاضعين لسلطان الخليفة المسلم ومتمتعين بكامل الحرية المدنية ما لم يتعارض ذلك مع الاسلام على ان يدفعوا الجزية كضريبة لتمتعهم بالحياة تحت ظل الخلافة الاسلامية . ولا حق لهم في اي منصب قيادي في الدولة ، فالحكم والقيادة والسيادة هي للاسلام والمسلمين الى ان تقوم الساعة ، وهذا حكم الله سبحانه وتعالى الذي لا تجوز معارضته في اي حال وتحت اي ظرف .

ولكن مع اتساع الخلافة الاسلامية ودخول شعوب كثيرة في الاسلام وخضوعهم لسلطان الخلافة الاسلامية كان من الطبيعي ان يظهر بعض المنافقين ممن اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر بكافة صوره واشكاله ، بدأ هؤلاء الحاقدون بمحاولة هدم كيان الخلافة الاسلامية بكل ما اوتوا من وسائل ومن بينها اثارة النعرات العرقية والدعوات الانفصالية فقالوا ان الاسلام دين العرب فقط وان العرب استعبدوهم تحت ستار الدين الجديد هذا كان من غير العرب ، أما عند العرب فقد بدأت الدعوة في العرب غير المسلمين بعد ان احسوا انهم لم تعد لهم سلطة في دولة الاسلام فبدأوا بنشر الدعوة القومية والمطالبة بالوحدة العربية والدولة العربية لكي يتخلصوا من سلطان الاسلام والخلافة الاسلامية .

ولقد لقيت هذه الدعوة القبول من

بعض المسلمين العرب الذين لم يعوا حقيقة هذه الدعوة واهدافها المعادية للاسلام ، والداعية الى التخلي عن التشريع الاسلامي والرابطة الاسلامية واستبدالها بالقوانين الوضعية والرابطة القومية التي تتيح لغير المسلمين المجال للتغلغل في الكيان او البنيان السياسي للدولة الاسلامية ، وتقلد المناصب القيادية التي لا يجوز في التشريع الاسلامي تقلدها الا للمسلمين فقط دون سواهم بغض النظر عن ارتباطاتهم العرقية والقومية .

هذه كانت حقيقة ظهور الدعوات القومية سواء من العرب او غيرهم من الاجناس ممن خضعوا لسلطان الخلافة الاسلامية .

ان التشريع الاسلامي واضح وصريح عندما حدد علاقات المسلمين مع بعضهم ، وعلاقاتهم مع غير المسلمين من مختلف الطوائف الدينية والاجناس العرقية .

فالمسلم أخو المسلم دائما وابدا يجب عليه ان ينصره ويعينه ويتكاتف معه تحت اي ظرف ..

فمثلا اذا تقاتل مسلم مع غير مسلم فعلى المسلمين نصرة اخيهم المسلم حتى وان كان غير المسلم هذا من بني قومهم فالاسلام كما سبق وقلت قد الغى اي رابطة سوى الاسلام ، وهذا ينجر على جميع انواع العلاقات والروابط في كل المجالات فحتى المحبة والود والصداقة يجب على المسلم ان لا يفضل في علاقته غير المسلم على المسلم لاي سبب كان . وهذا لا يعني ان يكون المسلم عدوا لغير المسلم دائما فالاسلام يدعونا الى التسامح مع غير المسلمين ما لم يعتدوا على حرمة الاسلام والمسلمين .

وفي الختام اقول ان على المسلمين عربا وغير عرب الاتحاد لبعث الخلافة الاسلامية من جديد ونبذ كل النزعات القومية التي هدمت دولة الاسلام ، وسببت لنا ما نحن فيه من تخلف وذل بعد ان كنا الاعزة واصحاب الحضارة عندما كانت هويتنا هي الاسلام عربا وغير عرب ، انني ادعو الاخوة ممن يخالفونني الرأي ان يقرأوا مقالي جيدا بروح علمية محايدة لكي نصل الى الحقيقة التي لا لبس فيها ولا غموض .

المسلمون في اليابان

نشرت جريدة السياسة بتاريخ ١٩٨١/٤/٢٩ حديثا للدكتور موسى محمد عمر ممثل المركز الاسلامي في اليابان قال فيه :

ـ ان الدعوة الاسلامية في اليابان تختلف عن مثيلاتها في اميركا واوروبا واسيا ، لان الدعوة الاسلامية في اليابان موجهة الى الشعب الياباني

مباشرة حيث اقتنعت اعداد كبيرة من اليابانيين بالاسلام واعتنقته ، وكما هو معلوم فان ادخال غير المسلمين في الاسلام مهمة عسيرة الا ان ظروف اليابان تساعد وتشجع والحمدلله فاننا نرى نتائج ملحوظة ، لا تقاس بالارقام ، فاعداد المسلمين عام ٧٢ ـ ١٩٧٣ كان يقدر من ٢ ـ ٣ آلاف مسلم ياباني بينما قدرت حاليا اعداد المسلمين بين ١٢ ـ ١٥ الف ياباني بخلاف الاجانب . وقال ان التجاوب الموجود من عدة منظمات اسلامية ترك اثرا في مسيرة الدعوة الاسلامية هناك ، وقد نظمت احدى الجامعات مؤتمرا للفقه الاسلامي حيث رعى شقيق الامبراطور هذا الحفل الاسلامي وكانت هذه البادرة ظاهرة تاريخية كما أنشئ بجامعة (تشوؤ) كرسي للدراسات الاسلامية في وقت تقوم فيه كبريات الصحف اليابانية وتوزيعها يتجاوز العشرة ملايين نسخة يوميا وهي (اساهي ، ومانتجي) وكلا الصحيفتين ، تتعاونان مع المركز الاسلامي كما نظمت ايضا الندوة الثقافية الاسلامية بالاضافة الى ان الاذاعة والتلفزيون تستضيف مندوبي المركز بمقابلات للتحدث عن الاسلام وعرض كذلك فيلم عن مناسك الحج وتم توزيعه على المدارس واحدث ضجة واسعة بالاوساط وعرض ايضا برنامج عن حياة الرسول ، وبرامج اخرى عن المناسبات الاسلامية وقال ان المركز الاسلامي في طوكيو صغير بحجمه وكذلك بامكانياته المالية والبشرية وقال د . موسى محمد ان طبيعة الشعب الياباني غير المتعصبة ضد الاسلام ساعدت في تحقيق نتائج كبيرة جدا والمستقبل في اليابان اسلاميا يبشر بخير عميم ويعتمد بالدرجة الأولى على الجهد المبذول . وبخصوص الزيارة الحالية قال د . موسى عمر ان هذه الجولة تستهدف عرض موقف الدعوة الاسلامية في اليابان وما وصلنا اليه ومدى اقبال اليابانيين على الاسلام وبنفس الوقت عرض ما تحتاجه الدعوة ماديا ومعنويا .

وقال ان الدعوة تحتاج الى رجال اولا ولذلك طلبنا العون في تفريغ بعض العاملين بكفاءات معينة تتلاءم مع ظروف اليابان ، وكذلك المشاركة في الدعوة من حيث طبع الكتاب الاسلامي باللغة اليابانية والدعوة لتنظيم حملات تبليغ ومحاضرات وندوات بالاضافة الى المساعدة في بناء مقر تنطلق منه الدعوة الاسلامية وتلبية الاحتياجات بشكل عاجل ، وحول ما إذا تم في هذه الجولة جمع تبرعات للمركز الاسلامي باليابان قال : ان دولة الامارات العربية تبرعت بمساعدات مالية وشاركت في نشاط الدعوة وكذلك الحكومة السعودية تبرعت وشاركت في جميع المجالات المختلفة التي عرضها المركز عليهم ، اما بالنسبة للكويت فقد وعد المسؤولون بدراسة الامر ولكن سبق ان تبرعت الكويت في مناسبات عديدة .

اقرأ في هذا العدد

جمهورية مصر العربية

● دولة عربية اسلامية تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من قارة افريقيا ـ يخترقها نهر النيل من الجنوب الى الشمال وعلى اطرافه تقوم الحياة البشرية ـ عاصمتها القاهرة التي تفخر بالجامع الازهر ومن مدنها الاسكندرية وبور سعيد واسيوط والاسماعيلية .. عدد سكانها ٤٣ مليون نسمة يعيشون ضمن مساحة قدرها ٩٩٤٠٠٠ كم٢ غالبيتهم من المسلمين السنة وفي البلاد اقلية مسيحية تسمى (الاقباط) .

● ان اسم مصر مشتق من مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام .

● تعتبر مصر من اقدم مناطق العالم التي شهدت ارضها نشوء الحضارات وفي مقدمتها حضارة مصر الفرعونية بآثارها التي لا تزال باقية حتى اليوم ثم حكم مصر البطالمة اليونانيون ثم حكمها الرومان واخيرا جاء الفتح الاسلامي لها بقيادة عمرو بن العاص عام ٢١هـ ودوي على واديها الحبيب نداء الله اكبر .

● ورد اسم مصر في القرآن الكريم ضمن آيات متعددة . منها قوله تعالى :

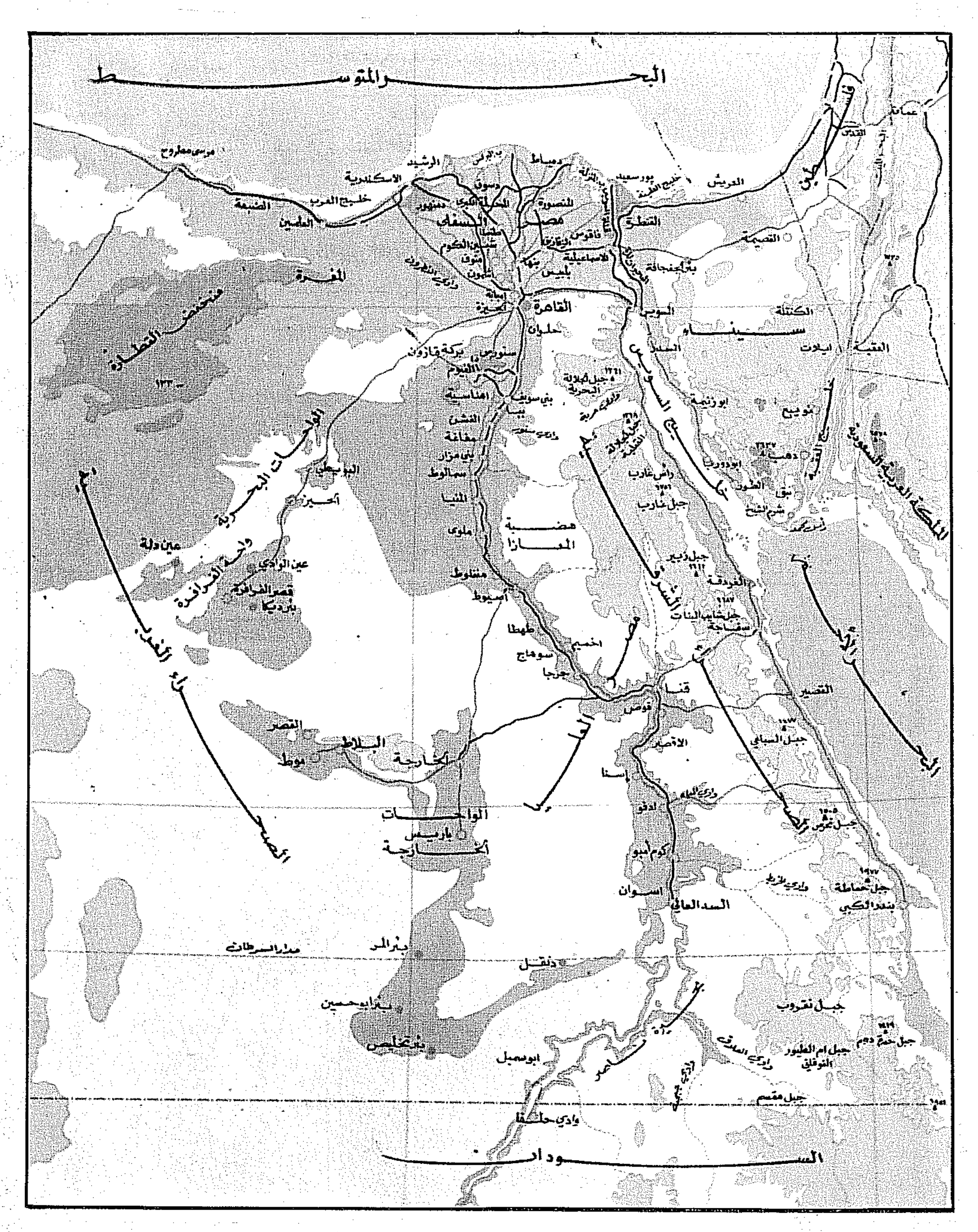
○ **(وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين)** يوسف / ٩٩

○ **(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه)** يوسف / ٢١ .

○ **(واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) يونس / ٨٧ .**

○ **بعد سقوط الخلافة العباسية ١٢٥٦م خضعت مصر لسيطرة المماليك الذين قضى عليهم العثمانيون عام ١٥١٧م ـ وظل الامر كذلك حتى خضعت مصر للاستعمار البريطاني ١٨٨٢م .**

ـ قامت الثورة المصرية ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التي اعلنت الجمهورية وبدأت مصر بعدها تخطو خطوات واسعة نحو التصنيع وتطوير الزراعة ..



جمهورية مصر العربية

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –